وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعــةغـرداية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

الدعاء في سورة الأنبياء مقاربة لسانية تداولية لأفعال الكلام

مذكرة مقدمة للحصول على شهادةالماجستير في علوم اللسان وتحليل الخطاب

إعداد الطالبة:

–ربيعة الشلقي.

إشراف:الأستاذ الدكتور

– مفتاح بن عروس.

أعضاء اللجنة:

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصّفة
محمد السعيدبن سعد	أستاذ محاضر أ	غرداية	رئيسا
مفتاح بن عروس	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	مشرفا و مقررا
يحي بن يحي	أستاذ محاضر أ	غرداية	مناقشا
سليمان بن علي	أستاذ محاضر أ	الأغواط	مناقشا
خديجة عنيشل	أستاذ محاضر أ	ورقلة	مناقشا

الموسم الجامعي: 1435هـ – 1436هـ/2014م–2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى في كتابه الكريم
وقال ربكم ادعوني أستجب لكم

الإهداء

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ صدق الله العظيم.

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ،ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك جل جلالك.

إلى من بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرّحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من تجرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب، إلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى القلب الكبير **أبي العزيز**

إلى من أرضعتني الحب والحنان إلى رمز الحب وبلسم الشفاء إلى القلب الناصع بالبياض

"نور "أمي العزيزة " عيني "

إلى من بهن أكبر وعليهن أعتمد ، إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي، إلى من بوجودهم أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها ،إلى من عرفت معهن معنى الحياة إلى أخواتي الغاليات:

زينة،زهرة،سهام، مباركة، مسعودة.

إلى رفقاء دربي إلى من هم اقرب إليّ من روحي إلى من شاركوني حضن الأم وبهم استمد عزتي وإصراري في نهاية مشواري أريد أن أشكركم على مواقفكم النبيلة إلى من تطلعتم لنجاحي بنظرات الأمل إلى إخوتي:**عز الدين، سيد علي، عبد القادر، إبراهيم.**

إلى الشموع المضيئة والبراعم المنفتحة: كوثر، رحاب، محمد زين العابدين، عبد النور ،الرحم ياسين،هشام ،فتيحة، حفظهم المولى و رعاهم.

إلى من أتمنى أن تبقى صورهم في ذاكرتي طالما حييت، إلى إخوتي في الله : **حياة كبير،عبد الله دحمان،عبد القادر بن عامر،رضوان بن دكن ، سامية الفاطمي، نعيمة نقو،.**

أهدي هذا النجاح إلى كل من يحمل لقب : **الشلقـي**

إلى زملائي وزميلاتي في الدراسة والعمل.

و إلى كل من شجعني على إتمام هذا العمل.

شكر وعرفان

أتوجه بالشكر الخالص-بعد شكر المولى عزّ وجل-إلى المشرف الأستاذ الدكتور مفتاح بن عروس الذي أشرف على هذا المشروع منذ أن كان فكرة، إلى أن اكتمل ليبلغ شرف مرتبة البحث و الدراسة فأشكره كل الشكر بتحمله مشاق البحث معي.

كما أقدم شكري للجنة الأساتذة المناقشين الذين تكبدوا عناء قراءة البحث وتقويم اعوجاجه. فجازاكم الله خيرا.

كما لا يفوتني أن أقدم شكري وامتناني إلى أساتذتي بجامعة غرداية و على رأسهم الدكتور: يحي بن حي بوتردين ، محمد السعيد بن سعد، و بشير مولاي لخضر، و امحمد تركي، والدكتور محمد مدور، والدكتور عباس حشاني، و إلى الدكتور زينب أولاد علي الذين شجعوني على البحث في هذا الموضوع و المضي فيه قدما

والشكر موصول إلى عمال المكتبة المركزية بجامعة غرداية و على رأسهم مديرها الأستاذ: أحمد رقاقبة و جميع العاملين فيها و كذا عمال مكتبة جامعة الأغواط الذين رحبوا بنا في كل الأوقات.

و الشكر موصول كذلك إلى كل من ساعدني أو شجعني من الزملاء والأساتذة وكل من أسهم من قريب أو بعيد في إخراج هذا العمل المتواضع.

مقدمة

مقدمة:

إنَّ القرآن خطاب متفرّد فهو يصدر من الله عز وجل الذي ليس كمثله شيء، إلى الرسل عليهم السلام بالدرجة الأولى و إلى العالمين كافة بالدرجة الثانية،فهو قائم بين ذات مرسلة و أخرى متلقية.

و يتميّز الخطاب القرآني بتنوع استراتيجيات التخاطب لدى كل من المتكلم و المتلقي، إضافة إلى مسارات الخطاب و الغاية منها، لذا نلاحظ تفاوت بين مقامات الخطاب و طبقات المتلقين،و يبرز عن هذا التنوع في الأساليب التي وردت في الخطاب القرآني من أمر و نهي و وعد ووعيد ....إلخ. هذا التنوع أبرز لنا عدّة أشكال خطابية أبرزها:

"خطاب الدّعاء" الذي يعدّ رابطا قويا يناجي فيه العبد ربّه كاشفا عن حاجته في تذلل و خضوع و إنابة بأدب رفيع يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

وقد ورد الدّعاء في القرآن الكريم في عدّة أشكال خطابية تشترك كلّها في الحمولات الدلالية التي تحويها من حيث قوتها بنية و دلالة.

ومن المعلوم أنّ سورة الأنبياء اشتملت على ذكر أكثر من عشرة أنبياء وردت أسماؤهم فيها، وتفرّدت بأسلوب قصصي يحمل أخبار الأنبياء مع أقوامهم في الدعوة للتوحيد وأسلوب القص فيها غير مكرّر في سور سابقة، وبهذا سميّت بسورة الذكر لكثرة تكرار كلمة"الذكر" فيها، و الذكر هاهنا رسالة الأنبياء ؛فمَهمَّتهم هي أداء الأمانة و تبليغها.

فرغم البحوث و الدّراسات اللغوية التي تعنى بدراسة القرآن الكريم إلاّ أنَّ البحث في الخطاب القرآني لا زال مستمرا؛ فكلّ قراءة تكشف لنا دلالة جديدة منفتحة على زمانها و مكانها و بهذا المسار المتكامل من القراءات تتشكل دلالات جديدة من شانها أن تفتح آفاقا واسعة للتدبر في القرآن الكريم.

فمنذ القديم انصبّ اهتمام الباحثين اللغويين بدراسة اللغة و الكشف عن ظواهرها المختلفة باختلاف سياقاتها بدءً بجهود الدرس اللغوي في الحضارات الهندية و اليونانية مرورا بالحضارة العربية الإسلامية إلى أن بلغ الدرس اللغوي الحديث أوجه مع "دي سوسير" وصولا إلى الدراسات التداولية التي تهتم بالتواصل والاستعمال الفعلي للغة ، بعد أن كانوا يعتبرون اللغة مجرد أداة لنقل الأفكار والتصورات أصبح ينظر إليها من الجانب الإستعمالي الفعلي لها ضمن إطار البحث التداولي الذي من شأنه أن ننجز فيه أفعالا باللغة تغير بالواقع و تأثر فيه، كما أنّ التداولية تتصل بجملة من العلوم اللغوية و غير اللغوية التي تكسبها طابعا فريدا و هذا ما جعل من جهازها المفاهيمي يرتقي إلى أبعد حدود الضبط العلمي.

إنّ التداولية تهتم بالجانب الاستعمالي للغة و تركز النظر على الأداء الكلامي ضمن السياق،فمن هنا ظهرت عدّة دراسات تطبّق المقاربة التداولية في الخطاب القرآني إذ تبني القصة القرآنية بتشاكل كل من السياق والمقام ومناسبة السورة .

ومن هنا عنونت بحثي بـــ:الدُّعاء في سورة الأنبياء "مقاربة لسانية تداولية لأفعال الكلام"، ومن خلال البحث حاولت أن أبرز الدّعاء ووجه تقاطعه مع التداولية في لبناتها الأولى ممثلة في أفعال الكلام. ويبدو لنا الدعاء فعلا كلاميًا ناجحا بامتياز ؛ يكشف لنا شروطا و معايير تتطابق- إلى حد بعيد- مع ما وجد عند علماء الشريعة الإسلامية في ضبط آدابه و مبادئه ، فمادام الدعاء أرقى وأسمى العلاقات بين الإنسان وخالقه ؛كان لزامًا أن ترقى وسيلة التعبير لقيمة هذه العلاقة.

والأسباب التي دفعتنا إلى البحث في هذا الموضوع القيّم المتعددة النواحي، و التي منها ما هو ذاتي و ما هو موضوعي. ولكن الأساس فيها هو الحياة في رحاب القرآن الكريم، إضافة إلى أنّ الدّعاء من أكثر الموضوعات قربا إلى نفسي وملاذا لسكينتي وأمني،وله وقع شديد في قلبي وعلى جوارحي. والدّعاء نور تهتدي به نفوسنا وتستنير به بصائرنا نصرة للحق.

أمّا الأسباب الموضوعية فهي الرغبة في دراسة الدعاء دراسة لسانية تداولية ، محاولين بذلك الكشف عن الخصائص اللسانية التركيبية إلى جانب تجلية آلية القوة الإنجازية للفعل الكلامي الدّعائي في سورة الأنبياء استقراءً و تحليلاً ، ودعما لذلك أبرزنا دور السياق في توجيه دلالات الخطاب القرآني من أجل الكشف عن مسارات الخطاب الدعائي في بنية سورة الأنبياء، وهذا ما يقودنا إلى الفعل الكلامي الكلِّي للسورة بالوقوف على موضوعاتها ومضامينها.

و على ضوء ما سبق تتضح لنا الإشكاليات البحثية التالية:

- ما أثر السياق في توجيه دلالات الخطاب القرآني ؟.
- كيف تشكلت خصوصية بنية الخطاب في سورة الأنبياء؟
- وما الأطراف الفاعلة وفقا لبيان موضوعاتها ومحاورها الكبرى؟
- ما الفعل الكلامي الكلّي للسورة ؟ وكيف تشكل داخلها؟ وما بؤرة الخطاب فيها؟
- ما الخصائص اللّسانية التركيبية للآي الدّعاء في سورة الأنبياء؟
- ما القوة الإنجازية التي حملها الفعل الكلامي الدُّعائي ؟كيف تحققت ؟ وما مواطن تجليها؟

ولكي نجيب عن هذه الإشكاليات اعتمدنا في بحثنا على المقاربة اللسانية التداولية لأفعال الكلام من أجل دراسة الدّعاء مستعينين بتقنيتي الوصف والتحليل،حيث وقفنا على معاني الدّعاء ووجوه المتعددة و بيان آدابه وشروطه ،كما قمنا ببيان ماهية اللسانيات التداولية، وكيفية نشأتها وأهمّ أعلامها ، بالإضافة إلى الوقوف على جوهر الدرس التداولي وجهازه المفاهيمي.

لم يتطرق الباحثون إلى هذا النمط من الخطاب إلاّ حديثا ، وإنّ تناوله لا يتجاوز حدود البحث البلاغي الإعجازي أو الأسلوبي الجمالي أو ضمن أساليب الأمر والنهي .كغرض بلاغي غير مستقل عن الدراسة. و من ذلك ما نجده في المصادر والمراجع و الرّسائل التي تناولته فكانت زادنا في البحث وهي كالآتي:

- الدُّعاء في القرآن الكريم دراسة تركيبية بلاغية .أنور سالم بن محفوظ الرامي.
- النداء في القرآن الكريم .مبارك التريكي.
- الدعاء في القرآن الكريم .أساليبه مقاصده و أسراره.بهية بنت حامد اللّيحاني.
- الدّعاء في القرآن الكريم .محمد محمود عبّود زوين.
- فن الذكر والدعاء لخاتم الأنبياء. محمد الغزالي.
- موسوعة الدعاء من الكتاب والسنة. نبيل بن السيد بن عمار.

ولقد كانت استفادتي كبيرة في بناء الرؤيا الشاملة بقراءة فاحصة واعية للكتب التي تناولت موضوع الدّعاء ،سواء في إطار الطرح العقدي أو ما جاء في الكتب المعالجة له في مختلف الكتب السماوية السابقة و الحضارات القديمة.إضافة إلى الرّسائل الثلاثة الأولى التي اطّلعت عليها على الشبكة العنكبوتية فكانت عبارة عن ملّخصات زادت من تدعيمي للإطار العام الذي يشكل به هذا النوع من الخطاب .

أمّا بالنسبة للجانب التنظيري للرّسالة المؤسس على المقاربة اللسانية التداولية لبناء القاعدة المنهجية للآليات التحليلية المعالجة للمدونة فكانت استفادتي من مجموعة من الكتب القيمة منذ أن كان البحث مجرّد فكرة يحتاج إلى تدعيم قاعدي و تأسيس متين للمقاربة بغية تفعيله و ممارسته ممارسة صحيحة واضحة منتظمة.انطلاقا من تكوين الفضاء العام للسورة بالإحاطة على معالمها المحورية الهامة المكوّنة للسياق الداخلي و الخارجي استعانة بأسباب النزول، فمنها استطعت أن أبني النظرة الكلية لبينة خطاب السورة ،و عززت بنائها باستقاء المنطلقات التأسيسية للمقاربة في الدرس الغربي كما نشأت أول مرة وإلى جانب كيفية إعادة قراءتها قراءة تراثية معاصرة من شانها أن تفتح آفاقًا واسعة للتدبر في دلالات الخطاب القرآني بما تسمح به حدود البحث العلمي مراعية بذلك خصوصية المدّونة.و من أهمّها كتب التفسير : التفسير الكبير لفخر الدين الرّازي وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، و روح المعاني للألوسي، أمّا عن الكتب المتخصصة فكثيرة

في المقاربة أهمها: التداولية عند العلماء العرب. مسعود صحراوي، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر.محمود أحمد نحلة، النص و السياق فان دايك. نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات أوستين، تر، عبد القادر قنيني.

وقد قسّمنا دراستنا هذه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وملحق للسورة الكريمة وفهرس للمصادر والمراجع و فهرس للموضوعات.فقد تناولنا في **التمهيد** :ماهية الدعاء و شروطه وآدابه. وقفنا على دراسته لغة و اصطلاحا لإبراز تعدد أوجه التعريفات و المفاهيم انطلاقا من المعاجم العربية الأصيلة إضافة إلى آراء أئمة الأمة و علمائها و اختلافاتهم في لفظه و معناه.

الفصل الأول:المقاربة اللسانية التداولية.تضمن ثلاثة مباحث

المبحث الأول: ماهية اللسانيات التداولية :تناولت فيه مصطلح التداولية بينالعربو الغرب لغة و اصطلاحا متمثلة في جهود كل علماء اللغة و المعاجم قديمها و حديثها مع عرض الاختلافات الفرعية التي استوقفتنا لالقاءالضوء على تعدد مفهوم المصطلح في الدرس الغربي.

المبحث الثاني:الخلفية التاريخية للسانيات التداولية.تطرقنا الى دراسة اسس ظهور المصطلح ضمن تيار الفكر الفلسفي و اللساني.

المبحث الثالث: المحاور الكبرى للسانيات التداولية.تضمن الدرجات الثلاث للتداولية ،نظرية التلفظ نظرية الحجاج ،نظرية أفعال الكلام .اضافة الى الآلياتالاجرائية للدرس التداولي.

الفصل الثاني: نظرية الأفعال الكلامية بين الدرس الغربي والموروث اللغوي العربي.

المبحث الأول: أفعال الكلام في الدرس الغربي.تناولنا بالتفصيل ماهية الفعل الكلامي كيف تشكل هذا المفهوم في ظل الحقول المعرفية للنظرية التداولية .

المبحث الثاني:أفعال الكلام في الموروث اللغوي العربي.(علم المعاني ، ظاهرة الخبر والإنشاء).ركزنا عملنا على تحديد مواطن تجلي النظرية و انعكاساتها على النصوص التراثية للغة العربية سواء في الدرس البلاغي و النحويو الأصولي إضافة الى اظهار نقاطالتقاطع الرئيسة في بناء النظرية للجانب المعرفي الابستمولوجي .

المبحث الثالث:معايير و شروط التمييز بين الخبر و الإنشاء .تمثل في جهود علماء البلاغة من خلال ضبطهم للمعايير : معيار الصدق و الكذب ،معيار النسبة الخارجية ، معيار ايجاد النسبة الخارجية .

الفصل الثالث:المقاربة اللسانية التداولية لآي الدعاء في سورة الأنبياء .

مدخل:الخطاب القرآني وأثر السياق في توجيه دلالات الخطاب القرآني.نقصد هنا تحديدا علم اسباب النزول .

المبحث الأول: التعريف بسورة الأنبياء وبيان موضوعاتها.سبب تسميتها و أوجه تعالقها مع السور القرآنية التي تقدمتها و التي جاءت بعدها من حيثفواتحهم و خواتمهم وما تضمنوه من مواضيع و مواضامين هادفة الى الاصلاح و التغيير في النفس البشرية .

المبحث الثاني:بنية تشكل الفعل الكلي للسورة و الفعل الكلامي الدُّعائي ،من خلال الدراسة السابقة وصلنا الى تحديد الفعل الكلامي الكلي للسورة الكريمة و كيف انسلّ منها الفعل الكلامي الدّعائي و تشكل بها و فيها داخلها بموجب البنية العلائقية(الذكر –الأنبياء–الدُّعاء) لمقاطع السورة الكريمة ضمن فضاء السورة التي يسبح فيها ألا وهو السياق ممثلا في القصة القرآنية في جميع صورها التي تشكلت عليها ضمن السورة الكريمة. ومنها دراسة الفعل الدُّعائي لسانيا تركيبيا و تداوليا .

وفي خاتمة: ذيّلت البحث بجملة النتائج التي توصلت إليها، كما لا يخفى أنّ هناك جملة من الصعوبات إعترضتنا خلال مسيرة الدراسة أهمها:

-حساسية التعامل مع الخطاب القرآن نظرا إلى أنّ المقاربة صناعة بشرية تحاول أن ترتقي سلّم القراءات الواعية للنص القرآني.

-صعوبة الأخذ بمصطلح واحد نظرا للخلط بين المصطلحات والمفاهيم في الترجمة ومرّد ذلك إلى النشأة المتفاوتة للنظريات من حيث المنطلقات. فمن البداهة أنّ هناك فروق كثيرة أهمّها اختلاف البيئة المنتجة للمصطلح أي البيئة الغربية و نقلها إلى البيئة العربية نظرا لما تحمله من خصوصيات ، فهي في الأخير إنتاج ثقافات شعوب . خاصة وأنّ آليات التحليل التداولي الحديثة يصعب إسقاطها على الخطاب القرآني ، وهو في حدّ ذاته عملا ذا مسؤولية كبيرة بالإضافة إلى مقاربة الخطاب القرآني بالآليات الحديثة التي ما تزال محلّ جدل ونقاش.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أحمد الله عزَّ و جل على عونه لي ،و أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف د. مفتاح بن عروس على توجيهاته القيمة ، و أشيد بصنيعه معي ؛ إذ صاحبني مع نشأة بحثي ، و لقيت عندها لتشجيع كله ، و لطالما احتجت إلى دفع معنوي، فكان يحثني على المضي قدماً في مراحل بحثي،فما ادخر نصحاً أو ملاحظة إلا وأبداها لي ، و كانت لملاحظاته القيِّمة الأثر الأكبر فيتدرج في البحث ، و قد كنت آخذ من وقته القسط الكبير ، ليشرف على مراجعة ما أدونه من فصول ، و متابعتها فصلا بفصل ، بل كلمة كلمة وتفضله في إبداء الملاحظات و الآراء القيمة فيها ، فقد كان خير أستاذ لطالبته ، ولم يأل جهد في الإشراف على رسالتي . لا انسى حرصه عليّ كابنته ،و لا أنسى جميله، وتعبه معي، جزاه الله خيرا، وله مني جزيل الشكر و الامتنان و التقدير ...حفظه الله و رعاه و بارك الله له في صحته و عافيته و نفعنا بعلمه و ادبه .

الشلقي ربيعة : بتاريخ : 2015/09/10

شارع سيدي عبد القادر الجيلالي-ثنية المخزن- غرداية

mmona7461@gmail.com

تمهـــــيد

مـــــاهيـــــة الدّعـــاء

تمهـــــيد:

منذ بدء الخليقة و للدعاء مكانة على لسان البشرية، وله صداه في النفس الإنسانية، فقد ارتبط بفطرة الإنسان في ضعفه و قصور مواهبه حينا، وبنزوعه نحو الكمال حينا آخر.آنس الإنسان بفطرته تلك بعد أن آمن بوجود قوى فوق طبيعته البشرية ولهذه القوى تأثير في مجرى حياته وأسباب وجوده. فاتخذه مدفوعا بفطرته صلة تربطه بخالقه وجسرا يحمل خوالج نفسه وصدق إحساسه.[1]

أن أهمية الدعاء برزت عند الأمم القديمة السابقة؛ ممثلة في الأدعية المدونة بمختلف اللغات القديمة من حضارات متعددة لديانات مختلفة،جعلت منه طقوسا للعبادة واضحة المعالم، بالرغم من أنّ لكل دين شعائر تظهر في طرق العبادة وتميز أتباعه عن بقية إتباع الديانات الأخرى. إلا أنّ الدعاء ظاهرة تعم كل الديانات وإن اختلفت مناهلها العقدية وطرقها التعبدية.

يكاد يجمع اغلب من كتب في الصلاة للديانتين لمفهوم الدعاء والآداب التي يجب أن يتحلى به الداعي خصوصا في تأمل إجابة الدعاء.[2]

[1] ينظر:جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دط،دار العلم للملايين بيروت، 1980، ص: 28.

[2] ينظر محمد محمود عبود زوين، الدعاء في القرآن الكريم، ط2،دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 11.

مفهوم الدعـاء في الشريعة الإسلامية:

الدعاء لغة:

دَعَوَ: الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دَعَوْتُ أَدْعُو دُعَاءً[3]،ومصدر دَعَا الثلاثي دَعْوَةً ودُعَاءً، فتقول:دَعَا يَدْعُو دُعَاءً كما تقول: دَعَا يَدْعُو دَعْوَةً، (والمفعول مَدْعُوٌ أَدْعُو دُعَاءًوجمع اسم الفاعل منه دُعَاةٌ ودَاعُونَ كَقُضَاةٍ وقَاضُونَ).و الدعوة الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دَعَوْتُ أَدْعُو دُعَاءً، ومصدر دَعَا الثلاثي دَعْوَةً ودُعَاءً، فتقول:دَعَا يَدْعُو دُعَاءً كما تقول: دَعَا يَدْعُو دَعْوَةً، (والمفعول مَدْعُوٌ أَدْعُو دُعَاءًو جمع اسم الفاعل منه دُعَاةٌ ودَاعُونَ كَقُضَاةٍ وقَاضُونَ). والدَّعْوَى: اسم لما تدعيه، والدعوة تصلح أن تكون في معنى الدعاء لو قلت: "اللهم أشركنا في صالح دُعَاءِالمسلمين ودَعْوَى المسلمين "،جاز، وحكى ذلك سيبويه وأنشد:

"قـالت و دَعْوَاهَا كثير صخبه" لبشر بن النكث

ويطلق الدَّعَّاء كصيغة مبالغة على الشخص "كثير الدعاء ".[4]

وللفظ الدعاء معاني عديدة بين حقيقة ومجاز استعمالها على لسان قبائل العرب كما ساقها الفيروزآبادي في القاموس المحيط وهي كالتالي:

الدعاء :الرغبة إلى الله تعالى،دعا دعاء ودعوى.

والدعاء : السبابة . وهو مني دعوة الرجل، أي: قدر ما بيني وبينه ذاك.

ولهم الدعوة على غيرهم، أي: يبدأ بهم في الدعاء.

وتداعوا عليه : تجمعوا . دعاه : ساقه.

والنبي صلى الله عليه وسلم: داعي الله، ويطلق على المؤذن والداعية: صريخ الخيل في الحروب.

وداعية اللبن : بقيته التي تدعو سائره، ودعا في الضرع : أبقاها فيه.

---

[3] ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، د ط، دار إحياء للكتب العربية، القاهرة، مصر 1998، باب العين و الدال وما يثلثهما.

[4] الزبيدي محمد مرتضى ، تاج العروس، د ط، دار ليبيا للنشر، بنغازي، د ت ط، مادّة دَعَوَ.

ودعاه الله بمكروه: أنزله به، ودعوته زيدا ، وبزيد : سميته به.

والأدعية والأدعوة ، مضمومتين : ما يتداعون به.

والمداعاة : المحاجاة.

وتداعى العدو : أقبل، والحيطان : انقاضت.

وداعيناه : هدمناه، ودواعي الدهر : صروفه .

وما به دعوي، كتركي: أحد .واندعى: أجاب.[5]

الدعاء اصطلاحا:

من الصعب جدا وضع تعريف جامع مانع للدعاء باعتباره ظاهرة حية متجددة بتجدد احوال الإنسان وسؤال خالقهم في حاجاتهم ومشاعرهم، إلا أنه يمكننا أن نلتمس مفهوما يشرف بنا على حدود الدعاء؛ من ذلك ما جاء على لسان الخطابي *رحمه الله: هو استدعاء العبد لربه عز و جلّ العناية،واستمداده إيّاه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية،واستشعار الذّلة البشرية،وفيه معنى الثناء على الله عز وجل وإضافة الجود والكرم إليه.[6]

كما ورد عن شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله ، دعاء المسألة:هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه، كما عرفه بأنّه "الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال بمعنى التوجه والطلب".[7]

كما عرفه الشيخ بومعزة في كتابه "السعادة في مخ العبادة" في قوله: "هو الابتهال إلى الله تعالى والرغبة فيما عنده من الخير والتضرع إليه في تحقيق المطلوب والنجاة من المهروب".[8]

وعرّف الدعاء كذلك بأنّه : الرغبة إلى الله – عز وجل –أو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له.[9]

[5]الفيروز أبادي مجد الدين ، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، دتط مادة (دَعَوَ).

[6]ينظر : محمد محمود عبود زوين، الدعاء في القرآن الكريم،ص 25.

[7]ابن تيمية تقي الدين أحمد ، مجموع فتاوى إبن تيمية، ج10، ص 14.

[8]الشيخ بومعزة : السعادة مخ العبادة. غرداية.

[9]الخطابي أحمد محمد أبو سليمان، شأن الدعاء، تح: أحمد يوسف الدقاق، ط 3،دار الثقافة العربية، 1992، ، ص 4.

وجـــوه معانـــي الدعـــــاء:

إنَّ ثراء اللغة العربية وغناها من القرآن الكريم فهو كتابه العزيز الحكيم الموثق لأصول الألفاظ العربية من اشتقاق واستعمال و تطوير دلالتها فمنها نلمس فروق جوهرية بين ألفاظ الجاهلية و بمعانيها القديمة وبين استخداماتها في الخطاب القرآني بمعانيها الجديدة حيث تجرد الكثير منها مما كانت تدل عليه.فأصبحت تدل على معان جديدة خاصة تتصل بعبادات والشعائر وأمور السياسة والحرب والإدارة أو مصطلحات العلوم والفنون. لذا نقول بكل اطمئنان وراحة أن سرّ بقاء اللغة العربية مرتبط ببقاء وخلود القرآن.[10]

لقد استوعب القرآن الكريم مادة "دعا" و ما يتصل بها من استعمالات و تصاريف اللفظ و دلالاته حيث جاء على نحو مئة و تسعين مرة ضمن اثنين و سبعين اشتقاقا تنوعت معانيها بتنوع سياقها التي وردت فيه.

وهو ما اهتم به المفسرين و علماء اللغة المهتمين بالأشباه و النظائر بمعاني الدعاء ومواضعه واستعمالاته في القرآن.

قبل الولوج إلى وجوه معاني لفظ الدعاء وجب الوقوف على صنفين رئيسيين هما :دعاء العبادة ودعاء الطلب والمسألة.فالنوعين متلازمين فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسالة وكل دعاء مسالة متضمن لدعاء العبادة وكلاهما لا يصلح إلا لله كما قال بن تيمية .

1/ دعاء عبادة وثناء:شامل لجميع القربات الظاهرة والباطنة،لأن المتعبد به طال (بلسان مقاله ولسان حاله ربّه) قبول تلك العبادة والإثابة عليها فهو العبادة بمعناها الشامل،ومن أعظم ما يدخل فيها ذكر الله وحمده والثناء عليه تعالى بما هو أهله.

2/ دعاء الطلب والمسالة:هو ما تضمن مسألة وهو أن يطلب الداعي ما ينفعه، وما يكشف ضره.

فالداعين الله بدعاء المسألة أيضا قسمهم الله إلى قسمين في أرجاء أماكن قبول الدعاء مثلا يوم عرفة:[11]

القسم الأول : قوم اقتصر دعائهم على الدنيا فقط ،كما قال تعالى : ﴿**١٩٩**﴾ ... **فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**﴿**٢٠٠**﴾ البقرة:200.

[10] ينظر : محمد محمود عبود زوين، الدعاء في القرآن م س،ص 27.

[11] ينظر : عبد الرحمن بن محمد آل رقيب، لولا دعائكم، ط3، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2011، ص 14.

القسم الثاني: قوم أثنى الله عليهم، لأنهم أحسنوا قسمة دعاءهم حين سألوه ثلاثة أمور، واحدة للدنيا بسؤال الخير واثنين للآخرة لسؤال الجنة والتعوذ من النار."﴿٢٠٠﴾ **وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾**". فكانت الإجابة من نصيبهم:"﴿٢٠١﴾ **أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾**"البقرة:202.

أما ما يخرج من قسمتي الدعاء وجوه عديدة لمعاني لفظ الدعاء و هي :

الوجه الأول: الدعاء بمعنى العبادة

وهذا أول معاني الدعاء و أوسعها استعمالا في القرآن الكريم ،فقد جاء الدعاء بمنزلة العبادة كثيرا في الاستعمال القرآني إذا علمنا أن العبادة مفهوم واسع يتسع لعدة طقوس وأفعال تؤدى بطرق مختلفة تكون بمجموعها العبادة علمنا أهمية الدعاء و مكانه بالنسبة للعبادة حيث يمثل جوهر العبادة علمنا أهمية الدعاء و مكانه بالنسبة للعبادة حيث يمثل جوهر العبادة وروحها ،و لهذا ساوى جلّ و علا بين العبادة و الدعاء ،وتواتر هذا المعنى في أحاديث الرسول الكريم صل الله عليه وسلم حيث قال :"الدعاء هو العبادة".[12]

ومما جاء بهذا المعنى قوله تعالى "﴿٧٦﴾**قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ**.....﴿٧٧﴾"الفرقان:77.

بمعنى لولا عبادتكم.[13]

فبيان معنى الدعاء هنا هو أصل العبادة، التذليل من قولهم طريق معبد ،أي مذلل.

و العبادة و الخضوع و التذلل و الاستكانة قرابة بالمعاني، حيث كل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة ،و العبادة نوع من الخضوع لا يستحقه إلا المنعم بأعلى أجناس النعم .[14]

و ذلك في قوله تعالى: ﴿٥٩﴾ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾**، غافر:60

ذكر ابن حجر العسقلاني أن آخر الآية جاءت لتدل أن المراد بالدعاء العبادة .

---

[12] ابن ماجة سنن المصطفى ،محمد بن يزيد ،:ج2،ص428.

[13] ابن الجوزي عبد الرحمن جمال الدين أبو الفرج ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي،ط3، مؤسسة الرسالة،1987 ص293.

[14] ابن سيدة ابو الحسن علي ابن اسماعيل النحوي ،المخصص، ط 1،المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1316، ج4، ص13.

كما ورد تعاقب الدعاء بمعنى العبادة في آيات الكتاب العزيز في شواهد كثيرة كما في قوله تعالى: ﴿٧٠﴾ **قُل أَنَدعو مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَنفَعُنا وَلا يَضُرُّنا**... ﴿٧١﴾ الأنعام:71 بمعنى :ان نبعد من دون الله.[15]

استعملت متصرفات العبادة ضمن الموضوع نفسه كما جاء به في قوله تعالى :"﴿١٧﴾ **وَيَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم** ...﴿١٨﴾".يونس:18.

قوله تعالى: ﴿٧٥﴾ **قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴿٧٦﴾ المائدة:76، فقد تعاقب ذكر كل من العبادة والدعاء في إطار الحديث عن جهالة المشركين في التوجه لغير الله في العبادة.

ومن هذا القبيل أيضا ،ماحكاه القرآن عن قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر فيقول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام في سورة مريم : ﴿٤٧﴾ **وَأَعتَزِلُكُم وَما تَدعونَ مِن دونِ اللَّهِ وَأَدعو رَبّي عَسى أَلّا أَكونَ بِدُعاءِ رَبّي شَقِيًّا** ﴿٤٨﴾ **فَلَمَّا اعتَزَلَهُم وَما يَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ وَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ وَكُلًّا جَعَلنا نَبِيًّا** ﴿٤٩﴾. مريم:49.

يظهر جليا أن الآية الكريمة الأولى، تروي لنا أن إبراهيم عليه السلام، أخبر قومه أنه سيعتزلهم وما يدعون من دون الله وسيجعل الدعاء لله وحده، و أما الآية الكريمة الثانية: فتقرر أن إبراهيم عليه السلام قد اعتزل قومه وما يعبدون من دون الله فانظر كيف وضع القرآن العبادة مكان الدعاء.[16]

ونذكر في الأخير أن العلماء المفسرين اختلفوا في مسألة حمل معنى العبادة على اللفظ او معنى الطلب والدعاء أو اعتبار جواز المعنيين من تقارب معنى اللفظين (الدعاء والعبادة).

الوجـــه الثـــــاني: بمعنى القول.

إنّ الاستعمال القرآني للدعاء بمعنى القول لم يخرج عن جنس ما استخدمه العرب بل ورد مطابقا لما في كلامها،وقال الشاعر عنترة بن شداد العبسي:

يدعون عـــنتر و الرمـــاح كأنها أشـــطان بئر في لبـــان الأدهـم.

يقول ابن منظور في معنى البيت : "معناه :يقولون :يا عنتر فدلت يدعون عليها".

[15] هارون ابن موسى، الوجوه و النظائر في القرآن الكريم، تح: حاتم صالح الضامن ، دط، مركز الثقافة و التراث، دبي الإمارات،2006 ، ص115.

[16] ينظر: محمد سعد صادق :صراع بين الحق و الباطل ، دط، دار اللواء للنشر والتوزيع ،الرياض السعودية 1987، ص84.

كما جاء في القرآن الكريم في معنى القول، في قوله تعالى:"﴿٤﴾**فَما كانَ دَعواهُم إِذ جاءَهُم**... ﴿٥﴾". يعني: ما كان قولهم إذ جاءهم عذابنا،ليتم القول :"﴿٤﴾...**إِلّا أَن قالوا إِنّا كُنّا ظالِمينَ** ﴿٥﴾". الأعراف:5

و واضح إن في سياق الآية تفسير القرآن بالقرآن فقد ناسب قوله تعالى : ﴿دعواهم﴾ ⟵ ﴿قالوا﴾

فبين أن" الدعوى هنا القول".[17]

الوجـــه الثـــــالث: بمعنى الاستعانة و الاستغاثة

إنّ علماء الأشباه والنظائر قد تفطنوا لتداخل معنى كل من الاستعانة والاستغاثة وتشابههما فكانوا في ذلك على ثلاثة أقسام:

أ- قسم حمل لفظ (دعا) أو بعض مشتقاته على معنى الاستغاثة دون الإشارة إلى معنى الاستعانة، و يمثل هذا القسم مقاتل ابن سليمان في الأشباه و النظائر ،الراغب الأصفهاني في معجم مفردات ألفاظ القرآن.

ب- القسم الثاني :على عكس ما ذهب إليه الفريق الأول ،فقد حمل لفظ (دعا) أو بعض مشتقاته على معنى الاستعانة و لم يشر إلى الاستغاثة مطلقا و ضم هذا القسم هارون بن موسى في كتابه الوجوه و النظائر.

ج- القسم الثالث :جمع بين معنى "الاستعانة والاستغاثة "كما هو في كتاب تهذيب اللغة للأزهري في بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي .

وبعد هذا نلاحظ أن دلالة لفظ الاستغاثة أوسع و أشمل من دلالة الاستعانة، و كلاهما طلب، و يحملان على الدعاء أيضا، إلاّ أن الاستغاثة "طلب الواقع في بلية " قال تعالى: ﴿٢٨﴾ ... **وَإِن يَستَغيثوا يُغاثوا بِماءٍ كَالمُهلِ يَشوِي الوُجوهَ بِئسَ الشَّرابُ وَساءَت مُرتَفَقًا** ﴿٢٩﴾.الكهف:29 .

و أكثر ما تجيء الاستغاثة لطلب النصرة كما جاء في معجم مفردات القرآن للأصفهاني ،في قوله تعالى:

﴿١٤﴾...**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ**...﴿١٥﴾.القصص.

و قوله عز وجل:﴿٨﴾ **إِذ تَستَغيثونَ رَبَّكُم فَاستَجابَ لَكُم أَنّي مُمِدُّكُم بِأَلفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُردِفينَ** ﴿٩﴾.الأنفال:9

[17] ينظر: محمد عبود زوين، الدعاء في القرآن الكريم، ،ص29.

و الاستجابة السريعة في هذه الآية و في الاستغاثة عموما، إشارة إلى أنها انتشال من أمر عظيم فقد الداعي فيه أمله بقدراته و علّقها بمغيثه بخالقه(المدعو/ المخاطب).

أما الاستعانة فالظاهر فيها الطلب والدعاء، إلاّ أنّ حال الطالب أي الداعي يكون أقل شدة من المستغيث ،فليس هناك بلاء واقع على المستعين، و إنّما يكون الطلب زيادة في إكمال الأمر المستعان عليه كما يظهر من قوله تعالى: ﴿٩٤﴾ **قالَ ما مَكَّنّي فيهِ رَبّي خَيرٌ فَأَعينوني بِقُوَّةٍ أَجعَل بَينَكُم وَبَينَهُم رَدمًا** ﴿٩٥﴾.الكهف :95.[18]

الوجـــه الرابـــــــع:بمعنى النـــــداء.

ذكر الأصفهاني الدعاء بمعنى النداء بقوله:" الدعاء كالنداء إلاّ أنّ النداء يقال ب"يا" أو "أيا" ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم،والدعاء لا يكاد يقال إلاّ إذا كان معه الاسم نحو: يا فلان،وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر،قال تعالى: ﴿١٧٠﴾ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴿١٧١﴾.البقرة:171

الوجـــــــه الخامس: بمعنى السؤال : تعالى: ﴿٤٤﴾ **قُل إِنَّما أُنذِرُكُم بِالوَحيِ وَلا يَسمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما يُنذَرونَ** ﴿٤٥﴾. الأنبياء :45

"يعني هنا النداء " و قال تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿٢﴾ **إِذ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا** ﴿٣﴾ **قالَ رَبِّ إِنّي وَهَنَ العَظمُ مِنّي وَاشتَعَلَ الرَّأسُ شَيبًا وَلَم أَكُن بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** ﴿٤﴾.مريم:04.أي" بنـــدائـك".

و هنا يظهر أن لفظ الدعاء يفسر النداء، والعكس يصح كذلك، لهذا كان معنى الدعاء ضمن وجوه النداء في القرآن.[19]
و ورد السؤال في القران الكريم على عشرين وجها، و السؤال بمعنى الدعاء يمكن أن يكون في بابين:

الأول: السؤال على جهة الاستفهام والاستعلام.

الثاني: السؤال على جهة الطلب والرغبة في حصول المراد.[20]

[18] ينظر: محمد محمود عبود زوين، الدعاء في القرأن الكريم، م س، ص 30.
[19] ينظر: م نفسه ، ص 32، 33.
[20] الفيروز آبادي ذي بصائر ذوي التمييز،ج3،ص162.

أ/أولا على جهة الاستعلام:

و مما جاء من آيات الذكر الكريم في الباب الأول قوله تعالى : ﴿**٥١**﴾ **وَيَومَ يَقولُ نادوا شُرَكائِيَ الَّذينَ زَعَمتُم فَدَعَوهُم فَلَم يَستَجيبوا لَهُم وَجَعَلنا بَينَهُم مَوبِقًا**﴿**٥٢**﴾.الكهف:52، يعني :فسألوهم أهم آلهة ؟ ﴿ ... **فَلَم يَستَجيبوا لَهُم** ... ﴾، بأنهم آلهة و قال تعالى على لسان بني إسرائيل في سؤالهم موسى:﴿ .. **قالوا ادع لنا ربّك**..﴾البقرة.:70 أي سل لنا أو استعلم لنا.[21]

ب/ ثانيا على جهة الطلب والرغبة:

كما أن السؤال يأخذ معنى الرجاء في حصول الشيء فيأتي دائما متعلقا بطلب ظاهر في سياق الآية ،قال تعالى: "﴿**٤٨**﴾ **وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ** ﴿**٤٩**﴾غافر:49.

" أي سلوا ربكم و اطلبوا إليه" ﴿**٤٨**﴾...**يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ** ﴿**٤٩**﴾.[22]

الوجـــــــه السادس:بمعنى العذاب و العقوبة و الموت

قال الله تعالى في وصف جهنم : ﴿**١٥**﴾ **نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى**﴿**١٦**﴾ **تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى**﴿**١٧**﴾.المعارج:17 أي تعذب ونقل عن بعض المفسرين قولهم أليست كالدعاء تعال،لكن دعوتها إياهم ما تفعل بهم من الأفاعيل".وهذا عين ما استخدمته العرب عند دعائها على شخص ما فتقول :" دعاك الله اي اماتك ،قول الأعرابي :دعاك الله: أي عذّبك"[23]

الوجـــــــه الســـــابع: بمعانـــي مختـلفة

إن السياق يلعب دورا هاما في توجيه دلالات النص القرآني أقصد هنا أوجه تعالق الألفاظ بين بعضها في مستوها الخطي التركيبي .لذا نلمح معان جديدة للدعاء من خلال اختلاف السياق الذي وردت فيه و هي كما يلي:

[21]هارون بن موسى، الوجوه و النظائر، ص315.

[22]ينظر: البلخي مقاتل ابن سليمان ،الأشباه و النظائر، تح عبد الله شحاته، ط1،الهيئة المصرية العامة، القاهرة، مصر، 1975، ج2، ص287.

[23]الفقيه الدامغاني، قاموس القرآن، تح عبد العزيز سيد الأهل، ط1،دار العلم للملايين، بيروت ، 1970، ص 175.

أ/الدعاء بمعنى الصـــــلاة: الصلاة في أشهر معانيها الدعاء و جاءت في القرآن بهذا المعنى في كثير من آياته ،قال تعالى: ﴿٢٧﴾ **وَاصبِر نَفسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدعونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ وَ العَشِيِّ يُريدونَ وَجهَهُ..**﴿٢٨﴾.الكهف:28. قال مجاهد في تفسير هذه الآية "يصلون الصلوات الخمسة".[24]

ب/ الدعاء بمعنى التمني: في قوله تعالى: ﴿٥٦﴾**لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ**﴿٥٧﴾.يس:57 أي بمعنى ما يتمنون؛ قيل إنه "راجع إلى معنى الدعاء أي ما يدّعيه أهل الجنة يأتيهم"نجد أنّ العرب استعملوا الدعاء بمعنى التمني في قولهم في قولهم "ادع علّي ما شئت ".

ج/ الدعاء بمعنى التسمية: والدعاء بهذا المعنى آت من معنى النداء،لأنّ النداء غالبا ما يكون بالاسم،والدعاء يأتي بمعنى النداء،فاستعمل الدعاء استعمال التسمية نحو دعوت ابني زيدا:أي سميته.

جاء في القرآن الكريم استعمال الدعاء بمعنى التسمية في قوله تعالى: ﴿٦٢﴾ **لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا**... ﴿٦٣﴾النور:63

اي سموه باسمه كما هو بينكم بل كنّوه و عظموا تسميته.

د/ الدعاء بمعنى اللسان: كما ورد في قوله تعالى: ﴿٧٧﴾ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴿٧٨﴾.المائدة: 78

ففي قوله تعالى :﴿**على لسان داوود**﴾. بمعنى في دعائه عليهم .

من خلال ما عرضنا سابقا يتجلى لنا أنّ الدعاء متعدد الوجوه وكثير النظائر كما تعددت المعاني للفظ الدعاء، نجد مقابل ذلك تعدد الألفاظ المقاربة لمعنى الدعاء سواء حملتها في صيغها أو داخل تراكيب الكلام إلّا أنه في سياق الكلام أفادت معنى لفظ الدعاء، و هي كثيرة منها :الصلاة، الابتهال، القنوت، التضرع، السلام،الحمد والشكر،التسبيح والذكر،التعوذ.

[24]الأزهري محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور ،تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب،دط، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،2001، باب العين و الدال (دَعَوَ).

الفصل الأول:

المقاربة اللسانية التداولية

المبحث الأول: ماهية اللسانيات التداولية:

لغة:مصطلح التداولية :عند العرب و الغرب

1- عند العرب: في المعاجم العربية القديمة:

ورد مصطلح التداولية في عدة معاجم عربية منها ما جاء في لسان العرب لابن منظور:« تداولنا الأمر، أخذناه بالدّول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تحاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة»[25].

قوله تعالى:"﴿**١٣٩**﴾...**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**...﴿**١٤٠**﴾ " آل عمران : 140. فسرها ابن كثير فقال أن الألم تارة على المسلمين و تارة على الكفار حين يقول:" أي نديل عليكم الأعداء تارة وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة، "و يؤكد السعدي فهم ابن كثير: " ومن الحكم في ذلك من هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم لطائفة أخرى".[26]

كما ورد في أساس البلاغة للزمخشري: دول": دالت له الدولة، ودالت الأيام، بكذا وأدال الله بني فلان من عدوهم ؛ جعل الكثرة لهم عليه...وأُديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأُديل المشركون على المسلمين يوم أحد...والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم... وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه يراوح بينهما". [27]

فنلاحظ أن المعاجم العربية لا تكاد تخرج في دلالاتها للجذر"دول" على معاني: التّحول والتّبدل والانتقال، سواء من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخرى، ممّا يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في الفعل؛ أي قطبين رئيسيين للتفاعل فكان لابد من تأثير و تأثر فينتج عنه التحوّل والتّغير والتّبدل والتّناقل.[28]

---

[25] ابن منظور : لسان العرب، تح أحمد عامر، حيذر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003، ط1، ج11، ص 252.

[26] ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، 2002، ج3، ص 542.

[27] جار الله الزمخشري ، أساس البلاغة ،تح: محمد باسل عيون السود عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، دار الكتب العلمية،بيروت –لبنان،تط 1998،ط1،ج1،ص303.

[28] عبد الرحمن بن ناصر السعدي:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تح:عبد الرحمن ابن معلا اللويحق ،مؤسسة الرسالة 2000،ط1،ص201/209.

عند اللسانيين العرب المحدثين:

ورد ذكر مصطلح التداولية في **معجم اللغة النظري لمحمد علي الخولي** مرادفا للسيمائيات(علم الرموز) فيعرفه بقوله: «دراسة الرموز اللغوية و غير اللغوية» نجد هذا التعريف يطابق تماما ما يصدر عن أبستمولوجيا شارل موريس1938،التي كانت المنطلق الأولي للتداولية من خلال ما قدمته من تفسير للعلامة اللغوية بأقطابها الثلاث (التركيب، الدلالة، التداول).[29]

كما ورد في **معجم المصطلحات الأدبية و اللغوية لعلي عزت عياد** تعريف له: « مذهب فلسفي أمريكي أسسه وليم جيمس(1910/1842) و تشارلز بيرس(1939/1914)، مؤداه أن معيار صدق الفكرة أو الرأي هو النتيجة العملية التي تتركب عليها من حيث كونها مفيدة أو ضارة»[30]

إذن نلاحظ أن محمد علي الخولي حين عرف التداولية أعطاها نفس مفهوم سيمائيات بيرس.

أما علي عزت عياد فالملاحظ عنده أنه عرفها بالمفهوم الفلسفي المحض.

وترجمةُ مصطلح"pragmatique"، يذكر بالفعل" تَدَاوَل": "تداول النّاس كذا بينهم؛ يفيد معنى تناقله الناس وأداروه بينهم، ومن المعروف أيضا أنّ مفهوم النقل والدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة ، فيقال: " نقل الكلام عن قائليه" بمعنى رواه عنه، ويقال دار على الألسن بمعنى جرى عليها، فالنّقل والدّوران يدلاّن في استخدامهما اللغوي على معنى التّواصل وفي استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين، فيكون التّداول جامعا بين اثنين هما:

التّواصل والتّفاعل فمقتضى التداول إذن أن يكون القول المتلفظ موصولا بالفعل الإجرائي المنجز.[31]

إلا أنّ الباحث الجزائري "عبد الملك مرتاض "يصنف بين دلالة كل من مصطلحي "pragmatisme" و "pragmatique "للصيغة العربية، فيكون التداول للدّلالة على الأول، أي "تداول اللغة" ،وتكون "التداولية"

[29] محمد علي الخولي، معجم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان،تط1982، ط1، ص24.

[30] عزت علي عياد : معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، دار المريخ للنشر، الرياض السعودية، 1984، ص32.

[31] ينظر :طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب 2000، ط2، ص 27.

للدلالة على المفهوم الثاني المرتبط بالنّزعة المذهبية الفلسفية القائمة على مبدأ النفعية.[32] فالملاحظ أن هذا المصطلح ترجم إلى عدة مفاهيم منها : النفعية، الذرائعية، الإتصالية، التبادلية.

عند الغرب :

التداوليات مصطلح مركب من مورفيمين، الأول، التداول من الفعل تداول، وهي من صيغة تفاعل والتي تحمل معنى المشاركة، والثاني اللاحقة "يات" والتي تشير إلى البعد المنهجي والعلمي، التداولية علم يتصل بالظاهرة اللسانية، ومن هذه الزاوية المعرفية، فهو علم حديث،غير أن البحث فيه قديم، قدم جذور الدرس اللسانياستخدمها فلاسفة اليونان منذ العهود الأولى للدلالة على العلمية، وانتقل هذا الدال إلى اللاتنيةبما يقارب شكلا المصطلح اليوناني،فلفظة« pragmaticus »اللاتينية هي امتداد لذلك الاصطلاح العلمي "pragmatique" الذي يعني العمل أو الفعل"Action"، لكن هذا لا ينفي وجود دلالات أخرى اكتسبها المصطلح على تباين التوجهات و اختلاف زوايا النظر لتعريف مفهومه. خاصة في الترجمة العربية فهناك: الذرائعية، التداولية، البراغماتية الوظيفية، الاستعمالية، التخاطبية، النفعية، التبادلية.....الخ.[33]

أما أفضل ترجمة له فهو التداولية لأنه هو المصطلح الأكثر شيوعا و تناولا بين الباحثين اللسانيين و الدارسين للعلوم اللسانية ،كما أنه يحيل على التفاعل و التحاور و التداول بين أطراف الخطاب المنجزة له.[34]

أما مصطلح الذرائعية فيدل على مدرسة فلسفية ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر مع جون ديوي وويليام جيمس اللذين يريان بأن الحقيقة تكمن في طابعها المنفعي والمصلحي.

ويعني هذا أن الحقيقة الصادقة واليقينية هي التي تحقق المنفعة والمصلحة للإنسان، وتحقق المشاريع المستقبلية الهادفة، وتساهم في تنمية و رقي الافراد و المجتمع، وذلك عن طريق تحقيق المردودية والإنتاجية، والارتباط بالحياة العملية والواقعية المفيدة، فكل ما هو حقيقي يعود بالمنفعة و المصلحة.[35]

---

[32] ينظر : – حامد خليل، المنطق البراغماتي،عند بيرس،مؤسس الحركة البراغماتية، دار الينابيع مصر،تط 1996، ط1، ص 196.

[33] ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م، ط2، ص 102.

[34] ينظر : نواري سعودي أبو زيد : في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص 18.

[35] الطاهر لوصيف، "التداولية البنائية"، مجلة اللغة العربية، جامعة الجزائر، ع17، ص 6.

ونجد في القاموس الموسوعي للتداولية لآن ربول وجاك موشلر أنه منذ عشرين عـاما جرى استعمال لفظـة التـداولية في الأدبيات اللسانية .

فورد في متنه أنّ التداولية:« دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تعنى به تحديدا اللسانيات ».

ويعرفها آن ماري دبير وفرانسوا ريكانتي كالآتي: «التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية».[36]

أما فرانسيس جاك(Francis Jaque) فقد عرفها بقوله: «تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية،وتواصلية واجتماعية معا»[37]

فالذي يعنيها في تعريفه أن التداولية تتجاوز الدّراسة البنيوية (السكونية) للّغة إلى دراستها في سياق استعمالها، ومراعاة كل ما يحيط بها من أحوال وما تخضع له من مقاصد المتكلّمين.

[36] ينظر: جاك موشلر، آن ريبول، مرا : خالد ميلاد، القاموس الموسوعي للتداولية، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2012، ط2، ص 21.
[37] م س ، ص 22 .

المبحث الثاني: الخلفية التاريخية للسانيات التداولية:

يرجع تاريخ ظهور مصطلح التداولية إلى حكم شارل السابع حين اصدر خطابا ينص على تنظيم الكنيسة بعد سنة 1713قام بتمديده لابنه البكر ليتقلد عرش إمبراطورية أوروبا الوسطى فأطلق اسما عليه كان: pragmatique de sanctionكما أصدره كذلك ملك اسبانيا فرناند السابع1830 كقانون تعديلي لدستور بلاده.

فكان أُولى مجالات ظهور مصطلح براغما تيك مرتبطا بتنظيم مجال الحياة السياسية و أُمور الحكم؛ واستمر تداول مصطلح التداولية إلى حدود الستينات القرن العشرين حيث أصبح يحيل إلى الدراسات الفلسفية للكلام العادي الذي استطاع تحويل هذا المصطلح من مصطلح لغوي تشريعي إلى مجال لتشريع أفعال الكلامهو الفيلسوف الانجليزي "اوستين" .[38]

إن أقدم ما ذهبت إليه النظريات في تحديد ماهية التداولية ما جاء به "شارل موريس" 1938 في أن التداولية هي ميدان من ميدان السيمائية، التي تتناول العلاقة بين العلامات و مستعمليها: pragmatiqueفجاء {الفيلسوف الأمريكي شارل موريس}في مقال كتبه لموسوعة علمية يحدد فيها مختلف الطرق أو العلوم التي تعالج اللغة، وهي: «علم التراكيب الذي يتوقف عند دراسة العلاقة بين الوحدات اللغوية ،علم الدلالة الذي يعالج الدلالة اللغوية ؛ أما عن التداولية فهي علاقة الأدلة بمستعمليها، و بالنسبة له كانت التداولية محددة بدراسة الضمائر (الشخص الأول و الثاني)،و دراسة ظروف المكان و الزمان (هنا، الآن) و كل التعابير التي تستمد دلالتها من معطياتها خارجة جزئيا عن اللغة نفسها ،أي أنه يدرس الحالة التي تنتج فيها عملية التواصل ».[39]

كما جاء بعده **كارناب** فاقترح تعريف ثلاثي الأبعاد للبحث السيمولوجي فقال:« إذا أحلنا في بحث ما عن الذات المتكلمة بشكل ظاهر أو أحلنا على العموم على لسان المستعمل للسان محللين التعابير وما تعنيه لا غير فإن الحقل الذي نحن فيه هو حقل علم الدلالة، و إذا غضضنا الطرف أخيرا عن المعينات محللين العلاقات بين التعابير لا غير فإن الحقل الذي نحن فيه هو حقل التركيب المنطقي».

[38] ينظر : بودريس درهمان، مدخل إلى النظرية التداولية، مجلة علوم التربية، ص87.

[39] George Yule, The study of Language, Cambridge UniversityPress, 1997.

نلاحظ من هذه التعريفات أن التداولية هي احد مكونات اللغة إلى جانب المكونين التركيبي و الدلالي، إذن هي بالإجماع دراسة علاقة اللغة بمستعمليها وظروف إنتاج الخطابات و كيفية التأثير في متلقيها.[40]

ونقول أن التداولية تختص بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم أو الكاتب و يفسره المستمع أو القارئ ؛لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة فالتداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم.[41]

قال عنها جورج يول :« يتضمن ميدان الدراسة هذا بالضرورة تفسير ما يعنيه الناس في سياق معينو كيفية تأثير السياق في ما يقال، كما يتطلب أيضا التمعن في الآلية التي يتكلمون بها إليه ،وأين، متى، تحت أيّة ظروف». نلاحظ أن جورج يول يرى أن التداولية تكمن فقط في تناول البحث في السياق المرتبط بالقول أي الظروف التي تنتج القول .

كما زاد في فكرته فقال أنها كذلك تسعى لدراسة الكيفية التي يصوغ من خلالها المستمعون استدلالات حول ما يقال للوصول إلى تفسير المعنى الذي يقصده المتكلم.

الأصول المعرفية:

في بدايات ظهور الفكر التداولي لم يكن له أية علاقة بالفكر اللساني ، بما أنه كانت تنتمي إلى سلسلة من الأسئلة الفلسفية في جوهرها انطلقت من سؤال فلسفة اللغة.

يعود ظهور و تشكل حقل التداولية أو بالأحرى الذرائعية كمصطلح فلسفي؛في المقام الأول إلى الأزمة التي عرفتها الفلسفة نهاية القرن19،فقد رجعت مختلف التيارات الفكرية إلى إثارة التساؤلات حول اللغة ،فكان أن تميز بإعادة النظر في القصور الذي شاب كل من الرياضيات و المنطق و المذهب النفسي (فريجه،هوسرل،برين تاتو) كما ساهمت حلقة براغ في الخطابات للنشاط اللغوي الإنساني.[42]

[40] ينظر: فرنسوا أرمينكو : المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، مركز الانتماء القومي، الرباط المغرب، 1986، ص 12.

[41] ينظر: م ن ص 12.

[42] ينظر : – ماري آن بافو، رج إلياس فاني، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الدرائعية ، تر:محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت تط2012، ط1، ص 350.

فكان أن حصل منعطف حاسم، و هو دخول الفكر اللساني في تساؤلات فلسفية جوهرية،فزادت حساسية المنظّرين؛ وذلك للأزمة التي خلفها التيار العقلاني الفلسفي، حتى تأثروا باللغة فانبثق منها عدة اكتشافات بحثية في الرياضيات بوجود لا محدودية المعنى، فهو الطابع الشكلي للمعنى، فتوصلوا لجعل لغة تامة تمنع وجود صياغة متنافرات لغوية في المستقبل، إن اللغات الطبيعية(اللغة العادية)لا تناسب تماما لغة الحساب،لأن لها خصائص تغنيها عن الخضوع للرياضيات مثل الالتباس، الإبهام، الذاتية، القرائن الزمانية و المكانية، فهي مجموعة الخصائص المكونة للظاهرة التداولية للغة العادية.

لذا نتج عن هذا الوعي حركية نقدية فسموه "المنعطف اللساني للفلسفة"، فكان المقصود بذلك هو تحديد نقطة التحول للمشروع الفلسفي.

الأصول الفلسفية اللسانية: تطورت الفلسفة التحليلية في بادئ الأمر مع أعمال فريجه بفكره في اختزال علم الحساب في العمليات المنطقية، ثم أعاد فتجنشتاين(1951/1889) تعريف الفلسفة بعد أن عدها نشاطا توضيحيا و قصر مجالها على منطق القضايا بمعنى أن أي قضية تقارن بأداة التحليل الجدول وجب أن تمثل حالة العالم؛ كما ساهم "راسل"(1970/1872)في كتابه أصول الرياضيات،في إعادة تأسيس الرياضيات على أساس منطقي، و بتطويره لنظرية الأوصاف التي جاءت كرد فعل على النظرية الاختزالية المنطقية، فنشأ تيار ثان داخل الفلسفة التحليلية، وعمل هذا الأخير على تطوير بعض الأسس في خاصية مهمة للشكل اللغوي و هو الفكر فكان موضوع بحثهم صور اعتيادية للغة، فكان كل من ج . أ. مور ،ج.رايل، ب.ف..ستراوسن ،وس.ف. تولين،ج.ل.اوستين، أن عملوا على تطوير الدرس الفلسفي اللساني.[43]

[43] ينظر : آن بافو، رج إلياس فاني، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الدرائعية، تر:محمد الراضي ، ص 351.

المبحث الثالث: المحاور الكبرى للتداولية :

التداولية تعنى بدراسة الجانب الإستعمالي للغة فوظيفتها تكمن كما حددتها أوركيوني :"في استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثية :المرسل، المتلقي، الوظيفة التبليغية"[44]

إن أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق التي تؤوّل فيه الجملة و هنا يتجلى العنصر الرابط بين مختلف النظريات والتوجهات التي شكلت ما نسميه التداولية، و هو السياق"Contexte". فاختلاف الزاوية التي ينظر من خلالها إلى السياق، هو الذي جعل تلك النظريات تختلف فيما بينها في تحديد ماهية التداولية؛ فمنهم من يرى أنها:"هي الأقوال التي تتحول إلى أفعال ذات صبغة و امتداد اجتماعيين، بمجرد التلفظ بها وفق سياقات محددة." و منهم من يلخص التداولية في دراسة الآثار التي تظهر في الخطاب، و يدرس هؤلاء أثر الذاتية في الخطاب من خلال الضمائر و الظروف المبهمة "Déictiques". و منهم من يلخصها في مجموعة من قوانين الخطاب "Lois du discours" أوأحكام المخاطبة "Maximesconversationnelles" على حد تعبير الفيلسوف جريس– التي تضفي على الخطاب صيغة ضمنية أو تلميحية، و ذلك من خلال دراسة الأقوال الضمنية " Les énonces implicites"كالافتراضات المسبقة "Présupposes"و الأقوال المضمرة.[45]

إن التداوليين ينظرون إلى اللغة على أنها لعبة Jeux de langage، و يقصد بها الصبغة المؤسساتية للغة أثناء الاستعمال، فعندما يتكلم الإنسان، فقد يخضع أقوله لمجموعة من القواعد الضمنية تجعله يميز بين الكلام "السوي" و غيره، مثلما هو الحال بالنسبة للاعب الشطرنج، و هذا ما يفسر استخدام مصطلح استراتيجيات الخطاب.

اختصر منغينو"Mangonneau" التداولية وفق هذا التصور في أنماط ثلاثة : القانون و المسرح و اللعبة. إن الكلام باعتباره فعلا متحققا لا ينفصل عن المؤسسة إذ مجرد التلفظ بالأمر، يضفي على المتكلم مرتبة الأمر، فيضع غيره في مرتبة المأمور، و هذا قابل للتحقيق وفق شروط تحددها أعراف كل لغة. و هذا يجرنا إلى الحديث عن التعاقد الذي يمكن المتكلمين من التعارف على الصيغ الكلامية المناسبة لكل حال من أحوال الخطاب.

[44] ينظر : – أوركيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، تر : محمد نظيف، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،تط 2007، دط، ص 42.
[45] ينظر : – فرانسوأرمينكو : المقاربة التداولية، ص 05.

وفقا لما يلعبه السياق من دور هام في تحديد سلّمية التفاعلية الخطابية التداولية للغة فعليه يمكننا تحديد درجات التداولية.[46]

و يعد الهولندي هانسون أول من حاول التوحيد بطريقة نظامية و تجزئة مختلف المكونات التي تطورت لحد الآن بطريقة مستقلة.[47]

أ/ الدرجات الثلاث للتداولية:

1- التداولية من الدرجة الأولى:نظرية الحديث:

إن أشهر من نظر لهذه النظرية العالم اللغوي الفرنسي إميل بنفنسيت"E.Benveniste" الذي أكد على ضرورة التمييز بين اللغة كسجل من الأدلة ونظام تتركب فيه هذه الأدلة و اللغة كنشاط يتحقق من خلال وقائع الخطاب التي تخصصها علامات خاصة، تلك العلامات التي يسميها بنفنيست "المؤشرات"، يكمن دورها في تصيير اللغة خطابا فعليا. هذا التعبير يسميه الحديث "Enonciation" وهو إجراء اللغة و تحقيقها من خلال فعل كلامي فردي.[48]

يعكف الدارسون في هذا المستوى على دراسة البصمات التي تشير إلى عنصر الذاتية في اللغة.

2- التداولية من الدرجة الثانية : نظرية قوانين الخطاب.

تتضمن دراسة الأسلوب الذي يرتبط بقضية مطروحة، حيث تكون هذه الأخيرة متباينة عن الدلالة الحقيقية للقول، و هي تدرس كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى مستوى التلميح، بالسعي وراء استنباط و معرفة العمليات المتسببة في ذلك فهذه النظرية تنظر إلى اللغة باعتبارها مجموعة من الاقتراحات المسبقة و من الأقوال المضمرة و الاحتجاج.[49]

---

[46] ينظر : - م.س، فرانسوأرمينكو : المقاربة التداولية، ص 10.

[47] Orechioni, c.k :op-cite-p185.

[48] ينظر : - جان سيرفوني، الملفوظية، تر. قاسم مقداد منشورات اتحاد كتاب العرب، تط 1998، دط، ص22، 24،23.

[49] ينظر : -ينظر: عمر بلخير :تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ،ط1،تط2003،ص12.

3- التداولية من الدرجة الثالثة : نظرية أفعال الكلام:La théorie des actes du langage

تنطلق هذه النظرية من مسلمة مفادها أن الأقوال الصادرة عن المتكلمين، ضمن وضعيات محددة، تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية.

ترجع هذه النظرية في أول عهدها إلى الفلاسفة التحليليين الإنجليز أمثال أوستين (Austin) و تلميذه سيرل اللذان بينا أن اللغة ليست بنى و دلالات فقط، بل هي أيضا أفعال كلامية ينجزها المتكلم ليؤدي بها أغراضا، فهو عمل يطمح المتكلم من خلاله إلى إحداث تغيير معين في سلوك المخاطب بالفعل أو بالكلام.[50]

تقول أوركيوني في هذا الإطار : «إن الكلام هو بدون شك، تبادل للمعلومات، ولكنه أيضا إنجاز لأفعال مسّيرة وفق مجموعة من القواعد (بعضها كلية، حسب هابرماس (Habermas) من شأنها تغيير وضعية المتلقي و تغيير منظومة معتقداته و/أو وضعه السلوكي، و ينجز عن ذلك أن فهم الكلام و إدراكه يعني تشخيص مضمونه الإخباري و تحديد غرضه التداولي، أي قيمته و قوته الإنجازية»[51]

يتكون الفعل الكلامي، حسب أوستين، من :

- فعل لغوي acte locutoire : لا تدخن.
- فعل إنجازي acte illocutoire : و هو النهي في المثال السابق.
- الفعل التأثيري acte perlocutoire : و يتمثل في رد فعل المخاطب بالاستجابة أو الرفض.

ولقد وسّع سيرل نظرية أفعال الكلام، فأوضح لكل فعل شروط إنجازه، ووضع مجموعة من القواعد تتحول بها الأفعال الكلامية المباشرة إلى أفعال غير المباشرة إضافة إلى هذه التقسيمات الثلاثة، هناك أخيرا، مجموعة من التحليلات اللغوية تندرج ضمن الدراسات التداولية، و تهتم بالخطاب بصفته نصا تحدده قواعد معينة سواء أكنا نهتم بالمحادثة أو بالمحاجة أو بالنصوص بمختلف أنواعها، حيث تطورت منذ سنوات قليلة دراسات يمكن إدراجها فيما يسمى اليوم اللسانيات النصية "La linguistique textuelle".[52]

---

[50] ينظر:مرجع نفسه، ص 13.

[51] فرانسوأرمينكو، المقاربة التداولية، ص 41.

[52] ينظر : – فان دايك، النص والسياق : استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر : عبد القادر قنيني الدار البيضاء، إفريقيا الشرق الأوسط، تط 2000، ط1، ص 266.

ب/ الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي :(التلفظ{الإشارات}، الافتراض المسبق،الاستلزام الحواري، الأفعال الكلامية).

- **نظرية التلفظ:** التلفظ هو ترجمة للمصطلح الفرنسي "énonciation" الذي أطلقه اللساني الفرنسي إميل بينفنست (1976/1902) في كتابه اللسانيات العامة و اللسانيات الفرنسية.

و مصطلح التلفظ يقابل كلمة التلفظ بالمعنى الأكثر شيوعا لهذه العبارة مثلما تقابل صناعة الشيء المصنوع و هي فعل الاستخدام الفردي للسان، أما مصطلح الملفوظ فهو يعني نتيجة هذا الفعل.

ولم تعد للغة وظيفة الإبلاغ فقط ،كما عرف مع اللسانيات البنوية و الوظيفية و غيرها منذ سوسير بل أصبحت تتعد كونها تحمل معلومات قصد الإبلاغ إلى طرح قواعد لعب تحتك احتكاكا كبيرا مع الحياة اليومية ومن هذا المنطلق أخذت هذه النظرية تسميات جمة منها ما طرحته مريم فرنسيس "عملية القول"و "آلية الكلام"و" آلية التخاطب" أما بالإنجليزية"énonciation".

ويتأسس منظور بينفنست من خلال رؤيته للغة بوصفها نظاما مجردا أو طاقة مخزونة في ذهن الإنسان، و هي لا تتحول إلى كلام حقيقي، و لا إلى نصّ؛إلا من خلال عملية التلفظ أو التحدث ذاتها .

وقد حصد من خلال هذه النظرية جملة من المفاهيم في مقدمتها التقابل النظري بين التلفظ و الملفوظ"énonciation /énonce".

مصطلح الملفوظ:هو مجموع الوقائع الكلامية أو اللغوية التي يقوم بها المتكلم و هو تمثيل جزئي للتلفظ مؤكدا أو آمرا أو مفترضا.

يرى لاينس: «أن الملفوظ وحدة قابلة للوصف اللساني».

أما هاريس فعرّفه بـ:« أن الملفوظ هو كل جزء من أجزاء الكلام يقوم به متكلم و قبل هذا الجزء و بعده يوجد صمت من قبل المتكلم ».

نلاحظ من خلال هذه التعريفات أنها تتبنى فكرة أن الملفوظ وحدة كبرى قابلة للوصف اللساني متجاوزة بذلك حدود الجملة النحوية،كما أن الملفوظ يشكل وحدة متكاملة دلاليا .[53]

الإشاريات : أولاً. الإشاريات (Deictics):

إن الإشاريات مثل أسماء الإشارة، وأسماء الموصول، والضمائر، وظروف الزمان والمكان؛ من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، لذلك فقد كان العرب سابقاً يطلقون عليها المبهمات.إلا أنها عامل هام في تكوين بنية الخطاب فلها دور مهم في الإحالة إلى المعلومات.[54]

كما أنّ الإشاريات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه. فكل فعل لغوي يكون ناجحاً إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة، وإذا كان للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة.[55]

فالمتكلم يشكل المركز الذي من خلاله يمكن أن نحدد مسألة القرب والبعد المادي والاجتماعي بالنسبة لأطراف الخطاب، ولتوضيح هذا الكلام سنعمد إلى أصناف الإشاريات وسنوضح من خلالها المفاهيم التداولية التي تكتنف كل صنف وهي: الإشاريات الشخصية، الإشاريات الزمانية، الإشاريات المكانية، الإشاريات الاجتماعية، الإشاريات الخطابية.

ويرى بعض الباحثين أن (ال) التي للتعريف تدخل في العناصر الإشارية؛ لأنها تقوم بالوظيفة التي يقوم بها اسم الإشارة، والفرق بينهما أن اسم الإشارة يدل عليها بالدلالة على القرب والبعد، أما(ال) التي للتعريف فهي غير موسومة بقرب ولا بعد.

1- الإشاريات الشخصية:

وتشمل ضمائر المتكلم، والمخاطب،والغائب، فهذه الضمائر عناصر إشارية، لأن مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه.

مثل:أنا نعسان، فالسياق هو الذي يحدد إحالة الضمير (أنا).

[53] ينظر : مرجع نفسه، ص 29-30.

[54] ينظر : - فوانسوازأرمينكو، المقاربة التداولية، ص 41.

[55] ينظر :عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004، ص 81.

ولا بد في الإحالة من تحقق شرط الصدق فلو قالت امرأة: أنا أم نابليون، فليس بكاف أن يكون مرجع الضمير هو تلك المرأة بل لا بد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع، بأن تكون هذه المرأة هي أم نابليون فعلاً، وأن تكون الجملة قيلت في الظروف التاريخية المناسبة.[56]

وقد ينشأ نوع من اللبس في استخدام الضمائر، إذا تعدد الأشخاص فيؤدي هذا إلى تعدد في إحالات الضمائر، مثل: دخل خالد القاعة فرأى بكراً جالساً ورآه بكر فابتسم له وصافحهُ.

فإن إحالة الضمير في (ابتسم) و(صافحه) فيها نوع من اللبس في أنها يمكن أن تعود على خالد أو على بكر.

2- الإشاريات الزمانية:هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التلفظ، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ.
فإذا وجدنا إعلاناً: ستبدأ التخفيضات الأسبوع القادم. فإننا إذا لم نعلم زمن الخطاب(الإعلان) فإننا لا نعرف هل التخفيضات ستبدأ، أم مضى الأسبوع وبدأت التخفيضات، كما إننا لا نستطيع تحديده على وجه الدقة إذا لم نعلم وقت الإعلان تماماً.

وقد تستغرق الإحالة إلى الزمن المدة الزمنية كلها كأن يقال اليوم الاثنين، وقد تستغرق مدة محددة من الزمان، كأن يقال ضرب زيد عمراً يوم الخميس،فالضرب يستغرق جزء من اليوم.

وقد يتسع مدى بعض العناصر الإشارية إلى الزمان فيتجاوز الزمان المحدد له عرفاً إلى زمان أوسع فكلمة اليوم في قولنا بنات اليوم تشمل العصر الذي نعيش فيه، ولا يتحدد بيوم مدته أربع وعشرون ساعة. وكل ذلك موكول إلى السياق الذي تستخدم فيه هذه العناصر الإشارية إلى الزمان.

3- الإشاريات المكانية:وهي كلمات الإشارة نحو هذا وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية، وكذلك هنا وهناك من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم وسائر ظروف المكان مثل: فوق، وتحت، أمام، وخلف.
وهذه العناصر الإشارية إلى الأماكن تعتمد في استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً أو

[56] ينظر : فوانسوا أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 42-45.

بعداً أو وجهة. ولا نستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشارية إلا إذا وقفنا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان ، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه.[57]

فلو قال شخص: أحب أن أعمل هنا.

فهل يعني: في هذا المكتب، أو في هذه المؤسسة، أوفي هذا المبنى، أو في هذه القرية، أو في هذه الدولة...فكلمة هنا تعبير إشاري، وإن كان يشير إلى شيء قريب من المتكلم إلا إنه قد يكون بعيداً عن المخاطب، فلا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلم الإشارة إليه.

وتتعقد المسألة إذا كان المخاطب لا يرى المتكلم، مثلاً حين يصف شخص لصديقه مكانه عبر الهاتف: تقع الجامعة على يميني.

فبالرغم من اكتمال الخطاب لغة، وبالرغم من معرفة المرسل إليه بموقع الجامعة، إلا أنه يصعب معرفة موقع المرسل بالتحديد، فلا يقدر على ذلك إلا إذا استطاع أن يعرف اتجاه سير المرسل.

4- إشاريات الخطاب:

هناك إشاريات للخطاب تعد من خواص الخطاب وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم مثل:ومهما يكن من أمر، لكن، بل، فضلاً عن ذلك، من ثَمّ...وهذه الإشاريات قد تلتبس بالإحالة إلى سابق أو لاحق، وقد تستعار إشاريات الزمان والمكان لتستخدم إشاريات للخطاب فكما يقال: الأسبوع الماضي يمكن أن يقال: الفصل الماضي من الكتاب أو الرأي السابق، أو يقال: هذا النص وتلك القصة.[58]

5- الإشاريات الاجتماعية:

وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة غير رسمية، أي علاقة صداقة أو ألفة، والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر سناً

[57] ينظر:جان سرفوني الملفوظية، ص 30-30.

[58] ينظر : نحلة محمود أحمد ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 23.

ومقاماً من المتكلم، أو مراعاة للمسافة الاجتماعية بينهما فتشمل الألقاب، فخامة الرئيس، جلالة الملك، سمو الأمير، والسيد والسيدة. أما العلاقة غير الرسمية فتشمل النداء بالاسم المجرد.[59]

فمسألة تحديد نوع العلاقة الاجتماعية بين أطراف الخطاب مسألة نسبية، تختلف من موقف لآخر، ومن حيث قرب أو بعد الأطراف، سواء كان القرب أو البعد مادياً أو اجتماعياً أو نفسياً.

متضمنات القول:presupposition.

إن الوصول إلى إدراك طبيعة متضمنات القول تفرض علينا المعرفة و الإلمام بقوانين الخطاب فالغاية من ذلك الفهم الصحيح للجانب الضمني و الخفي من الكلام ،فكلام المتكلم دائما لا يكون صريحا بل يعني حمل المتلقي على فك الشفرات الخفية المتواضع عليها بالسنن اللساني إلى أن يتوصل إليها عبر معرفته الضمنية بقواعد اللغة .مثلا: عمر كف عن تناول المخدرات، هذا يعني أن عمر كان يتعاطى المخدرات من قبل.

إنّ قوانين الخطاب برمتها تشمل مجمل الشروط النفسية و الموضوعية التي تحيط بالعملية التخاطبية و الخطاب.

ونجد بعض الظواهر اللغوية و الخطابية لا تتم معرفتها إلا إذا تحكم و أدرك الباحث قوانين الخطاب و ضوابط عملية التخاطب، حيث تلعب هذه الأخيرة دور تحويل الكلام من مدلوله اللفظي الصريح إلى مدلول الضمني التلميحي .

كما أن بعض المقولات بالنظر إلى المثال السابق تدخل ضمن ما يسميه علماء الدلالة بالافتراض المسبق.

إنّ الوظيفة الأساسية للغة هي الإخبار و التبليغ، لكن نظرا لاختلاف نظرة كل مجتمع إلى علاقة الإنسان بالعالم و كيفية تمثيله، اختلفوا في قَبول الأفكار و عدم قَبولها عن الآخر، لذا كان من البداهة بروز ظواهر خطابية في كل اللغات الطبيعية، فهي تتناول على جميع مستويات التخاطب، فنجد منها الخطاب العادي المباشر و الخطاب الراقي كالنصوص الأدبية .....الخ.

إنَّ قوانين الخطاب خاصة قانوني الإخبار و الشمولية يتدخلان في تحديد المفاهيم و طبيعة الأقوال و مسار توجيه الخطاب الذي يحمل بصفته متضمنات القول، بناء على افتراضات مسبقة ينطلق منها للحكم على كيفية ترتيب المعاني و المدلولات الذهنية المرسلة إلى المخاطب .[60]

[59] ينظر: نحلة محمود أحمد ،م س ، ص 24.

[60] ينظر : مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسان العربي، دار الطليعة، بيروت، تط 2005،ط1، ص 30-31.

الافتراض المسبق:présuppose.

إن المفترض المسبق هو نتيجة عملية الافتراض المسبق؛ فهو أحد أبرز أشكال الضمني، كما في المثال التالي (شاهد محمد قلعة تلمسان) فالمفترض المسبق الوجودي (توجد قلعة في تلمسان) .هناك مفترضات مسبقة مرتبطة بالتنظيم الموضوعاتي للملفوظ:(قطع خالد الجنوب على الدراجة النارية).

(المطروح هو: قطع الجنوب)،غير أنّ هذه العبارة من المفترضات غير مسجلة في الملفوظ،فهو يتوقف على الكيفية التي يتوالد بها النص.

إن المفترض المسبق هو قول يقبل أن يصاغ في صيغة الاستفهام و النفي،مثال: عمر كف عن تناول المخدرات تحويله إلى استفهام يعطينا ما يلي:هل كف عمر عن تناول المخدرات؟، ثم إلى النفي : لم يكف عمر عن تناول المخدرات.

فوظيفة الافتراض المسبق تكمن في جعل الخطاب يسير بصفة متسلسلة غير منقطعة، هذا من جهة، و من جهة أخرى، فهو يضمن التماسك العضوي للخطاب.

لقد تساءل الدارسون عن منزلة المفترضات المسبقة، أهي محتويات أم شروط استعمال الملفوظ؟ هناك رأى الدراسون أن هناك مفترضات مسبقة ثاويه في الملفوظ لا يجب التشديد عليها تفاديا لحصر المتلفظ المشترك، و هناك أخرى مرتبطة بتلفظها، فهي تتوقف على الظروف التي يجب أن تتحقق لكي ينجح الفعل اللغوي الذي يزعم الملفوظ إنجازه، مثلا لدى طرح المتلقي سؤالا من الأحرى أن لا يكون عارفا بالجواب، و أن المتلفظ المشترك يمكنه التعبير،يمكن هنا له أن يشارك في دحض المفترض السابق باتخاذ موقف العدوانية كأن يقول: لماذا تطلب مني هذا؟، لكنك تعرف هذا؟.[61]

تقول "اركيوني" مُعّرفة له:« هو تلك المعلومات التي لم يفصح عنها،فإنها و بطرق آلية مدرجة في القول الذي يتضمنها أصلا بغض النظر عن خصوصيته».[62]

كما يطلق على الافتراض المسبق مصطلح الإضمارات التداولية "présupposition"ومفادهاانطلاق المتخاطبين من معطيات معرفية قاعدية لتحقيق الفهم .

وقد برزت دراسة الافتراض المسبق في بداية الثمانينات عندما بدأت الشروحات التداولية تؤخذ جديا كبدائل للشروحات الدلالية في دراسة المعنى.

كما يرتبط هذا المفهوم بأعمال الفيلسوف "ستروسن" من جامعة اوكسفورد الذي أعاد تقديم المفهوم الذي طرحه عالم الرياضيات الألماني "فريجه" 1892.

---

[61] نحلة محمود أحمد ، آفاق جديدة، ص 26-27.

[62] Orechioni, c.k :op-cite-p205.

و يرى التداوليون :« أن الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية الإبلاغ و التواصل،ففي التعليميات تم الاعتراف بدور الافتراضات المسبقة في تعليم الأطفال أو ما يمكن عدّه قاعدة تداولية للتعليم بالكفايات إذ ينطلق عادة من المكتسبات السابقة في بناء مناهج دراسية متكاملة و مترابطة من حيث الأنشطة و المهارات مما سيقلل من صور التواصل التعليمي السيء بين المعلمين و المتعلمين »[63]

الأقوال المضمرة:les sous-entendus تعرف بالنمط الثاني من متضمنات القول، ترتبط بوضعية الخطاب و مقامه، على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية .

تقول "اركيوني" : "القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها،و لكن تحقيقها في الواقع يبقى لرهن خصوصيات سياق الحديث."

مثال : إن السماء ممطرة.

السامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوه إلى:

- المكوث في بيته.
- أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد.
- أو الانتظار و التريث حتى يتوقف المطر.
- أو عدم نسيان المظلة عند الخروج.....الخ

نلاحظ من هذا كله أنّ قائمة التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات و الطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب، الفرق بينه و بين الافتراض المسبق أن الأول وليد السياق الكلامي و الثاني وليد ملابسات الخطاب..

من كل هذا نستنتج أن الافتراض المسبق هو آلية ميكانزمية تحثُّ المتكلم على إعمال الفكر و اللغة ضمنيا لترجيح مدلولات الأقوال المضمرة في الأقوال و الخطابات فهي تفسح للمتلقي مجال التأويل و قراءة الخطاب قراءة واعية عميقة، فتفتح قائمة التأويلات مع تعدد السياقات التي يصدر عنها القول،تكمن وظيفته في التحصن من ردود أفعال مستمعيه التي قد تضر به، فيتخفى وراء المعنى الجانبي نفيا لمسؤولية ما اعتقده الآخر مهما كانت مرتبته.[64]

الاستلزام الحواري:

يعد هذا المفهوم من أهم ركائز الدرس التداولي " إذ ترجع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي دعا إلـيها "بولغرايس" و هو أحد فلاسفة اوكسفورد المختصين في دراسة اللغة الطبيعية- لإلقائها سنة1967 فقدم فيها بإيجاز تصوره لهذا الجانب من الدرس و الأسس المنهجية التي يقوم عليها.

[63] ينظر : دومينك مانغنو، المصطلحات المفاتيح، ص 19.

[64] ينظر : محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة، ص 32.

كما طبعت هذه المحاضرات في أجزاء مختصرة سنة 1975 في بحث له يحمل عنوان المنطق و الحوار، ثم وسع في بحثين له نُشرا سنة1978وسنة1981 ،لكن لم يطور أفكاره فجاء عمله قليل التماسك كثير الفجوات؛ من العجب أن يصبح عملا كهذا من أهم النظريات في البحث التداولي و أكثرها تأثير في تطوره."

لاحظ بعض فلاسفة اللغة و اللسانيين التداوليين، خصوصا الفيلسوف غرايس، أن جمل اللغات الطبيعية،في بعض المقامات، تدل على معنى في غير محتواها القضوي.

وقد عمد غرايس إلى إيضاح القضية :"الاختلاف بين ما يقال و ما يعنى؛ ما يقال هو ما تعنيه الكلمات ظاهريا و غالبا ما يمكن شرحه وفق شروط الحقيقة؛ أمّا ما يعنى فهو التأثير الذي يحاول المتكلم متعمدا إضفاءه على المستمع أو المخاطب ." [65]

على نحو غير مباشر إعتمادا على أن السامع قادر أن يصل إلى مراد المتكلم "بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال فأراد أن يقيم معبرا بين ما يحمله القول من معنى صريح و ما يحمله من معنى متضمن فنشأ بذلك عنده فكرة الإستلزام."

رأى غرايس أنّ الإستلزام نوعان :استلزام عرفي"conventionnelimplicateur "و استلزام حواري conversationnelampliateur.[66]

فالإستلزام العرفي قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات و تغيرت التراكيب .و من ذلك مثلا في الانجليزية butو نظيرتها في اللغة العربية لكن،فهي هنا و هناك تستلزم دائما ان يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقعه السامع مثل: myfriendispoor but honest،و مثل : زيد غني لكن بخيل، و أما الاستلزام الحواري فهو متغير دائما بتغير السياقات التي يرد فيها.

إن التساؤل الذي كان يشغل "غرايس" هو كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا و يعني شيئا آخر؟

كيف يكون ممكنا أيضا أن يسمع المخاطب شيئا و يفهم شيئا آخر ؟

توصل "غرايس"إلى حل لهتين الإشكاليتين؛ فكان أن أوجد مفهوما أسماه مبدأ التعاون " coopérative principale" بين المتكلم و المخاطب و هو مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ فرعية:

- مبدأ الكم:إجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.
- مبدأ الكيف :لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح ، ولا تقل ما ليس عنك دليل عليه.
- مبدأ المناسبة:إجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.
- مبدأالطريقة : كن واضحا و محددا فتجنب الغموض ،و تجنب اللبس و ارجز، و رتب كلامك .

[65] ينظر : جيفري لينتش وجيني توماس، البراغماتية (المعنى والسياق) ص 270، www.pd factory.com .

[66] ينظر : م س، آفاق جديدة، ص 33.

مثال ذلك : حوار بين الزوج و زوجته:

الزوج : أين مفاتيح السيارة؟

الزوجة: هي على المائدة.

في هذه المحاورة القصيرة يظهر مبدأ التعاون بالإضافة إلى المبادئ الحوارية التي يتفرع إليها متحققة كلها .

يمكن إيضاح هذه المفاهيم في المخطط التالي:[67]

إن انتهاك مبادئ الحوار هو الذي يولد الاستلزام "إذا انتهك المتكلم مبدأ من مبادئ الحوار أدرك المخاطب اليقظ ذلك،و سعى إلى الوصول لهدف المتكلم من هذا الانتهاك."

نظرية الملائمة:

تعد هذه النظرية من صميم التداولية المعرفية ، قعّد لها كل من اللساني البريطاني "ديردر ولسن" و الفرنسي "دان سبربر".

تكمن أهمية التداولية في أمرين هما:

- ❖ أنها تنتمي إلى العلوم المعرفية الإدراكية .
- ❖ أنها لأول مرة منذ ظهور الأفكار و المفاهيم التداولية،تبين بدقة موقعها من اللسانيات، وخصوصا موقعها من علم التراكيب .

إن نظرية الملاءمة تقوم بالدمج بين مشروعين معرفيين هما:

الأول:مستمد من مجال علم النفس المعرفي ، خاصة النظرية القالبيةل"فلودور" 1983.

الثاني: يستفيد من مجال فلسفة اللغة،و بخاصة النظرية الحوارية ل"غرايس" 1985.

قلصت نظرية الملاءمة ما جاء في نظرية "غرايس" الحوارية مقتصرين على مبدأ الملاءمة كنواة مركزية للنظرية الجديدة، فهو محور نظرية التواصل كما يراها "سبربر" و "ولسن".[68]

إن التواصل لدى كل من"سبربر" و"ولسن"يقوم على" مناسب استدلالي؛ أي بمعنى أن المتكلم يستعمل المثير لإبلاغ افتراضاته و استدلالي لأن المتلقي يستدل على القصد الإخباري، انطلاقا من المؤشرات المسوقة من قبل المتكلم.

و يعدّ السياق أحد أبرز مميزات نظرية الملاءمة فهو ليس معطى نهائي يحدد عملية الفهم، بل يبنى على توالي الأقوال.

[67] ينظر : مسعود صحراوي، تداولية عند العلماء العرب، ص 36.

[68] ينظر: مرجع نفسه، ص 37.

خـــــــلاصـــــة:

تعددت تعاريف مصطلح التداولية عند نقله من بيئته الأصلية الغربية إلى البيئة العربية فعرف مدّا و جزرًا في ضبط ماهيته و مفهومه إلى أن توصل اللسانيون العرب المحدثون إلى إيجاد تعريف شامل له باستقراء التراث و إعادة القراءة له بالاستعانة من البحث اللساني الغربي ، إما بحثا عن شرعية للوجود اللساني في الذاكرة العربية وإما بغية إخضاعه للفحص اللساني المعاصر حتى يتم تطويعه لخدمة أهداف الحداثة . لذا أصبح لزاما على كل من رام البحث في حقائق العربية واستعمالاتها اللجوء للذاكرة اللسانية، إما على سبيل انتقاء معطيات الدراسة أو انتقاد التجربة التراثية.

إذا التداولية نظرية تسعى لوضع حدود معالمها ضمن تيارات ومناهج متعددة والتي أفرزتها المعارف والعلوم المختلفة في العصر الحديث، وهي تمتلك اليوم الآليات والأدوات التي تحلّل بها اللغة، وبخاصة أفعال الكلام لمعرفة خصائصها اللسانية، معتمدة على الإشاريات والسياق الذي أهملته اللسانيات البنيوية.

الفصل الثاني

نظرية الأفعال الكلامية بين الـدرس اللساني الغــربـي و الموروث اللغوي العربي

المبحث الأول: أفعال الكلام في الدرس اللساني الغربي.

يعد مفهوم الفعل الكلامي من المفاهيم الأساسية في النظرية التداولية ، كما تسمى بنظرية الحدث الكــلامي،و نظرية الحدث اللغوي،النظرية الإنجازية و هي في نظر الكثير من الباحثين جزء من اللسانيات التداولية.

مفهوم الفعل الكلامي:إن الفعل الكلامي أو فعل الخطاب كما يطلق عليه يعود الفضل في تنظيرهإلى الفيلسوف "أوستين" خاصة ،كما ساهم من بعده تلميذه"سيرل" من بعده في تصنيفه و تعميقه ، فالمقصود بالفعل الكلامي هو تلك الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه (أمر،طلب،تصريح،وعد.....) وغايته تغيير حال المخاطبين ، إنّ المتلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلاّ إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل المتلفظ.[69]

إذن من هنا نطرح بعض الإشكاليات حول نظرية الفعل الكلامي: ما هي الأسس التي قامت عليها ؟ ما مجموعة الشروط التي يجب توفرها لإنجاز الفعل الكلامي بنجاح؟ ما هي المقاييس التي يجب توفرها للتمييز بين مختلف الأقوال ؟

يمكننا البدء في معالجة هذه النظرية انطلاقًا من التعرف على المبادئ الفلسفية التي أدرجها أوستين في علاجه لمفهوم نظرية الأفعال الكلامية من خلال فلسفة اللغة .

ولم يتولد فعليًا الاهتمام بالأفعال الكلامية في الفترة المعاصرة إلاّ مع اوستين، بل لم تولد التداولية أيضا على الصّورة التي نعرفها اليوم ،إلاّ انطلاقا من اكتشافه للظاهرة، ومن الدراسة التي قام بها على إثره "سيرل".[70]

وقد ظهر أثر نظرية الأفعال الكلامية ،أول ما ظهر في مدرسة كمبردج و مدرسة أكسفورد، و خاصة في أعمال الفيلسوف أوستين و لاحقا في أعمال الفيلسوف الأمريكي سيرل صاحب نظرية أفعال الكلام " acte de langage " أو ألعاب اللغة.

ولم يهتم "أوستين" بموضوع آخر غير موضوع اللغة، إلاّ أنه لم يكن الأمر بالنسبة له مثل الوضعيين المناطقة في البقاء ضمن دائرة اللغة،بل سعى إلى الخروج منها أو نموذجها بواسطة اللغة،و هذا ما تؤكده نظريته التي سنحاول أن نبين معالمها العامة.

[69] ينظر : دومينيك مانغنو، المصطلحات المفاتيح، ص 07.

[70] ينظر : جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 56.

من خلال القول الذي وجهّته "ساندرا لوجيه" فيبحثها حول أفكار و إنجازات "أوستين" علّقت قائلة :« إن "أوستين" يعد فيلسوفا في اللغة كما أنّه أحدث و بطريقته الخاصة تحولا في المنعطف اللغوي للفلسفة المعاصرة من الفلسفة اللغوية إلى فلسفة اللغة» فهو مجال فلسفي يبحث في مشكلات اللغة، و مبحث كبقية المباحث الفلسفية الأخرى، كفلسفة العلوم أو فلسفة الأخلاق أو فلسفة السياسة.

كما يجد أن الكلمات التي نستعملها أثناء كلامنا في مجموعها نسميها "العالم" فهي وسيلة لفهم العالم و التواصل معه.

ويعتبر "أوستين" اللغة العادية وسيلة لإدراك التجارب، الوقائع، الحقائق، و ليست هدفا في ذاتها،كما طالب بضرورة الحذر، لأن اللغة العادية محملة بأحكام مسبقة و أخطاء و أوهام، كما يندد بعدم القول بمعيار الصدق والكذب فأطلق عليه مصطلح المغالطة الوصفية لوجود عبارات تشبه إلى حد ما العبارات الوظيفية في تركيبها لكنها لا تصف وقائع العالم و لا تتميز لا بالصدق و لا الكذب؛ لذلك أوصى من ناحية أخرى بالأخذ بجميع الجمل و العبارات مهما كانت طبيعتها اعتبارها قابلة للتواصل، كما توصل إلىأنّ الوحدة الأساسية للغة هي الأفعال الكلامية بالإضافة إلى عنصري السياق و المناسبة.[71]

وتكمن نظرية أفعال الكلام في علاقتها بالعلوم الإنسانية الأخرى من خلال إضاءة لما تحمله النصوص من فروق اهتمام الباحثين في جوانب نظرية إستعمال اللغة، فعلماء النفس يرون إكتسابها شرطًا أساسيًا لإكتساب اللغة كلّها، ونقّاد الأدب يرون فيها إضاءة لما تحمله النصوص من فروق دقيقة في استعمال اللغة، و ما تحدثه من تأثير في المتلقي، والأنتروبولوجيون يأملون في أَنْ يجدوا فيها تفسيرًا للطقوس و الرّقى السحرية، و الفلاسفة يرون فيها مجالاً خصبًا لدراسة علاقة اللغة بالعالم.

كما أنّ اللغويين يجدون فيها حلولا لكثير من مشكلات الدلالة و التراكيب،و تعليم اللغة الثانية، أمّا في الدرس التداولي فإن الأفعال الكلامية تظل واحدة من أهم المجالات فيه،إن لم تكن أهمهاجميعا،بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية، فليس بالغريب إذن أن يُعدّ"جون أوستين" أبا للتداولية.

[71] ينظر: د زواوي بغورة، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، تط 2005، ط1، ص 105-106.

ولذا أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه «أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري »فضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازيه؛ كالرفض و القبول،و من ثم فهو فعل يطمح ليكون فعلا تأثيريا في المخاطب،اجتماعيا أو مؤسّساتيا ،ومن ثمّ إنجاز شيء ما.[72]

والفعل الكلامي مفهوم نظري حديث النشأة،ويُعد "فريجه" رائد الفلسفة التحليلية و صانع مفهوم الفعل الكلامي من خلال مؤلفه "أسس علم الحساب"، الذي أحدث ثورة في حقل فلسفة اللغة،و هو الأمر الذي أحدث قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفة القديمة و الحديثة،بربطه بين مفهومين تداوليينجديدين وظيفيين هامين هما: الإحالة و الاقتضاء.[73]

وقد عمق البحث فيها الفيلسوف النمساوي"لوديغفيجنشتاين"مؤسس تيار فلسفة اللغة العادية،مع ثلة من الفلاسفة الذين آمنوا أنّ السبيل إلى فهم الإنسان لذاته ولعالمه هي اللغة،فتنادوا إلى ضرورة إتخادها موضوعا للدراسة في أي مشروع فلسفي يروم فهم الكون و مشكلاته.

إنّ"أوستين" يُعد الوريثالشرعي لتيار فلسفة اللغة العادية، الذي اهتم بمراعاة الجانب الاستعمالي للغة طبقا لمقامات التخاطب بقوله :«موضوع الدراسة ليس الجملة وإنما إنتاج التلفظ لمقام الخطاب».

وكان قد رأى :«أنّ اللغة ليست مجرّد أداة لنقلالأفكار ووصف الأشياء،و إنّما هي ميدان ننجز فيه أعمالا لا تنجز إلاّ في اللغة وباللغة.»[74]

وفقد كان هدف "اوستين" منذ البداية أن يغيّر ما كان يعتبر مغالطة وصفية،فكان يتهجم على رأي عالم التحقق المرتبط بالفلسفة الوضعية المنطقية التيتفيد أنّ الجمل تكون ذات معنى فقط إذا كانت تعبر عن قضايا يمكن التحقق منها أو تفنيدها.[75]

---

[72] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 40.

[73] ينظر:مرجع نفسه، ص 41.

[74] ينظر: جون أوستين، تر: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات، عبدالقادر قنيني ، افريقيا الشرق، ت ط 1990، د ط، ص 8.

[75] ينظر:صلاح الدين ملاوي،"نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائرن ع 04، جانفي 2009، ص 2-3-4.

توصل "أوستين" في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي الكامل " acte de discours intègre" إلى ثلاثة أفعال فرعية،على النحو التالي:

1. فعل القول أو الفعل اللغوي "acte locutoire":و يراد به " إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم و ذات دلالة."،ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية،وهي المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي، المستوى التركيبي ،المستوى الدلالي، ولكن أوستين يسميها أفعالا :الفعل الصوتي،وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معيّنة،و أمّا الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقا لقواعد معيّنة و إحالات محددة، فقولنا مثلا:إنها ستمطر، يمكن أن يفهم معنى الجملة،و مع ذلكلا ندري أهي:إخبار بأنّها ستمطر،أم تحذير من عواقب الخروج في الرحلة، أم بحمل مظلة ،أم غير ذلك ....،إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام.
2. الفعل المتضمن في القول"acte illocutoire":وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ "أنه عمل ينجز بقول ما"؛ و هذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها،و لذا اقترح "أوستين" تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال: القوى الإنجازية، من أمثلة ذلك السؤال،إجابة السؤال،إصدار تأكيد أو تحذير ،وعد،أمر،شهادة في محكمة...إلخ، الفرق بين الفعل الأول و الفعل الثاني هو أنّ الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء،في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء.[76]
3. الفعل الناتج عن القول"acte perlocutoire": و أخيرا يرى "أوستين"أنّه مع القيام بفعل القول،وما يصاحبه من فعل متضمن في القول (القوة)،فقد يكون الفاعل (وهو هنا الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو"التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر،ومن أمثلة تلك الآثار :
الإقناع،التضليل،الإرشاد،التثبيط....."

ويسميه "أوستين":الفعل الناتج عن القول ،وسماه بعضهم الفعل التأثيري."[77]

[76] ينظر : فيليب بلانتشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار، سورية، اللاذقية، تط 2007، ط1، ص 61-62.
[77] ينظر : مرجع نفسه، ص 63.

خصائص الفعل الكلامي: يلاحظ"أوستين" أنه توجد ثلاثة خصائص للفعل الكلامي الكامل:

- إنه فعل دال.
- إنه فعل انجازي(أي ينجز الأشياء و الأفعال الاجتماعية بالكلمات).
- أنه فعل تأثيري(أي يترك آثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا).

و يقوم كل فعل كلامي على مفهوم القصدية، و تقوم "مسلمة القصدية"، على أسس تداولية درسها فلاسفة التحليل ثم توسعوا في تفريعها وتعميقها علماء التداولية حتى أصبحت شبكة من المفاهيم المترابطة، فقد غدت قيمة تداولية نصية حوارية، إلى جانب مراعاة مفهومها العام و شبكتها المفاهيمية عدّت من أبرز المفاتيح المنهجية في الدراسات النصية.[78]

وقد ميّز "أوستين" بين نوعين من الأفعال:

أ. **أفعال إخبارية"constative"**: و هي أفـعال تصف وقائع العالم الخارجي،و تكـــون صادقة أو كاذبة.

ب. **أفعال أدائية"performative"**: تنجز بها في الظروف ملائمة أفعالا أو تؤدي و لا توصف بالصدق ولا بالكذب،بل تكون موفقة كما أطلق عليها أو غير موفقة،و يدخل فيها التسمية،الوصية،الاعتذار والرهان،النصح،الوعد.

ولا تكون الأفعال الأدائية موفقة عنده إلاّ إذا تحققت لها شروط الملائمة،فإذا لم تتحقق كان في ذلك إساءة أداء للفعل، حيث أنها تنقسم بدورها لقسمين:[79]

أولا:شروط تكوينية.وهي:

1. وجود إجراء عرفي مقول،و له أثر عرفي معين كالزواج مثلا أو الطلاق.
2. أن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة ينطق بها أناس معينون في ظروف معينة.
3. أن يكون الناس مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء.

[78] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 41-42.

[79] ينظر : محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 43-44.

4. أن يكون التنفيذ صحيحا كاملا.

ثانيا:الشروط القياسية. وهي:

1. أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في أفكاره.
2. أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في مشاعره.
3. أن يكون المشارك صادقا في نواياه.
4. أن يلتزم بما يلزم نفسه به.[80]

تصنيفات "اوستين" للفعل الكلامي:

قدم أوستين تصنيفا للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية، يشتمل على خمسة أصناف،و لم يتردد في القول بأنّه غير راض عن هذا التصنيف.

1. **أفعال الأحكام "Verdict ives"**:و هي التي تتمثل في حكم يصدره قاض أو حكم.
2. **أفعال القرارات "Exécutives"**: وتتمثل في اتخاذ قرار بعينه كالإذن والطرد والحرمان والتعيين.
3. **أفعال التعهد "Commissives"**:وتتمثل في التعهد من المتكلم بفعل شيء مثل الوعد و الضمان و التعاقد و القسم.
4. **أفعال السلوك "Bihabitives"**:و هي التي تكون ردّ فعل لحدث ما كالاعتذار والشكر والمواساة والتحدي.
5. **أفعال الإيضاح"Expositives"**: وتستخدم لإيضاح وجهة النظر أو بيان الرأي مثل الاعتراض،التشكيك،الإنكار،الموافقة،التصويب، التخطئة.[81]

[80] ينظر : مرجع نفسه، ص 45.

[81] ينظر : محمود أحمد نحلة، ص 47.

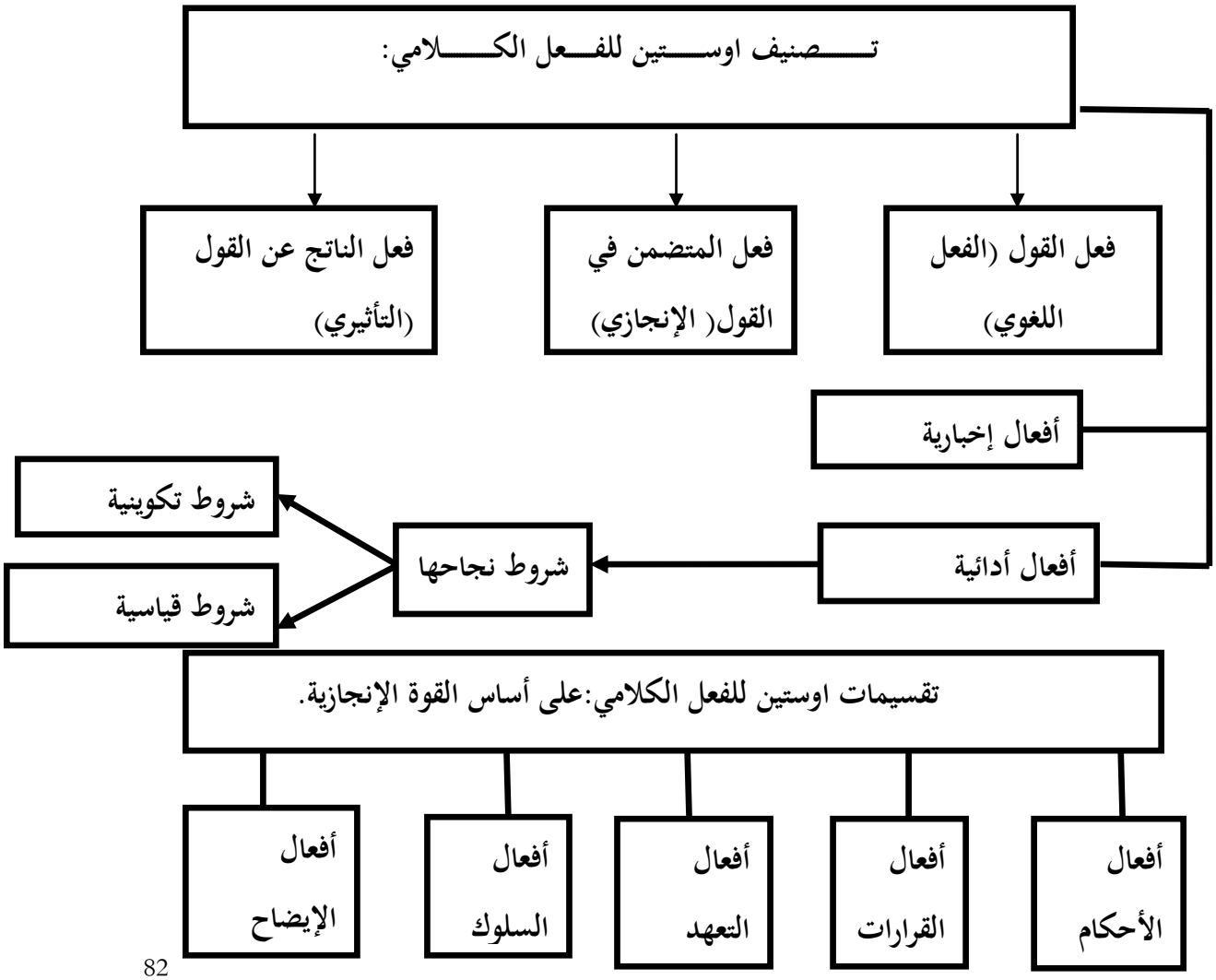

82

[82] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 43

رغم ما قدمه أوستين من تقسيمات وتصنيفات غير أنه لم يكن راض به و بذلك لم يقدر على وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية،فالتصور الذي قدمه لم يكن كافيا ولا قائما على أسس منهجية واضحة ومحددة ؛فقد خلط بين مفهوم الفعل كقسم من أقسام الكلام و الفعل كحدث اتصالي،و لم يقم تحديده للأفعال ولا تصنيفه لها على أساس راسخ فتداخلت فئاتها،ودخل في بعض الفئات ما ليس منها ،أكنّه برغم ذلك وضع بعض المفهومات المركزية في النظرية،ومن أهمها تمييزه بين محاولة أداء الفعل الإنجازي، والنجاح في أداء هذا الفعل،وتمييزه بين ما تعنيه الجملة وما قد يعنيه المتكلم بنطقها، وتمييزه بين الصحيح من الصريح من الأفعال الأدائـــــية والأولى منها،فضلا عن تحديده للفعل الإنجازي الذي يعد مفهوما محوريا في هذه النظرية.

لقدتحقق التطور الفعلي لنظرية أفعال الكلام على يد "سيرل" فيما يعرف بالمرحلة الأساسية الثانية للنظرية،فظهرت على يده نظرية منتظمة لاستعمالات اللغة بمصطلحات الأفعال الكلامية،قائمة على أن الكلام محكوم بقواعد مقصديه،و إنّ هذه القواعد يمكن أن تحدد على أسس منهجية واضحة و متصلة باللغة،حيث بنى على اجتهادات أستاذه "اوستن" و أخذ يعدّلها شيئا فشيئا إلى أن بلغت مرحلة النضج.

جهود "سيرل" في تعديل ما جاء به"اوستين":

عدل التقسيم الذي طرحه أوستين للأفعال الكلامية فجعله أربعة أقسام، أبقى منها على القسمين الإنجازي و التأثيري لكنه جعل القسم الأول وهو الفعل اللفظي قسمين:

أ. **الفعل النطقي"utterenceacte"**: وهو يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية.

ب. **الفعل القضوي"propositionnel acte"**: وهو يشمل المتحدث عنه أو المرجع،و المتحدث به أوالخبر ونصّ على أن الفعل القضوي لا يقع وحده،بل يستخدم دائما مع فعل انجازي في إطار كلامي مركب؛ لأنك لا تستطيع أن تنطق بفعل قضوي دون أن يكون لك مقصد من نطقه ،كما نص على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي. و لإيضاح ذلك نذكر لك الجمل الآتية:

1/ يقرأ زيد الكتاب 2/ أيقرأ زيد الكتاب ؟

3/ يا زيد،اقرأ الكتاب 4/ لو يقرأ زيد الكتاب

عند النطق بأي من هذه الجمل ينجز المتكلم ثلاثة أنواع من الأفعال في وقت واحد:

1. **الفعل النطقي**: و يتمثل في نطقك الصوتي للألفاظ على نسق نحوي ومعجمي صحيح.
2. **الفعل القضوي** : و يتمثل في مرجع هو محور الحديث فيها جميعا ،وهو زيد في الجمل الأربعة، و خبر هو فيها جميعا قراءة الكتاب ،و المرجع و الخبر يمثلان معا قضية propositionهي : قراءة زيد الكتاب ،و القضية هي المحتوى المشترك commun contenu بينها جميعا .
3. **الفعل الإنجازي**: و هو الإخبار في الأولى ،و الاستفهام في الثانية ،و الأمر في الثالثة ،و التمني في الرابعة.[83]

ينبغي أن نشير إلى أن الفعل التأثيري"**acte perlocutoire**":ليس له أهمية كبيرة عند "سيرل" ،لأنه ليس من الضروري عنده أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى انجاز فعل ما.

يدل على القوة الإنجازية دليل يسمى دليل القوة الإنجازية يبين لنا نوع الفعل الإنجازي وهو في الانجليزية : نبر وتنغيم أو ترقيم أو نظام الجملة أو صيغة الفعل ...الخ.

كما رأى"سيرل"أن الفعل الكلامي أوسعمن أن يقتصر على مراد المتكلم ،بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوي و الاجتماعي ؛ فقَصْدُ المتكلم وحده لا يكفي ،بل لا بد من العرف اللغوي.

واستطاع "سيرل"أن يطور تصور "أوستين" لشروط الملائمة أو الإستخدام التي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفقا فجعلها أربعة شروط ،و طبقها تطبيقا محكما على أنماط من الأفعال الإنجازية فطبقها على أفعال : الرجاء،الإخبار،الاستفهام،الشكر، النصح ،التحذير ،التحية ، التهنئة .

وقد بين ما قد يحتاجه كل منها من شروط إضافية،و ما يستغنى منها عن بعض الشروط، ونكتفي هنا بذكر هذه الشروط مطبقة على فعل الرجاء:

[83] ينظر : محمود أحمد نحلة، ص 71-72.

أ. **شرط المحتوى القضوي"proposition contenu"**: فعلفي المستقبل مطلوب من المخاطب.

ب. **الشرط التمهيدي** : المخاطب قادر على انجاز الفعل ،والمتكلم على يقين منقدرة المخاطب على انجاز الفعل.

ج. **شرط الإخلاص** : المتكلم يريد حقا من المخاطب إنينجز هذا الفعل .

د. **الشرط الأساسي** : محاولة المتكلم التأثير في المخاطب لينجز الفعل.

لم يكتف سيرل بذلك بل قال :«إنّ هناك على الأقل اثنا عشر بعدا يختلف بها كل فعل انجازي عن الآخر»[84] نوجزها فيما يلي:

أ- الاختلاف في الغرض الإنجازي للفعل :

إنّ الغرض الإنجازي للأمر مثلا هو محاولة التأثير في السامع ليقوم بفعل ما ،على حين أن الغرض الإنجازي من الوعد هو إلزام المتكلم نفسه بشيء ما على أنّ الغرض الإنجازي المتضمن في القول يعد عنصرا ومكونا من مكونات القوة المتضمنة في القول .

في حين أن الغرض الإنجازي من الرجاء مثلا هو نفسه الغرض الإنجازي للأمر لكن القوة الإنجازية في كل منهما تختلف ،فالقوة الإنجازية نتاج عناصر عديدة ليس الغرض الإنجازي إلا واحدا منها.

وقد بدأ سيرل واعيا بهذا المشكل ،فاقترح في كتابه "المعنى و العبارة "،معايير صريحة وخارجة عن العلامات اللغوية لوضع تصنيفية مقبولة للأفعال الكلامية:

1. الغاية من الفعل مثل "الحصول على قيام س بشيء ما".
2. اتجاه المطابقة بين العلامات اللغوية و العالم الواقعي : وهو يرى أنّ بعض الأعمال اللغوية مثل :الإخبار ،نحو جعل القول مطابقا للكون الخارجي،بينما تنحو بعض الأفعال الكلامية الأخرى مثل الوعد،نحو جعل الكون مطابقا للقول.

[84] Look : John sirl, what is a speesh act : P 42.

3. الحال النفسية المعبر عنها، مثل اليقين ،الرغبة ،الحسرة.ويلح الكاتب على وصف المعبر عنها فهذا المعيار يعمل حتى عند انعدام الصدق.

4. كثافة الاستثمار في تقديم الفعل ،ف " اقترح" اقل قوة من " آمر".[85]

5. وضعية المتخاطبين من جهة كون ذلك يؤثر في القوة القولية ،كما هو الحال بالنسبة إلى منزلتها في التراتبية الاجتماعية ،فقد يكون الملفوظ نفسه أمرا إذا كان من الأعلى إلى الأسفل والتماسا إذا كان من الأسفل إلى الأعلى.

6. الطريقة التي يرتبط بها القول بالمصالح الشخصية للمتخاطبين مثل التبجح (ويتعلق بالمتكلم)، التعزية (تتعلق بالمخاطب)،بشكل ظاهر،على كل حال...

7. العلاقة ببقية الخطاب ،مثل "أردّ"،استنتج،اعترض،و مع ذلك،إذن...

8. المحتوى القضوي المحددّ بوسم صريح للقوة الضمنية للفعل و الاختلاف بين عرض وتوقع يقوم على أساس سمات تحددّ الماضي و المستقبل ، على سبيل المثال.

9. إمكانية أو عدم إمكانية إنجاز العمل ،بطريقة أخرى سوى اللغة (من ذلك أنّه يمكننا أن نحييّ بكلمة أو حركة ،و لكن لا يمكننا أن نعد دون أن نتكلم).

10. الحاجة أو عدم الحاجة إلى مؤسسة خارجة عن اللغة لإنجاز عمل لغوي (يمكننا أن نعد بشيء ما أو نخبر بأنّ السماء تمطر،دون اشتراط توفر مؤسسة ما ،في حين أن التعميد عند النصارى أو الحكم بغرامة مالية ،لا يمكن إلاّ عن طريق مؤسسة مخولة كالمحكمة .

11. وجود أو عدم وجود استعمال إنشائي للمحتوى القضوي (فعل وعد إنشائي بالضرورة ،أما فعل هددّ فلا يمكن أن يكون إنشائيا ،بما أنيّ لا أنجز عمل التهديد بقولي "أهددّ").

12. أسلوب إنجاز العمل اللغوي (إذ "أذاع"و "باح" لا يختلف في الهدف و لا في المحتوى ،بل في طريقة انجاز العمل). و هذا المعيار الأخير قريب من معيار كثافة القول و قد ذكرناه في العنصر

[85] ينظر: محمود أحمد نحلة، مرجع سابق، ص 73.

رقم4)، و يقترب من هذا أنّ الأسلوب لا يتعلق بالقوة القضوية للفعل ،بل بالأحرى بنمط بث القول .[86]

من خلال هذه المعايير التي أنشأها سيرل انطلق في تقسيم الأفعال الإنجازية إلى خمسة أقسام أهمها الثلاثة الأولى:

1) **الإخباريات**: التي يكون الهدف منها تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى، مهما كانت درجة القوة، مثال ذلك "سيأتي غدا ".
2) **الطلبيات**:أو الأوامر،و يكون الهدف منها جعل المخاطب يقوم بأمر ما، حيث يجب أن يطابق العالم الكلمات،و حيث تكون الحالة النفسية رغبة،إرادة،مثل قولك:"أخرج".
3) **الوعديات**: حيث الهدف منها جعل المتكلم ملتزما بانجاز عمل و حيث يجب أن يطابق العالم الكلمات و حيث الحالة النفسية واجبة هي صدق النية . و قد أخذ سيرل هذا القسم عن أوستين و المثال عليه : "سوف آتي".
4) **الإفصاحات** :أو التعبيريات حيث يكون الهدف هو التعبير عن الحالة النفسية بشرط أن يكون ثمة نية صادقة ، و حيث لا توجد مطابقة الكون للكلمات و حيث يسند المحتوى خاصية إلى المتكلم أو إلى المخاطب، و هذا يوافق إجمالا " السلوكيات " في تصنيفية "أوستين"، و مثال ذلك قولك : "اعذرني ".
5) **التصريحيات** : حيث يكون الهدف إحداث واقعة ، و حيث التوافق بين الكلمات و العالم مباشر دون التطابق عند المخاطب,مع تحفظ المشروعية المؤسسية و الاجتماعية. مثال ذلك :" أعلن الحرب عليكم ".[87]

[86] Look : John sirl, what is a speech act : P 12.

[87] ينظر : فيليب بلانتشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، ص 65-66.

المبحث الثاني: أفعال الكلام في الموروث اللغوي العربي:(علم المعاني:ظاهرة الخبر و الإنشاء).

جاء في كتاب التداولية عند العرب لمسعود صحراوي دراسة لظاهرة أفعال الكلام ، عرض لمجموعة الأسس الأبستمولوجية لظاهرة الخبر و الإنشاء في التراث العربي.

وتندرج ظاهرة الأفعال الكلامية ضمن مباحث البلاغة العربية في باب "علم المعاني" ، و موضوع هذا الفرع اللغوي في التراث:«هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة و ما يتصل بها من الاستحسان....ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»، و يتضمن هذا العلم ثمانية أبواب حسب استقراء سعد الدين التفتازاني و شرّاح كتابيه المطول و المختصر .وتندرج ظاهرة الأفعال الكلامية تحديدا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة ب"الخبر والإنشاء"، عند العرب من الجانب المعرفي العام مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية " عند المعاصرين.

وتعد ظاهرة الخبر و الإنشاء حقلا مشتركا بين عدة تخصصات علمية متعددة، فقد اشتغل ببحثها الفلاسفة و البلاغيون و النحاة و الأصوليون ،فجاءت في عدة متون و كتب في التراث العربي لعديد علماء اللغة العربية.

1- ملامح نظرية أفعال الكلام عند النحويين.

علماء النحو لم يكونوا بعيدين عن دراسة المعاني في تحليلهم للجمل، بل منهم من كان على صلة وثيقة بمعاني الكلام و بأغراض الأساليب و مقاصده ، وكذا بطرق الاستعمال اللغوي و أحواله ،و بطبيعة العلاقة بين المتكلمين و المتخاطبين،و ملابسات الخطاب ودلالاته وأغراضه، فلم يكن نحوهم كله نحوا شكليا خاصا،ولم

يفصلوا بصرامة بين الشكل البنيوي للجملة ومقامات استعمالها و أحوالها كخطاب تواصلي كما يصوره بعض الباحثين المعاصرين .[88]

إذ أنّهم فهموا اللغة على أنّها لفظ معين، يؤديه متكلم معين في مقام معين لأداء غرض تواصلي إبلاغي معين.

لذلك جعلوا من أهداف الدراسة إفادة المخاطب معنى الخطاب، و إيصال رسالة بلاغية إليه ، وقد عرّف "السكاكي" النحو بقوله:« معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب».[89]

وقام السيوطي ببيان "أن صناعة النحو قد تكون فيها الألفاظ مطابقة لمعاني ،و قد تكون مخالفة لها إذا علم المخاطب غرض المتكلم ، و كانت الفائدة في كلا الحالتين واحدة ".[90]

و كل هذا يعني أنهم درسوا اللغة دراسة وظيفية تداولية ،وأنه كان للنحاة مساهمة قيمة في ضبط و تقييم بعض المقولات، و المفاهيم في علم المعاني ،و تطبيقها في مجال بحثهم النحوي على مستوى الجملة ،من هنا تقبل النحاة العرب التقسيم المشهور للكلام بأنّه خبر و إنشاء ، لكنّهم أسقطوا التقسيم من الكلام على الجملة إلى صنفين : الجملة الخبرية و الجملة الإنشائية ، و لم يخالف إجماعهم هذا إلّا رضي الدين الاستراباذي بتقسيمه للجملة إلى ثلاثة أصناف هي:

[88] ينظر : عبد الرحمن الحاج صالح، "الجملة في كتاب سبويه"، مجلة المبرز، الجزائر، تط 1993، ع2.

[89] ينظر : أبو يعقوب، السّكاكي، مفتاح العلوم، تع : نعيم زرزور دار الجيل، بيروت لبنان، دت، دط، ص 37.

[90] ينظر : جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، صيدا بيروت، تط 988، دط، ص173.

1. **الجملة الخبرية**: هي التي يكون الحكم فيها غير معلوم للمخاطب قبل النطق بها.
2. **الجملة الإنشائية** : هي التي يكون تركيبها من ألفاظ العقود وما شابهها ، و لا يكون الحكم فيها معلوما للمخاطب ، بل نطق الجملة هو الذي يفيد المخاطب بالحكم .
3. **الجملة الطلبية**: هي التي يكون تركيبها من الإنشاء الطلبي، و نطقها يفيد المخاطب بالحكم الذي يكون مجهولا قبل النطق بها.[91]

لكنَّ هذا التقسيم الثلاثي لم يأخذ به جمهور النحاة، لأنّهم رأوا أنّ الجملة تدل على معنى أساسي واحد هو نسبة مضمون المسند إلى المسند إليه ،فالفاصل في القضية هو المتكلم وحده الذي يقصد الكشف عن ثبوت تلك النسبة أو عدم ثبوتها في الواقع، فتكون جملته خبرية تحتمل الصدق إذا طابقت الواقع و تحتمل الكذب إذا لم تطابق الواقع ، أما إذا قصد المتكلم إيجاد النسبة الخارجية و إنشائها في الواقع فجملته عندئذ تكون إنشائية فان ذلك يؤثر في طبيعة تركيبها و في قواعدها و في تحليلها نحويا.

فنستنتج مما سبق، أنّ ظاهرة الأفعال الكلامية في تراثنا النحوي درجت تحت ما يسمى بالإسناد الذي يشمل الإنشاء و الإخبار، و على هذا يكون الإسناد عندهم أعمّ من الإخبار؛ إذ يشمل النسبة التي في الكلام الإنشائي و الخبري و الطلبي، و قد أوضح محمد بن علي الجرجاني أنّ الإسناد الخبري هو أصل الكلام،و لهذا فقد مثل ابن جني للكلام بأمثلة خبرية وإنشائية متنوعة التركيب بقوله "زيد أخوك" و "قام محمد "و "ضرب سعيد"و" في الدار أبوك" و"صه" و" مه" و" رويدا ".[92]

[91] ينظر : رضي الدّين الإستراباذي، شرح الكافية في النحو، تح : هادي حمودي، عالم الكتب بيروت ، تط 1988، دط، ج1، ص 203.
[92] ينظر : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 69.

فالأسلوب الخبري و الأسلوب الإنشائي عند النحاة قرينتان تساعدان على تحليل الجملة، و لا سيما إذا كان للجملة وظيفة نحوية .ولم يقتصر وجود هذه النظرية على الملامح و الجذور ،بل وجدت لها أمثلة تطبيقية و شواهد ثابتة تؤكد وجودها ،حتى نصل لمثل تلك الشواهد ،حاولنا أن نبحث عن الأفعال الكلامية في جانبين هما:

- **الأفعال الكلامية في الأساليب النحوية:**

قد اهتم النحاة المتقدمون بالبحث في معاني الأساليب وأغراضها التواصلية ،(و منهم الخليل بابن أحمد الفراهيدي و سيبويه)، لكنَّ المتأخرين كانوا أكثر اهتماما بذلك مثل (عبد القاهر الجرجاني و الرضي الإستراباذي) ومن معاني الأساليب النحوية و أغراضها التواصلية ما يأتي:

أ. **التوكيد**:من الأساليب العربية الكثيرة الاستعمال ،التوكيد في اللغة، الأحكام و الإثبات ،وهو لفظ تابع لما قبله يقويه ،يزيل عنه ما قد يتوهمه المتلقي سامعا مانام قارئا من احتمالات و تردد أو تشكيك في قبوله .فهو يؤدي إلى إزالة الشك أو الاحتمال أو التردد لدى المتلقي، كما للتوكيد شروط و أنواع و أساليب و أغراض،[93] كما حدد رضي الدين الإستراباذي الغرض منه قائلا:«أن يمنع المتكلم غفلة السامع عنه،و أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط، فإذا قصد المتكلم احد هذين الأمرين ،فلابد أن يكرر اللفظ الذي ظن غفلة السامع عنه أو ظن أن السامع ظن به الغلط فيه ، و أن يدفع عن نفسه ظن السامع به تجوزا» فالتوكيد من وجهة نظر التداولية فعل كلامي يوظف بكثرة في تواصلنا اليومي، و ليس مجرد وظيفة نحوية مجردة،و في لغة سيرل و التداوليين المعاصرين هو فعل كلامي مندرج ضمن الأفعال الإخبارية التقريرية الغرض المتضمن في القول لهذا الأفعال الكلامية التأكيدية هو التقرير.[94]

[93] ينظر : محسن عطية، الأساليب النحوية، عرض وتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان- الأردن، تط 2008، ط1، ص 240.
[94] ينظر : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 207-208.

ب. **الإغراء و التحذير** : ويعد أن أحد أساليب اللغة العربية الذي نعبر به عن مواقف تقتضي الإيجاز و الاختصار في الكلام أو المواقف يضيق فيها المقام عن التوسع في الكلام .

الإغراء :هو تنبيه المخاطب على أمر محمود ليلزمه أو يفعله أو يتصف به نحو: قولك لزميلك بالتزام الصدق و الصدق؛ العفو و الصفح يطهران القلوب من الضغائن هو أمر محمود فالأسلوب هو إغراء.

التحذير :فهو تنبيه المخاطب على أمر مكروه يجب الاحتراز منه و تجنبه و الابتعاد منه و تركه،

مثل قولك:السيارة السيارة.الفُرقة الفُرقة فإنّها سبيل للنيل من الأُمة.

و هما من الأفعال الكلامية ؛لأنّهما يهدفان إلى التأثير في المخاطب و حمله على أداء فعل ما ،فإذا رغب المتكلم من المخاطب أن يجتنب أمرا مكروها أدى رغبته تلك بالتحذير ،و إذا أراد منه أن يفعل أمرا محمودا أدّى له تلك الرغبة بالإغراء . فهي من الأفعال الكلامية التي تنتمي إلى الأفعال التوجيهية أي الأمريات.[95]

ج. **الاستغاثة و الندبة**:يُعدان نوعا من أنواع النداء يدعى به من يخلص من شدة أو يعين على دفع عناء أو مشقة.

قال "سيبويه" :"اعلم أنّ المندوب مدعو و لكنه متفجع عليه ،فان شئت ألحقت في آخر الاسم ألف؛لأنّ الندبة كأنهم يترنمون فيها،و إن شئت لم تلحق كما لم تلحق في النداء."[96]

والمندوب شبيه بالمنادى، و يختلف عنه في أنّه متفجع عليه ،إذ فيه معنى زائد على النداء وهو أنه مندوب أو مستغاث به،و هذا المعنى الزائد الذي يتميز به أسلوب الاستغاثة يجعله يندرج ضمن الأفعال التعبيرية.

[95] ينظر: مرجع نفسه، ص 173-175.

[96] أبو بشر، عمرو بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح : عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت لبنان، دتط، دط، ص 230.

من هذا كله نخلص إلى أنّ الأبواب النحوية التي عرضناها (التوكيد و الإغراء و التحذير و الاستغاثة و الندبة)،تعد ضمن الدراسات التي أشار إلى بعض معانيها الإنجازية علماء اللغة أمثال :سيبويه،عبد القادر الجرجاني،رضي الدين الإستراباذي، لذا كان لزاما أن تكون أفعالا كلامية لما تحمله من تصورات مماثلة للطرح التداولي المعاصر خاصة لما توظف في السياقات و المقامات المناسبة.

- **ملامح نظرية أفعال الكلام عند البلاغيين:**

برزت ملامح ظاهرة الأفعال الكلامية بشدة و بتوسع ممثلة في علم من علوم البلاغة العربية و هو علم المعاني تحديدا في باب الأساليب الخبرية و الإنشائية، رغم الإقرار بالإجماع بحداثة نشأتها كنظرية غربية، إلا أن لها أثرا بارزا في ظاهرة الخبر و الإنشاء، نظرا لتقاطع الدرس البلاغي مع الدرس الأصولي و اشتراكهما في وحدة موضوع الدراسة، فكلاهما انطلاقا من مدونة واحدة و هي القرآن الكريم باحثين في كيفية بناءه و نسجه و أسلوب نظمه لاستخراج جواهره و مكنوناته سواء بيانيا أو فقهيا. إلاّ أنّ أداة التحليل تختلف حسب طبيعة كل علم أي بلاغيا و أصوليا، فالهدف هو فهم الخطاب القرآني محاولين استنطاقه بمختلف الوسائل و الآليات المتاحة، و سنستفيض في تعميق المقاربة " لظاهرة الخبر و الإنشاء" في البحث الأصولي نظرا أنّ كل عالم من علماء الأصول هو في الأصل عالم لغوي.

- **ملامح نظرية أفعال الكلام عند الأصوليين:**

عند البحث في مدى مساهمة علماء الأصول في البحث اللغوي، خاصة في الكيفية التي عالجوا بها دراستهم و المنحى الذي ساروا عليه في تحليلهم لظاهرة الخبر و الإنشاء في اللغة العربية ،و ما انبثق منها من أفعال كلامية

جديدة منبثقة عن الأفعال الأصلية، لكن تختص بمنظومة اصطلاحية متفردّة.تعكس مدى الجهد و العناية التي أولوها للدرس اللغوي بالابتكار و الإبداع .

إنّ علماء الأصول أجمعوا على أنّ الكلام لا ينعقد إلا بإسناد صحيح، "و أن ما يقصده علماؤنا بالكلام الذي يقوم على أساس نسبة المسند إلى المسند إليه هو عين ما يقصده أوستين :بالفعل اللفظي ،و يقصده سيرل بالفعل القضوي ،أما الفعل الإنجازي لدى كل من أوستين و سيرل فكل منظومة البحث الأصولي قائمة عليه خاص في هذا النوع من الأفعال.[97]

الموضوعات اللغوية في البحث الأصولي:

إنّ أهم موضوع يسوق الباحث في الأصول إلى دراسته هو الدلالة لأنّها مفتاح استنباط الأحكام التي يتم توجيهها من الأصوليين خلال دراستهم للنص القرآني و الحديث الشريف.

وقد أُسّس الدرس الأصولي لاستنباط الأحكام من نصوص الشريعة على أهمّ قاعدتين هما كالتالي: عرفية الاستعمال و مقاصد المتكلم بالمقابل تعد هاتين القاعدتين في الدرس التداولي من آليات الإجرائية لتحليل الخطاب.

1. **عرفية الاستعمال**:اتفق علماء الأصول أن استعمالنا للغة مرتبط بما تعارفنا عليه في ألفاظها و صيغها و تراكيبها و دلالاتها ،إضافة إلى ما يقتضيه مقامات الكلام و أعراف الناس و أحكام الشرع ،ومن ثم كان العرف عندهم ثلاثة أعرف : هي عرف لغوي استعمالي ,وعرف اجتماعي ،و آخر شرعي.

[97] ينظر : محمود أبو نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 107.

2. **قصدية المتكلم**:(النية و القصد)، و هو أهم شرط لتحديد هدف الخطاب و غايته ،من خلال عدة أقوال نتلفظ بها فهي تعد عند خروجها أفعالا،ولا نستطيع تجاوزها أو إهمالها كأيّ لفظ آخر نطقنا .مثل :قول زوج لزوجته :"إن خرجت من المنزل فأنت طالق". في تحليلنا لهذا الملفوظ من حيث الدلالة الوضعية الذي يقع به الطلاق، لكن من حيث النظر للقضية بمنظور مقصدية الملفوظ فإن المتكلم أراد التهديد و التخويف لا الطلاق .

لهذا حذروا من إهمال قصد المتكلم بالقول:" إيّاك أن تهمل قصد المتكلم و نيته و عرفه،فتجني عليه و على الشريعة ،و تنسب إليها ما هي بريئة منه".[98]

ومن ذلك أمثلة كثيرة في هذا الجانب. فمجمل القول أنّ البحث الأصولي انقسم في مضمونه إلى ثلاثة أقسام هي:

1- القضايا الدلالية:التي تعبر عنها مصطلحات: الإيماء، الإشارة، تنبيه، فحوى، مفهوم كما نضيف إليها مجموع الظواهر و شبكة العلاقات الدلالية هو:العام/الخاص، المطلق/المقيد، المحكم/ المتشابه، المجمل/المفصل.

2- القضايا النحوية: يشمل القضايا و المسائل النحوية كما تصورها الأصوليون و خالفوا بها النحاة أو وافقوها فاهتدوا إلى كثير من الحلول الموفقة و الناضجة لبعض المسائل النحوية .فاعتبر بعضهم إنّ نحو الأصوليين "نحو دلالة".

[98] ينظر : محمد أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح : حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- السعودية، دط، ج3، ص 30-31.

3- المنحى التداولي للبحث الأصولي: هذا المبحث قلّما تناوله الدارسون، فهو يعنى بكيفية استثمارهم للمفاهيم و المقولات التداولية " لنظرية أفعال الكلام". فجوهر موضوعها البحث في كل من الأساليب "الخبر و الإنشاء".

و تكمن أهمية بحثهم في استنباط الدلالة و الطرق التي يتخذها النص لإفادة معنى أو لصناعة أفعال دينية –فردية كانت او اجتماعية –بالكلمات ،و كيفية تعاطيهم الأساليب اللغوية و الأغراض الإبلاغية التواصلية المنبثقة عنها .و قد توصل الأصوليون إلى اكتشاف وضع أفعال كلامية فرعية جديدة منبثقة عن الأفعال الكلامية الأصلية فاستعانوا بالبحث الطويل الذي فرط فيه كثير من النحاة، من خلال فهمهم لطرق تأليف الكلام، و أوجه استعماله و إدراك مقاصده، و أغراضه الإبلاغية المنبثقة عنه، بالإضافة إلى مراعاة قصد المتكلم و السياق و المقام؛بل إن البحث الأصولي يفضل ما قدمه علم المعاني.[99]

الأفعال الكلامية في البحث الأصولي:استثمر الأصوليون مفهوم الأفعال الكلامية في الأسلوب الخبري عند تحليلهم للنصوص الدينية، فانبثقت منه عدة مفاهيم من خلال تفاعل الجانب النظري بالتطبيقي كظاهرة أسلوبية نشأت منها عدة أغراض كلامية أخرى منها:الشهادة،الرواية،الدعوى و الإقرار،الوعد و الوعيد...الخ.

لخصها "القرافي" بقوله:«الشهادة خبر،الرواية خبر،الدعوى خبر،الإقرار خبر،المقدمة خبر،النتيجة خبر»....بعد أن استنبطوها اسقطوا عليها قوانين البلاغة كما صيغت في علم المعاني مع مراعاة سياقاتها و أغراضها المختلفة .

هذه التقسيمات و الأخرى تتماشى مع ما قدمه سيرل من معايير ضمن التقريرات بمفهومه :«إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به». مع امتلاك الأسس القانونية أو الأخلاقية التي تؤيد صحة محتواها.

[99] ينظر : مسعود صحراوي، ص 131.

1. **الشهادة و الرواية:** في فقرة سابقة ورد نص القرافي في تصريحه للأفعال الكلامية التي شابهت الأسلوب الخبري و منها اختلفت في الغرض و المقصد في قوله:«الشهادة خبر،الرواية خبر،الدعوى خبر،الإقرار خبر،المقدمة خبر،النتيجة خبر» و قد أدت به ملاحظاته الدقيقة إلى التمييز بين هذه الأصناف على أساس تداولي في معظمه، و قد تمثل ذلك في ما يلي:

1. **الشهادة و الرواية:** اعتبرها الأصوليين و القرافي خصوصا أن كلا من الشهادة و الرواية خبرا ،و لكنهما يفرقان بينهما بصرامة تداولية .فميز بينهما انطلاقا من وجهتين فقهيتين :

1) جهة المخبر عنه: فان كان المخبر عنه أمرا عاما لا يختص بمعين فهو رواية، وأن كان المخبر عنه معينا خاصا فهو شهادة.[100]

2) جهة السياق الاجتماعي العام: فإذا كان في مقام غير رسمي هو رواية؛إمّا إذا كان في هيئة رسمية مثلا كان أنه امتثل أمام القاضي فهو شهادة...الخ.نلاحظ انه تأسيسا لما انطلق منه القرافي في تمييزه بين الرواية و الشهادة ،خرج بثلاث تصنيفات للأفعال الكلامية :

أ. رواية محضة كالأحاديث النبوية الشريفة.

ب. شهادة محضة كإخبار الشهود عن الحقوق على المعنيين عند الحاكم.

ج. مركب من الشهادة و الرواية:له صور عديدة (منها الإخبار عن رؤية هلال رمضان.....).

الأساس التمييزي الذي يقوم عليه التفريق بين هذه الأنواع هو "الآثار المترتبة عن الخبر و المتعلقة بالمخبر عنه".

[100] ينظر : مرجع نفسه ، ص 132.

وتعود آثاره إما على الخصوص أو العموم ،هو أساس تداولي لم يوجد له معيار معادل عند سيرل و المعاصرين لكن له صلة بما قدمه سيرل في "نمط الانجاز "ويعتبر تحققه بتوفر شروط إنجازيه معينة يغير من هوية الفعل الكلامي و يكيّفه بطابع خاص . ومن أمثلة التي توضح ذلك مثل سيرل شخصان يرويان خبرا أحدهما يرويه على أنه شاهد في المحكمة و الآخر يقدمه على أنه خبر عادي ؛فالأول يعطي خبرا و يؤدي به شهادة ، أما الثاني خبره مختلف .

الفرق بين تحليل "سيرل" و "القرافي" من جهتين :

أ. سيرل يضيق حركة الفعل الكلامي و مجاله فيربطه بكيفية أداء الشهادة أو طريقة نقل الخبر تحت مصطلح "نمط الانجاز".

ب. القرافي وسعه بأن أخذ بالعبرة بإطلاق عليه "الآثار المتعلقة بالخبر" و" بنوع المخبر عنه".

ج. سيرل يدع الخبر العام دون تسميته، و يكتفي بالقول "خبر عادي"،أما القرافي فيذكره باسمه المتعارف عليه عندهم و هو الرواية."[101]

انتقال الشهادة من الخبرية إلى الإنشائية:

إن "القرافي" لم يسلم بأنّ جميع أنواع الشهادة هي من صنف الخبر،بل فرّق بينها "الخبرو الشهادة".

وذلك باستخدام قرينة تداولية يمكن تسميتها "**قرينة الورود أو الاستعمال**"أي بتنوع وقوع الفعل الكلامي باختلاف المقامات و مواطن التواصل، منه ما يقتضي الشهادة من الخبر، و منه ما يقتضي الخبر دون الشهادة، فالشهادة عنده مختلفة عن الخبر العادي،من جهة أنها لا تصح بالخبر البتة و لا بالوعد.مثل :المتكلم أمام القاضي:"قد أخبرتك أيّها القاضي بكذا كان كذبا،لأنّ مقتضاه تقديم الإخبار منه و لم يقع.فالمستقبل وعد و

[101] ينظر : مرجع نفسه ، ص 137.

الماضي كذب، فالمعيار الذي يحكم الفرق بين الأمرين هو أن درجة من الرسمية تقتضيها الشهادة و ليست تلك الرسمية من مقتضيات الخبر، بالإضافة أن كلاهما اعتبر "اقتضاء الشهادة إنشاء الخبر"في الحال و سماها سيرل "نمط الانجاز".

لقد كان العلماء العرب عموما محكومين بالرؤية المقاصدية في تنميطهم للجملة العربية، و إبراز أغراضها التواصلية الإنجازية.[102]

بنى "القرافي" تصوره للفروق بين الخبر و الإنشاء من وجهتين:

1. أن الإنشاء سبب لمدلوله، و الخبر ليس سببا لمدلوله، فان العقود سبب لمدلولاتها بخلاف الإخبار.
2. إن الإنشاءات تتبعها مدلولاتها،و الإخبارات تتبعها مدلولاتها؛ تبعة مدلولات الإنشاء للإنشاء، تحمل على أن البعض الأفعال الكلامية كالطلاق والملكية ،يقعان بعد صدور صيغة الطلاق و البيع، إما أن الخبر تابع لمخبره...مثل:قام زيد،تبع لقيامه في الزمن الماضي؛قولنا :هو قائم تبع قيامه الحالي،أما قولنا:سيقوم زيد،فتفسيره لتقرير قيامه مستقبلا.

يعلل "القرافي" حكمه بقوله:«ليست التبعية في الوجود و إلا لما صدق ذلك للماضي فقط،فان الحاضر مقارن،فلا تبعية لحصول المساواة، المستقبل وجوده بعد الخبر،فكان متبوعا لا تابعا»، إذن حصيلة الطرح النظري مفادها أن مصداق الخبر في الواقع الخارجي سابق عليه،و أن مصداق الإنشاء في الواقع الخارجي لا حق له، هذا المعيار هو نفس معيار إيجاد الإنشاء نسبة مطابقته الخارجية دون الخبر، كما نستنتج أن الفعل الكلامي الشهادي بصيغته:أشهد في المضارع و لا تصح في الماضي و لو نطق بها لكانت خبرا،ولم يناقش القرافي الشهادة بصيغة فاعل، فعيل،شاهد،شهيد عند مقابلته بمصطلحات "سيرل" نجد ان الشهادة ضمن أفعال الإيقاعيات، أما إذا كان خبرا كان ضمن أفعال التقريرات.

[102] ينظر : مرجع نفسه ، ص 140.

2- الـدعـوى و الإقـرار:

مثلما فرق المتكلمون و الأصوليون العرب بين الشهادة و الرواية كذلك عملوا على التفريق بين "الدعوى و الإقرار" ، فقد عرّفه القرافي في كتابه الفروق قائلا:«الدعوى خبر عن حق يتعلق بالمخبر على غيره »،أما الإقرار:« فهو خبر يتعلق بالمخبر و يضرّ به وحده».[103] بمعايير سيرل تعود التفرقة بين الأمرين هنا أيضا إلى "نمـط الانجاز"كما هو ظاهر.

و نلاحظ أن الإقرار كذلك شهادة إلاّ أنها هي شهادة على النفس، أما الشهادة هي شهادة على الغير.

3- الوعـد و الوعيـــد:

اعتبر القاضي عبر الجبار المعتزلي أن الوعد و الوعيد كليهما من الأخبار؛إنّ الوعد عنده «هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير، أودفع ضرر عنه في المستقبل»، أما الوعيد فهو« كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير، أو تفويت نفع عنه في المستقبل»، ويشترط القاضي عبد الجبار في الصنفين معا أن يكونا في المستقبل، لأنه إن نفعه في الحال أو أضره مع القول لم يكن واعدا ولا متوعدا.[104]

صرح السيوطي أيضا بأن من أقسام الخبر" الوعد والوعيد"، لكنه أشار إلى أن في كلام "ابن قتيبة" ما يوهم أنه إنشاء و إن كان كذلك فهو من الإنشاء غير طلبي .

و يعد القاضي عبد الجبار هو زعيم القول بأن "الوعد و الوعيد" من الإخبار،ثم تبعه بعض المتكلمين، و هذان الأسلوبان يتفقان عنده ؛ في إن مضمونهما فعل مستقبلي للمتكلم، لكنهما يفترقان في النتائج و الآثار المترتبة على كل منهما، أي أن الفعل الأول فيه نفع للمتكلم و الثاني فيه ضرر له.

---

[103] ينظر: شهاب الدين القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، المسمى الفروق، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ت ط 2009، د ط، ج 4، ص 18.

[104] ينظر : عبد الجبار القاضي شرح الأصول الخمسة، ص 143-145.

كما نجد أن "القرافي" خالف القاضي عبد الجبار في شروط الأخذ بان الوعد هو إخبار و ذلك في سياق المفاضلة بين الأقوال المختلفة يرى:«الكذب يختص بالماضي و الحاضر،الوعد إنما يتعلق بالمستقبل فلا يدخله الكذب».

لكن نجد في كلامه تناقضا فقد سبق له أن ذكر وعد الشرائع ووعيدها "أنها صادقة، لأن الله تعالى يخبر عن معلوم،و كل ما يتعلق به العلم تجب مطابقته فيكون الوعد به خبرا صادقا.[105]

أما وعود البشر فأمرها مختلف فالواعد إنما ألزم نفسه بأن يفعل...مع جواز أن يقع ذلك منه و أن لا يقع، إذ لا تكون المطابقة من عدمها معلومين عنده و لا واقعين، فلابد من نفي الصدق و الكذب بالكلية وقت الإخبار.

فهما مرة ينسب الصدق و الكذب بالأخذ بهما كمقياس للوعد و الوعيد، و مرة أخرى يصرح بعدم الأخذ بهما للوعود الإلهية و البشرية على السواء.[106]

و عند مقابلة مقاييس الأخذ بضوابط الوعد و الوعيد إما بالخبر أو الإنشاء نجد في معايير سيرل الفرق بين الوعد و الخبر ليس شرط في المحتوى القضوي و لكن في "الغرض المتضمن في القول".من حيث درجة الشدة في القول .

الأفعال الكلامية المنبثقة عن الإنشاء :

استنبط الفقهاء والأصوليون أفعالا كلامية جديدة، بإنتهاج المنهج التداولي، وتحديدا من إثر البحث في المقاصد والأغراض التي يؤول إليها كل من الأمر والنهي، وغيرهما من الأساليب الإنشائية، وذلك باعتماد القرائن اللفظية أو المعنوية أو الحالية التي تهدي إلى تلك المقاصد، وتدل عليها.

فبحثوا في ما ينجر عن مفهوم الإذن من أفعال كلامية كـ "الإباحة" و"الأمر" وغيرهما، وكانت الخطوة الأولى في البحث الأصولي أنهم تعرضوا لتعريف "الأمر والنهي"، إذ عدّلوا بعض الشيء ما جاء به البلاغيون بالأخص في

[105] ينظر: شهاب الدين القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، المسمى الفروق، تح: خليل عمران المنصور، ج 4، ص 24.
[106] ينظر: مرجع نفسه، ص 25.

" علم المعاني "، مثلما صرح إمام الحرمين "الجويني"بـ «أن حقيقة الأمر الدعاء إلى الفعل، وحقيقة النهي الدعاء إلى الكف»،[107] وكما ذكر "الشيرازي" في " شرح اللّمع" أن جمهور الأصوليين متفقون على أن الأمر هو:« استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه»، وعلى أن النهي هو:«استدعاء الترك بالقول، ممن هو دونه على سبيل الوجوب».[108]

نلاحظ أنّ الطرح الذي ساقه علماء المعاني في التعريف بالأمر و النهي في قولهم: عن الأمر"هو استعداء الفعل بالقول "،أما عن النهي فهو "استدعاء الترك بالقول"، نلاحظ أن هذا الطرح يتماشى مع ما قدمه "سيرل" من مستوى الفعل الإنجازي، فهو دليل قاطع بالوعي الكامل لظاهرة الأفعال الكلامية أو ما يسمى عندهم "معاني الأساليب"، بمعنى صناعة الأفعال و السلوكيات و المواقف الاجتماعية و الفردية و المؤسساتية بالكلمات فقد يقع التشابه حتى في التسميات و الاصطلاحات نفسها .

يجدر بنا هاهنا التذكير بما قام به الأصوليون من ربط الأمر و النهي "بإرادة المتكلم "، و هي في المقابل تساير مفهوم القصدية ، بل تطابقه.

إن أهم الأفعال الكلامية التي تفرعت من الأمر هي :الوجوب،الإباحة،الحرمة،الكراهة،التنزيه....؛ فإن ما يجمع هذه الأصناف كلها هما: الإذن في حالة الأمر، والمنع في حالة النهي فتصورها العلماء العرب كما يلي:

1. **الإباحة:**من الممكن أن تأتي صيغة الأمر" الإباحة"، بالرغم من اتفاقهم على أنه ليس طلبا، و لكن تعدل بالخروج إلى صيغ الطلب للأمر مثل : "جالس" الحسن و ابن سيرين.

[107] الجويني أبو العالي عبد المالك بن عبد الله ، الكافية في الجدل، تح : فوقية بن عمرو ،دط ، مطيعة عيسى الباني، القاهرة، مصر، تط 1978، ص 33.

[108] الشيرازي إبراهيم، شرح اللّمع في اصول الفقه،تح: عبد المجيد تركي،دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج1، ص 191.

إن المناطقة و البلاغيين عدّا كلا من الأمر و الإباحة إذن كما عللوا قولهم بان الأمر إذن مع طلب و الإباحة إذن لا طلب معه، أما الدسوقي قال: «إن العلاقة التي تجمع كلا من "الأمر و الإباحة "هي التضاد»، فعللّ ذلك بقوله:"إنّ إباحة فعل الشيء و تركه "تضاد ايجابي".

إنّ مبدأ التفاوت بين الأوامر و النواهي الشرعية منها المدرسة الظاهرية التي تأخذ بالأوامر على ظاهرها وهو الوجوب و الحتم و الإلزام "بطلب الفعل بالمأمورات و بالكف عن الفعل بالمنهيات".[109]

وقد صرح "الشاطبي" :«إنّ أوامر الشريعة تجري في التأكيد مجرى واحد،فإن الأوامر المتعلقة بالأمور الضرورية ليست كالأوامر المتعلقة بالأمور الحاجية، و لا التحسينية»، إذ نجده يرفض القول بأن الأمر:للوجوب أو النـــــــدب،أو الإباحة دون قرينة،كما هو رأي"الرازي"و المعتزلة و الظاهرية أي يرفض القول بأن الأمر للوجوب مطلقا كما تدّعيه المدارس المتشددة ،كالظاهرية هذه الأخيرة التي ترى أن الأوامر تؤخذ على ظاهرها بطلب الفعل في المأمورات و بالكف عن الفعل في المنهيات ما لم يصرفه نص.[110]

و منه نخلص إلى أن أسلوب الأمر، أي الإنشاء الطلبي يتفرع منه عدة أفعال متضمنة في القول جديدة هي:الإذن الندب، الإباحة، التخيير، فكلها يمكن إدراجها ضمن الأمريات عند "سيرل" لكن لم توجد عند المعاصرين.

التعجب: اعتبر جمهور علماء العرب "التعجب من الإنشاء غير الطلبي ".[111]

عرّفوا التعجب قائلين:"انفعال يحدث في النفس عما خفي سببه"، و لذلك قيل:"إذا ظهر السبب بطل العجب".

[109] ينظر: ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام،تح: أحمد محمد شاكر، دط، دار الآفاق الجديدة بيروت ، 1983 ج3، ص 18.

[110] السيوطي جلال الدين عبد الرحمن ، الإتقان في علوم القرآن، تح عبد الله ابن حسن التركي، ط2، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، جدّة، السعودية، ت 2000، ج2، ص 77.

[111] ينظر: ابن الحاجب، الكافية، تح:هادي حمودي ،دط ، عالم الكتب ،بيروت،1985 ،ج2، ص 307.

كما نقل "الأزهري" تعريفه عن "ابن عصفور":«استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها و خرج بها المتعجب منه عن نظائره،أو قل نظيره».[112]

كما أخد المفسرون مصطلح التعجب إذا كانت ألفاظ التعجب صادرة من الله تعالى فسرّها ابن عاشور في قوله تعالى : ﴿174﴾أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿175﴾ أي بقوله "التعجب من شدة صبرهم على عذاب النار".[113]

الناتج أن الأصوليـــين أضافوا إلى التعجب فعلا كلاميا ثانيا هو التعجب و معناه حمل المخاطب على التعجب؛«إذ فعل التعجب فيه مصروف إلى المخاطب».[114]

الاستفهام:اصطلح عليه المفسرون و علماء الأصول بالاستفهام و هناك من أطلق عليه مصطلح الاستخبار،كما وضعوا له تعريفا:«طلب خبر ما ليس عندك».[115]

كما وجد من فرق بين الاستفهام و الاستخبار فيكون الأخير" فيما لم يفهم حق الفهم "،أما الأول أن "تسال عنه ثانيا.."، أمّا عند علماء المعاني فهو:«استعلام عن نسبة هي في أصلها خبر،و لهذا لا يستفهم عن طلب».[116]

---

[112] ينظر: الأزهري، شرح التوضيح على التصريح،دط،دار الفكر،بيروت ، 1987، ج2، ص86-87.

[113] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دط، الدار التونسية للنشر ،تونس ،1984، ج5، ص 17.

[114] ينظر : الزركشي،بدر الدين محمد بن عبد الله ،تح:محمد أبو الفضل ابراهيم ، البرهان في علوم القرآن، دط،المكتبة العصرية ،بيروت،دتط، ج2، ص 319.

[115] ينظر: مرجع نفسه،ص:318.

[116] ينظر : مهدي المخزومي، النحو العربي،ط2، منشورات دار الرّائد العربي ، بيروت ، 1986، ص 264.

وما يميز بحث الأصوليين لهذه الظاهرة الأسلوبية الكلامية أنهم جعلوها متنقلة بين الخبر و الإنشاء بحسب سياق و قصد المتكلم و الغرض من المخاطب؛فالاستفهام الخبري نفي و إثبات، والوارد للنفي يسمى "استفهام إنكار" و الوارد للإثبات يسمى" استفهام تقرير". لأنه طلب من المخاطب في الأول إنكار، و في الثانية إقرار به.

كما قسموا الإستفهام الخبري إلى أقسام تحصر في ضربين هما:

استفهام الإنكار :ما "بعد الأداة منفي "،يجيء لأغراض كتعريف المخاطب أن ذلك الشيء ممتنع عليه .مثل قوله تعالى : ﴿40﴾أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴿41﴾.

استفهام التقرير: هو "حملك المخاطب على الإقرار و الاعتراف بأمر قد استقر عندك".نسبه الزركشي إلى"ابن جني" في كتابه "الخاطريات" في قوله تعالى: ﴿61﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿62﴾.

الاستفهام الإنشائي: قسموه إلى أصناف كثيرة حسب مقاصد المتكلمين و مرادهم من المخاطبين،من أهمها: "العرض و التحضيض " و هما من أنواع الطلب في قوله تعالى: ﴿80﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿81﴾ ؛ الاستفهام هنا موظف في استبطاء الشكر و مكنى به عن الأمر بالشكر، كما له عدة أوجه منها التنبيه و الترغيب والدعاء.[117]

ويمكن توضيح أقسام الاستفهام عندهم كالآتي:

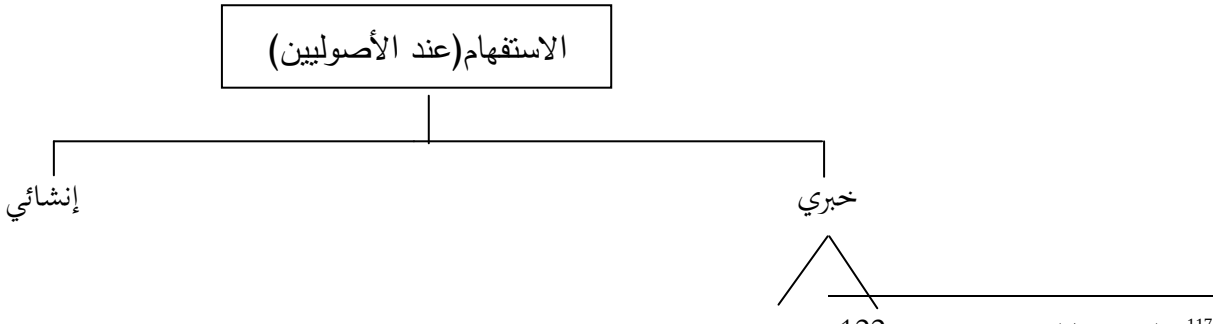

[117] ينظر م س، الطاهر ابن عاشور، ص 122.

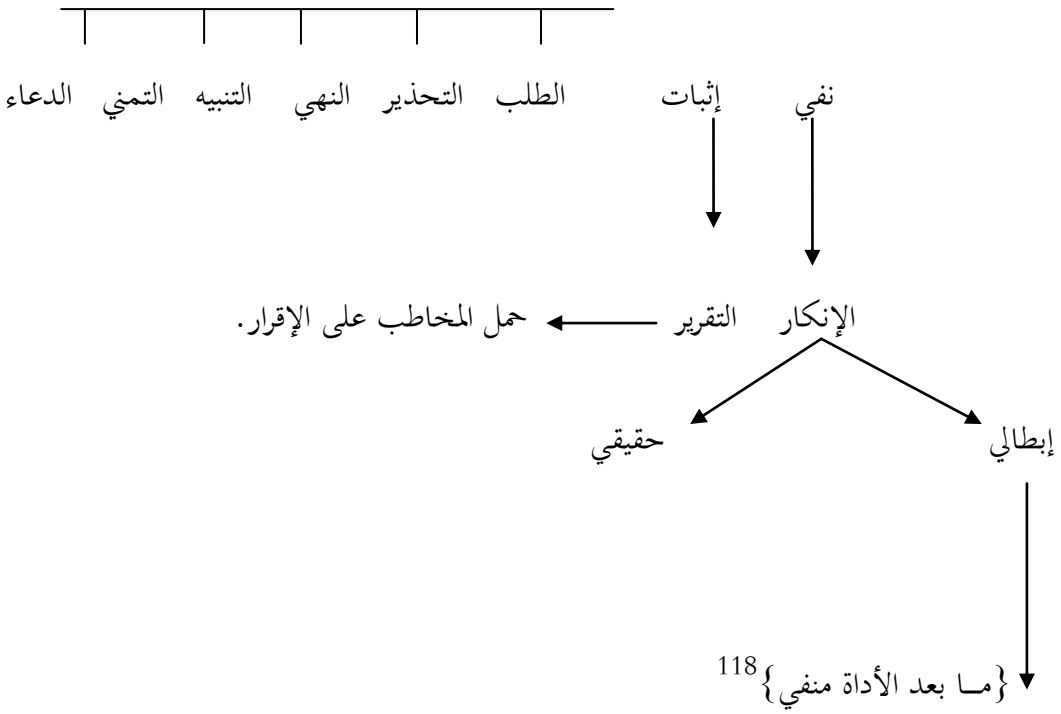

ألفاظ العقـــود و المعاهدات: هذا النوع من الأفعال لم ينل حظه من الدراسة من قبل النحويين و البلاغيين إلا أن الفقهاء و الأصوليين بحثوا فيها باستفاضة بما يتعلق بإجراء المعاملات العامة:الزواج و الطلاق و البيع و الشراء.....الخ، و هي قضايا تداولية تعد موضوع صالح للبحث التداولي.

ألفاظ أو صيغ الطلاق:أي التي تنشئ الطلاق و توقعه. عرفه ابن رشد قائلا:"يقع إذا كان بنية و لفظ صريح".لكن اختلفوا هل يقع «باللفظ غير الصريح، أو بالنية دون اللفظ، أو باللفظ دون النية».[119]

إن البحث الفقهي في فعل اجتماعي كهذا كان يتم بطريقة وإجراءات تداولية،يتجلى ذلك في مبحثين أساسيين هما:مبدأ القصدية"(النيّة)،و مبدأ الصراحة و الكناية".

[118] الطبطبائي،طالب سيد هاشم ،نظرية الافعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين و البلاغيين العرب، دط،منشورات جامعة ،الكويت، 1994، ص92.

[119] ينظر : ابن رشد،أبو الوليد محمد ابن أحمد القرطبي ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد،دط،دار ابن حزم ،1999، ج2، ص 47.

أ. **القصد و النية في فعل الطلاق**:اشتراط النية و القصد في إيقاع هذا الفعل فمن قال لزوجته:"أنت طالق" و ادعى انه أراد شيئا آخر فقد قالوا هو ما نوى ،و لا يلزمه الطلاق لأن نيته غير ذلك ،إلا أن تكون هناك قرينة مانعة من ذلك ،و عند الشافعي أن الطلاق الصريح لا يحتاج إلى نية،و أما باصطلاحات أوستين فقد اعتبر مقولة "القصدية" مبدأ هام من مبادئ الأفعال الكلامية ،إذ تتوقف عليه الهوية الإنجازية لأي فعل كلامي ،و أما باعتبارات سيرل فذلك مرتبط بمعيارين هما "الغرض المتضمن في القول "و" درجة الشدة في القول".[120]

ب. **الصراحة و الكناية في لفظ الطلاق**: من خلال هذا المبحث نتعرف على الألفاظ التي تعد بمنظور تداولي أفعال كلامية بوصفها ترمي إلى إنشاء أفعال(إيقاعيات) و مواقف وسلوكيات اجتماعية بالكلمات.كما أخذ به اوستين، أو الألفاظ التي تعد أفعالا كلامية غير مباشرة ضمن الإيقاعيات كما عبر عنه سيرل مثل قولك:حبلك على غاربك، المحتملة كقولك :اعتدّي، استبرئ، تقنّعي،.....؛ومن الألفاظ الصريحة :أنت طالق، طلقتك،سرّحتك.....الخ.

ألفاظ (أو صيغ) البيع:

ناقش الأصوليون والفقهاء فيكتبهم الألفاظ والصيغ التي تتم بها عقود البيع، إذ "فعل البيع" لا يصح إلا بألفاظ خاصة تواضع عليها أهل اللسان العربي لتؤدي هذا الفعل الكلامي، وهي الألفاظ التي وصفها ابن رشد بأنها تلك التي "صيغتها ماضية، مثل أن يقول البائع: قد بعتك هذا الشيء". كما ذكره سابقا القرافي أن صيغة البيع مخالفة لصيغة الشهادة فتكون في الماضي و عكسه في البيع:"أبيعك"لم يكن إنشاء بل إخبار ينعقد به بيع أو وعد بالبيع في المستقبل،" فالإنشاء يكون بصيغة المضارع في الشهادة،و في صيغة الماضي في العقود للبيع .و في الطلاق بصيغة الماضي و اسم الفاعل :أنت طالق،أنت حرّ.

[120] ينظر : م س، مسعود صحراوي، ص 170-171.

عند قولهم أن صيغة البيع في الماضي فالمقصود هو العكس من كلامهم وهو الصحيح. باشتراط وقوعها في الحال مع استعمال صيغتها في الماضي، فالشريف الجرجاني أورد الإيضاح الذي ينص على أنّ صيغة ألفاظ العقود:بعتنا اشتريت،زوجت،طلقت...الخ، إنشائية إذا لم يتم وقوع فعلها في الماضي أفاد العلم بعدم وقوع فعلها في الماضي دلالة على كونها إنشاء.

بالإضافة إلى شرط الإيجاب و القبول و التزامن في اللزوم الذين ينعقد بهما عقد البيع و إلا كان فاسدا.[121]

المبحث الثالث: معايير التمييز بين الخبر و الإنشاء.

1. معيار الصدق و الكذب:

إن التمييز الأشهر بين الخبر و الإنشاء هو الأخذ بالشرط المبدئي المعروف ،الذي كان محل إجماع بين العلماء العرب عندهم، فالخبر ما يقبل الصدق و الكذب، والإنشاء خلافه .لقد وافق جل علماء اللغة العربية آنذاك على رأي أبو يعقوب السكاكي الذي تزعم القول بتعذر تعريف الخبر و الطلب تعريفا حدّيا لكن عرّفوهما بغايتهما و بلوازمهما و اللازم الذي يعرفان به هو قبول أو عدم قبول الصدق و الكذب؛بالرغم من ذلك وجد من عارض السكاكي في تعريفه لحديهما من اعتبار لوازمهما بان خالفوه من حيث توجههم المنطقي منهم الفارابي و ابن سينا من اعتبار التعجب و التمني خبرًا، بالرغم من استبعادهما للمركبات غير الخبرية .إلا أن هذا الاختلاف كان بين عالم أو أخر لكن في ضبط المعيار اتفقوا جميعهم،من ذلك يقول نجم الدين الكاتب القزويني في التمييز بين الخبر و الإنشاء:«و الكلام التام إن احتمل الصدق و الكذب فهو الخبر و القضية،و أن لم يحتمل فهو الإنشاء».[122]

[121] ينظر : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، م س ، ص 172.

[122] القزويني نجم الدين الكاتب ، الرسالة الشمسية ،ط2، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1984،ص42.

و الرازي في قوله«الخبر إما يكون مطابقا للواقع أو لا،فان كان مطابقا للواقع لم يحتمل الكذب ،و إن لم يكن مطابقا للواقع لم يحتمل الصدق..لذلك وجب أن يقال:"الخبر ما صدق كذّب"»[123].

كما قسم ابن سينا الكلام إلى خبر و طلب على أساس هذا المعيار، كما رأى أن هذا الكلام لا يخرج عن هذين القسمين "الخبر و الطلب". «فإن الخبر أو القضية، هو الذي يصلح أن يصدق أو يكذب. فرأى أن النافع في العلوم هو التركيب الذي على سبيل الخبر»، كما ذكر السبكي أن ابن مالك جعل الكلام "خبرا و طلبا"؛ كما أن من العلماء من قسمه إلى أربعة: «خبر و استخبار و طلب و إنشاء، بناء على التصديق أو التكذيب».[124]

وما نستنتجه من تلك الحقبة أن معيار التقسيم هو قبول أو عدم قبول الصدق أو الكذب، كما أخذ به الرازي بقوله:«المركب التام إن احتمل الصدق و الكذب هو الخبر،و إلا فهو الإنشاء... فخلصوا إلى أن الكلام التام»[125] المفيد أو الخطاب التواصلي الذي يقبل الصدق و الكذب، و الإنشاء أيضا كلام تام مفيد أو خـطاب تواصـلي و لكن لا يقبل صدقا و لا كذبا.[126]

2- معيار الثاني:مطابقة النسبة الخارجية:

تطور البحث اللغوي بأن توجه إلى العناية في ضبط حدّي الخبر و الإنشاء و بعدم الإكتفاء بما توصل إليه "السكاكي"، واصل العلماء تحليلاتهم بشكل أكثر دقة و علمية، بأن وظفوا الأدوات المنطقية في تحليلاتهم؛ فكان منهم من رفض تعريف الإنشاء بأنه: "كلام لا يصح أن يقال انه صادق أو كاذب". لأنه جعل كل من معيار الصدق و الكذب وصفين أو نوعين للخبر كتعريف للشيء بما يساويه في المعرفة أو الجهل به. فاصطلح تعريفا جديدا له:«كلام لفظه سبب لنسبة غير مسبوقة بنسبة أخرى، فالمعنى منه:الخبر و الإنشاء و إن كانا نوعين متكافئين لا سبق لأحدهما على الآخر في المعنى لكن الخبر في الوضع أصل و الإنشاء طارئ عليه».

أما القزويني فميز بينهما :«الكلام إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج؛فالأول خبر و الثاني إنشاء.» إذن الخبر هو القول المتضمن نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو الإثبات.كذلك هذا ما

---

[123] قطب الدين محمود بن محمد الرازي، تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية، ط2، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1984،ص 42

[124] ابن سينا، الشفاء، المنطق، العبارة، تح : محمود الخضيري، دط ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، بيروت، دتط ،ج1، ص31.

[125] م س ، الرازي، ص 43.

[126] ينظر : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 58-59-60-61.

ذهب إليه ابن خلدون في قوله:«الجملة الإسنادية تكون خبرية ،و هي التي لها خارج تطابقه أو لا ،و إنشائية و هي التي لا خارج لها كالطلب و أنواعه.»

كما أخذ بذلك "التفتازاني" في نصه:"الكلام إن كان لنسبته خارج في أحد الأزمنة الثلاثة تطابقه، أي أن تطابق تلك النسبة ذلك الخارج بأن يكونا ثبوتيتين أو سلبيتين، أو لا تطابقه بأن تكون النسبة المفهومة من الكلام ثبوتية،و التي بينهما في الخارج و الواقع سلبية أو العكس ،فهو خبر."

أما رضي الدين "الاستراباذي" فقد صرّح بأن الجملة غير الخبرية ،أي التي لا تقبل الصدق و الكذب، تكون إنشائية نحو:"بعت،طلقت،و أنت حرّ"،و إما طلبية كالأمر و النهي و الاستفهام و التمني. إذن نخلص إلى أن الكلام عنده ثلاثة أقسام:خبر،إنشاء،طلب.

ما نلاحظه من اختلافات أدى إلى طرح عدة إشكالات، لكن الطرح الأنسب الذي يمكن تفويضه هو ما أتى به "الجرجاني" ثم "التفتازاني" في تعليل القول بانتقاء النسبة الخارجية عن الإنشاء.[127]

3-المعيار الثالث:إيجاد النسبة الخارجية

المعروف أن العلماء العرب انطلقوا من التمييز بين الخبر و الإنشاء من معيار قبول الخبر" للصدق و الكذب،و الإنشاء بعدم قبولهما ،إلى معيار تصنيفي آخر ،و هو معيار" إيجاد النسبة الخارجية ".

وإنما مبدأ "القصد" الذي صاغه الدسوقي ناقلا عن "التفتازاني" و "المغربي" و غيرهما ،يقوي التوجه التداولي في تحليلات العلماء العرب، و يبعدهما عن التحليل المنطقي الجاف. كما أكد المغربي على أن مفهوم الخبر هو الدلالة على وقوع النسبة الخارجية من دون تأثير الخبر في وقوعها بالمقابل نجد الإنشاء وظيفته التأثير في نسبة وقوع النسبة الخارجية بأن توجد به.

تقسيمات العرب للخبر و الإنشاء:

سبق أن عرضنا أن العرب قد قسموا اللفظ المفيد (الكلام) إلى خبر و إنشاء، لكن وردت عدة اجتهادات لتقسيمات أخرى عن علماء سواء في المنطق أو في علم الكلام أو في اللغة و الأدب وهنا سنورد مجهوداتهم في ذلك:

[127] ينظر: مرجع نفسه، ص 65-64.

التقسيم الإجمـــــالي:

1- **تقسيم الفارابي** : قام الفارابي في القرن العاشر، بتقسيم أنواع المخاطبات ،صنف العبارات الكلامية الصادرة عن الإنسان إلى صنفين كبيرين هما :عبارات القول، عبارات الفعل، فهذا يطابق ما بدأ به "أوستين" من تصنيف للأقوال و الأفعال، باعتبار المخاطبات نوعين:

أ– الأقوال: تتم بتحريك الشفتين للتعبير عما في النفس و التواصل مع الآخر.

ب– الأفعال: المراد منها إضافة إلى السابق حمل المخاطب على فعل شيء ما، فهو يقتضي به إما قول ما ،و إما فعل شيء ما.فالمقتضي منه في النداء مثلا: تضرع و طلبة و إذن و منع، ومنه حث،كف، أمر،نهي.لا يفوته أن يبين أن "النطق بالقول هو فعل ما.[128]

لاشك أن الفارابي منذ ذلك العصر تنبه إلى مفهوم الملفوظ الإنجازي" الذي تحدث عنه "أوستين" و "سيرل" في عصرنا و الذي كثيرا ما يقدم على أنه اكتشاف حديث في كل من الفلسفة التحليلية و الأبحاث التداولية المعاصرة.

فيعبر الفارابي في قوله: "أما قول ما، أو فعل ما....."، عن مفهوم القوة"force" أحد مقومات الدرس التداولي مثلا ذكره أن "قوة أحد أنواع القول (النداء)،قوة السؤال عن الشيء."أي أن القوة الإنجازية محتواه في فعل النداء هي نفسها في فعل الاستفهام .....الخ.

وقد تفطن الفارابي إلى مفهوم تداولي آخر مهم، و هو الفعل الناتج عن القول الذي أدلى به كل من "اوستين" و "سيرل" في قوله: «كل مخاطبة يقتضى بها شيء ما، فجواب النداء إقبال أو أعراض، جواب التضرع و الطلبة بذل أومنع، جواب النهي و الأمر وما شاكله طاعة أو معصية،و جواب السؤال عن الشيء إيجاب أو سلب.....».

2- **تقسيم ابن سينا:**

[128] الفارابي أبو نصر: كتاب الحروف، تح : محسن مهدي، ط2، دار المشرق، بيروت لبنان، 1990، ص 162.

اعتنى "ابن سينا" كثيرا بالخبر في نظره هو "النافع في العلوم"، يقسم "ابن سينا" الكلام إلى "خبر" و" طلب" على أساس معيار "الصدق و الكذب"؛ لأنه من المناطقة، لكنه تعمق بأن ركز في تحليله على البعد التداولي الذي يربط بين قصدية المتكلم و مراده من المخاطب من جهة و بين استجابة المخاطب و ردة فعله من جهة أخرى؛ يرد في هذا المقام ما قاله:"و ذلك أن الحاجة إلى القول هي الدلالة على ما في النفس،و الدلالة إما أن تراد لذاتها هي الأخبار، أو على وجه آخر و إما محرفة كتحريف التمني و التعجب و غير ذلك. فإنها كلها ترجع إلى الإخبار، و التي تراد لشيء يوجد من المخاطب فإما أن يكون ذلك (المراد من المخاطب) أيضا دلالة أو فعلا غير الدلالة، فإن أريدت الدلالة فتكون المخاطبة استعلاما و استفهاما،و إن أريد عمل من الأعمال و فعل من الأفعال غير الدلالة فهو طلب".[129]

نصل إلى أن الإنسان لا يستعمل العبارات اللغوية إلا بدافع الحاجة التواصلية، فالدلالة على ما في النفس تولّد الحاجة إلى القول، ومن الحاجة إلى القول تتولّد العبارة اللغوية. بمعنى أن الإنسان لا يتكلم لأن في نفسه حاجة إلى القول تقتضي الدلالة على ما في نفسه و الإفصاح عما في داخله، لذا أورد أقساما للكلام مفصلة في المخطط التالي:

خطاطة الفلسفة اللغوية عند ابن سينا[130]

نلاحظ أن "ابن سينا" لم يضع اسما للقسم المقابل للخبر كما وافقه في ذلك الفارابي، أي للدلالة التي تراد لشيء يتوقع حدوثه من المخاطب، رغم إغفال التسمية إلا أنه عرفه تعريفا تداولي،كما اعتبر" التمني و التعجب" إخبارا، غاية ما في الأمر أنها محرّفة كما رد "سيرل" البوحيات إلى التقريرات.[131]

[129] ينظر : ابن سينا أبوعلي الحسين بن عبد الله ، الشفاء، المنطق، العبارة، م س، ج1، ص 31.
[130] ينظر، مسعود صحراوي، ص 88.
[131] ينظر: م نفسه، ص 90.

نجد أن مسالة التمييز بين الخبر و الإنشاء عند كل من "ابن سينا" و الفارابي سببها بتحليل التداوليين المعاصرين في الانطلاق من الاعتبارات التداولية:قصدية المتكلم.

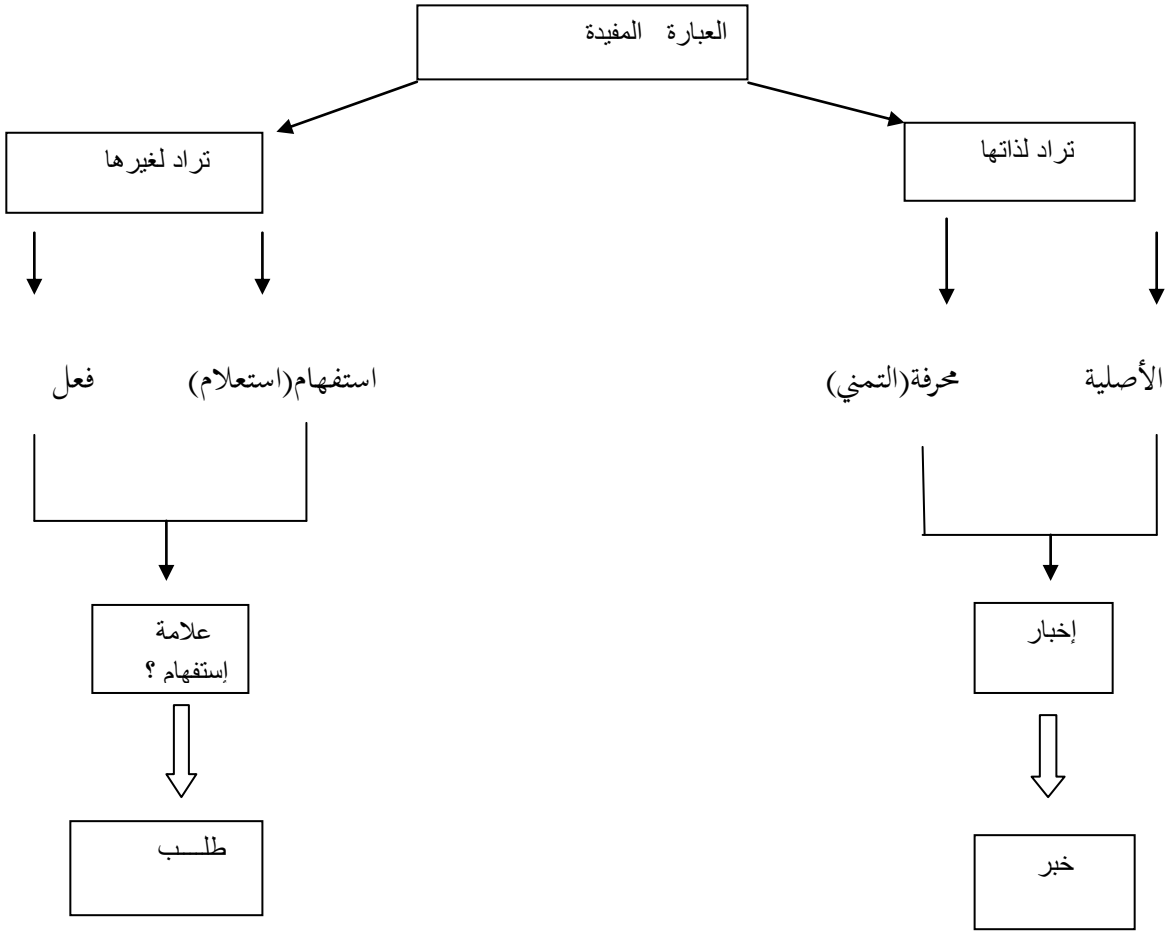

132

[132] ينظر، مسعود صحراوي، ص 90.

إن ما استقر عليه جمهور العلماء العرب هو "التقسيم الإجمالي " كما هو في الخطاطة التالية:

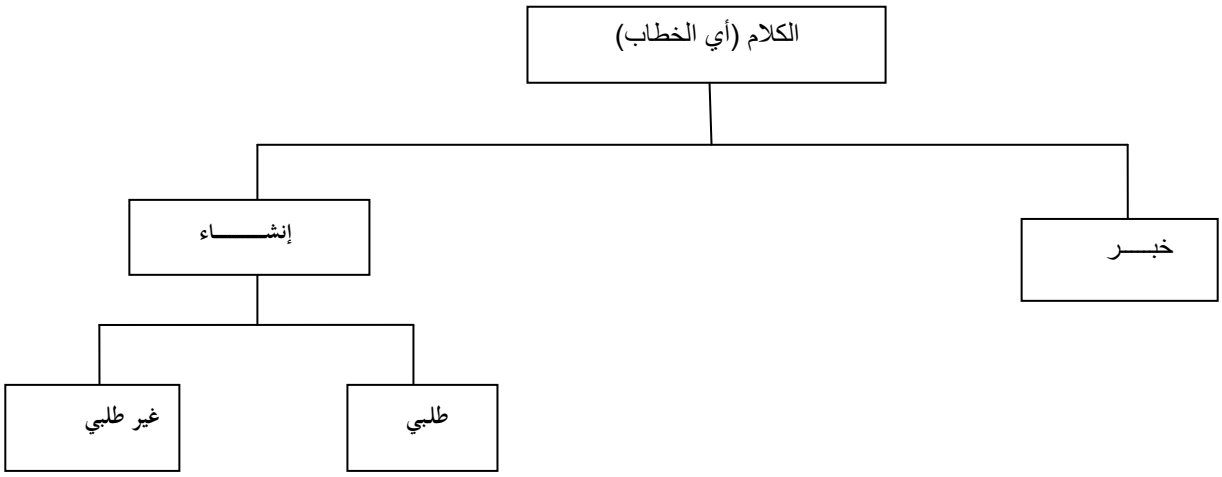

3- التقسيم التفصيـلي:

مما سبق دراسته نرى أن اللفظ المفيد قد قسموه إلى قسمين كبيرين هما :الخبر و الإنشاء و لم يكتفوا بذلك بل اثروا دراستهم بالأفكار و الرؤى و المناهج و الأدوات المعتمدة في التمييز بين الأسلوبين ،و أن بعض أولئك العلماء كان لهم منحى تداولي في تحديد قيمتي الصدق و الكذب و في التمييز بين الخبر و الإنشاء.

إن البلاغيين و المناطقة لم يكتفوا بالتفصيل الإجمالي(الخبر،الإنشاء:طلبي،غير طلبي)، بل تجاوزوا ذلك إلى تقسيم كل منهما إلى أقسام فرعية تفصيلية جديرة بان تبحث.

اعتمد العرب في تقسيم للخبر بالاستناد تارة إلى رؤى بنوية تجريدية(باب قضايا المنطق و تقسيمهم إلى موجبة و سالبة،كلية و جزئية و موجهة و غير موجهة..) ،و تارة أخرى إلى رؤيا تداولية، و قفزة أخرى إلى المزاوجة بينهما.[133]

[133] ينظر : مرجع نفسه، ص 93-94.

أ. **تقسيم منسوب إلى الجاحظ:** ورد في كتاب المطول في شرح التلخيص المفتاح "لسعد الدين التفتازاني"،تقسيما نسبه إلى الجاحظ مضمونه في الخطاطة التالية:

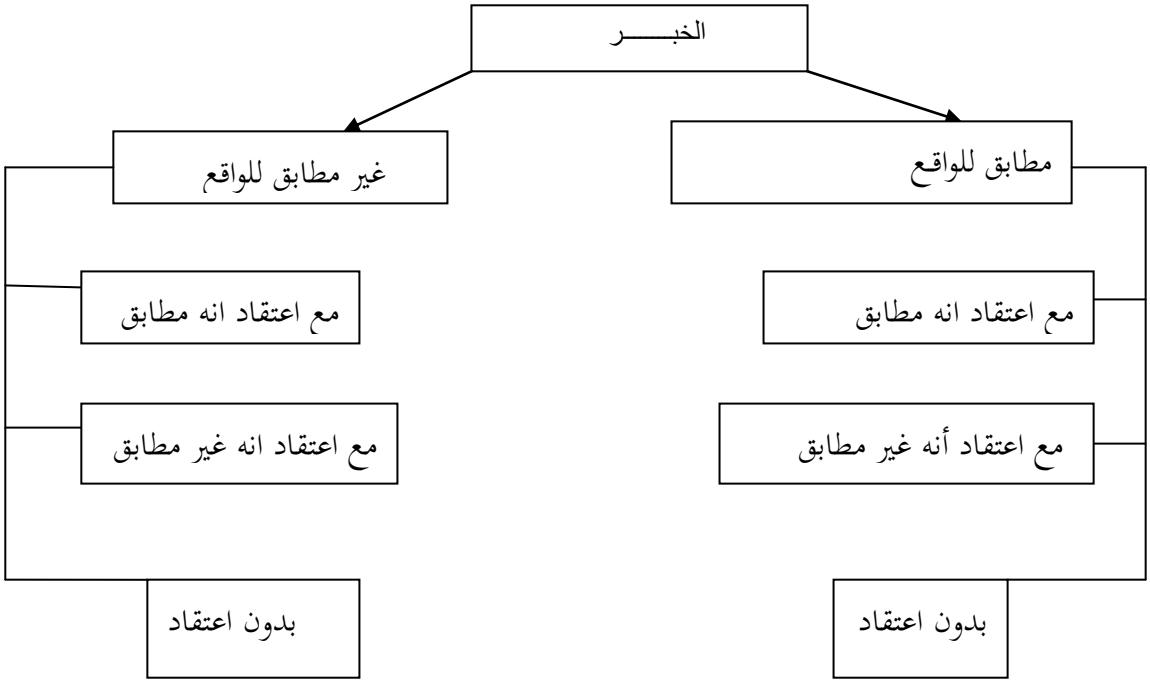

خطاطة تبرز تصنيفات الخبر عند الجاحظ.

يحتكم الجاحظ إلى معيارين في الحكم على الصدق الخبر أو كذبه و هما:

- مطابقة الواقع.
- اعتقاد المخبر (قصدية المتكلم).[134]

[134] سعد الدين التفنازاني: شرح المفتاح، دط، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة،1944،ص 24.

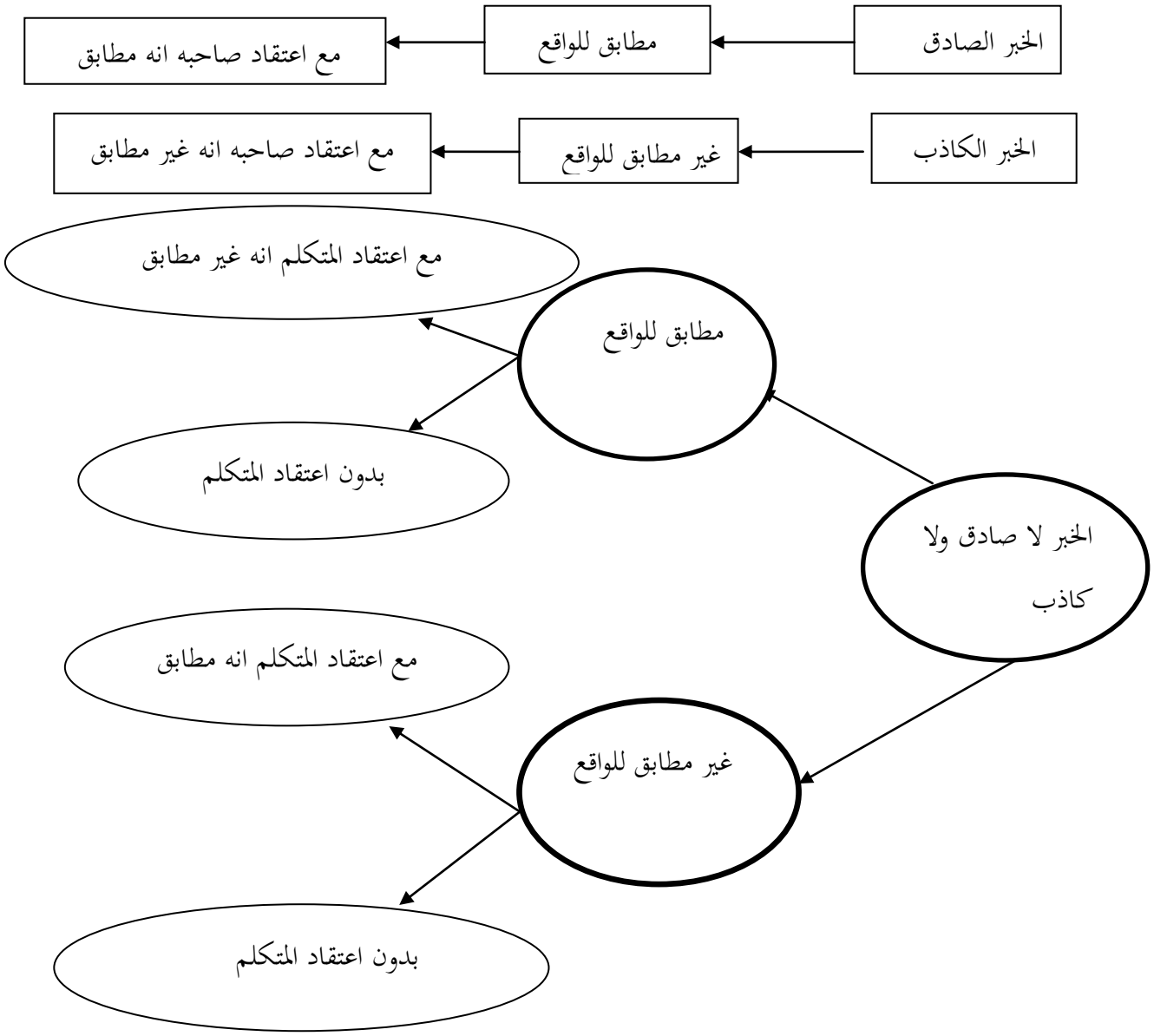

135

[135] ينظر، مسعود صحراوي، ص 93.

قام "التفتازاني" بنقد "الجاحظ" بقوله:«ولا نسلم بأن للقصد و الشعور مدخلا في خبرية الكلام،فإنّ قول المجنون و الساهي أو النائم:"زيد قائم"كلام ليس بإنشاء فيكون خبرا ضرورة و لا يعرف بينهما واسطة»،[136]كانت النتيجة لافتة للنظر من حيث الأهمية، إن الجاحظ أورد صنفا ثالثا من الأخبار وصفه بغير "صادق و لا كاذب" ،وهو أمر خالف به جمهور العلماء و البلاغيين العرب،ووافق به إبراهيم بن النّظام المعتزلي وأخذ به ممن جاؤوا بعده بالإعتماد على معيار تداولي.

عند عقد مقاربة بين الجاحظ وبين ما درسناه سابقا حول تقسيم سيرل للفعل الكلامي، و شروط صحة الأفعال خاصة الفعل الثاني مما خصه بشرط الصراحة، الذي يعد أحد شروط أو معايير القوى المتضمنة في القول (الفعل القضوي)[137] لإثبات هويتها الإنجازية، نجد أن سيرل وافق الجاحظ في اعتماده على هذا المعيار، كما وافقه الدسوقي و السبكي.

إلا أننا نجد إنكارا "للتفتازاني" أن يكون "للقصد و الشعور مدخل في خبرية الكلام"، في أخذه بأن المجنـــــون و الساهي و النائم لا يمكن تقييم كلامهم، فهنا نلاحظ أن منحى تصور "التفتازاني" تجريدي صوري غير آخذ باعتبارات الاستعمال و مقاصد المتكلمين.

[136] رضي الدين الإستراباذي، شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، تح: رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت،لبنان، تط 2000،دط، ص42 .
[137] Sen et expression, jean Searle p 44.

ب. **تقسيم منسوب إلى "رضي الدين الاستراباذي":**

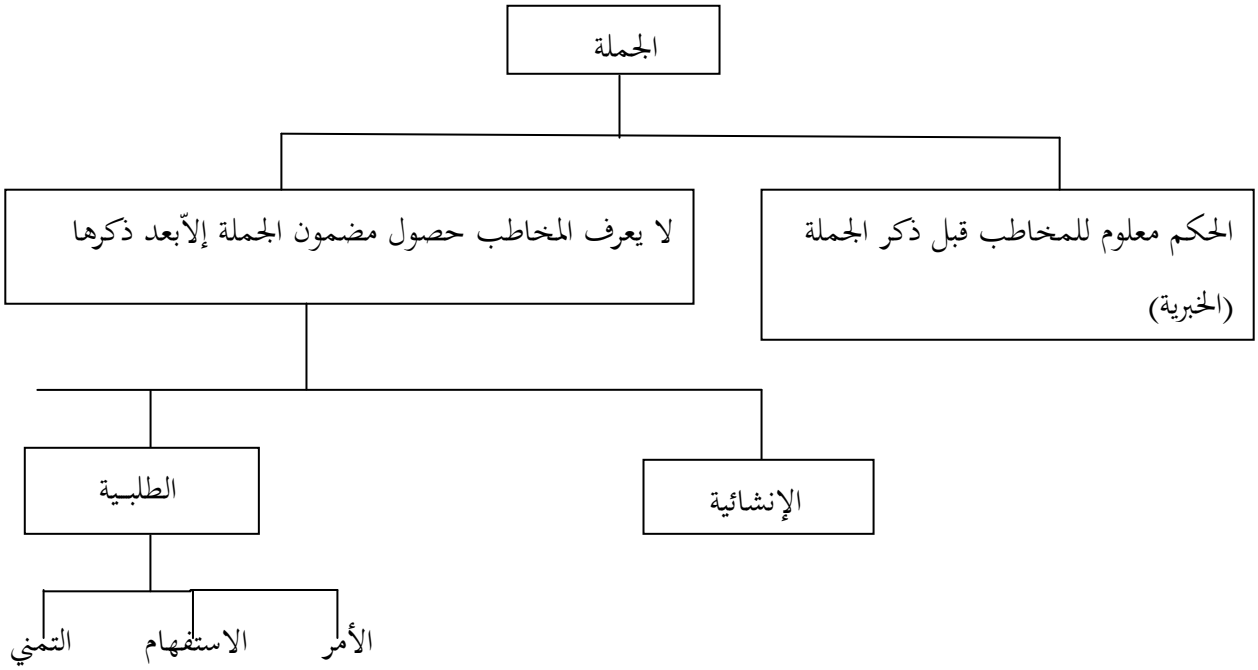

ج. **تقسيم منسوب إلى أبي العباس اللغوي :**

هو تقسيم مشهور يقف على قاعدة تداولية يراعى فيها مقتضى الحال أي مراعاة الموقف النفسي من حال السامع اتجاه ما يخبر به، و اضطرار المتكلم إلى تعديل الكلام و التصرف فيه حتى يلائم حال السامع، و يؤدي وظيفته التواصلية الإبلاغية، كما اصطلح عليه عند المعاصرين "التعالق بين الوظيفة والبنية" في الأنماط المقامية المختلفة، والشاهد هنا القصة التي حدثت بين الكندي و "أبي العباس" :«إنّي أجد في كلام العرب حشوا ،فقال له أبو العباس :في أيّ موضع وجدت ذلك ؟ فقال:أجد العرب يقولون:"عبد الله قائم ،ثم يقولون :"إنّ عبد اللّه قائم،ثم يقولون:"إنّ عبد الله لقائم" ؛فالألفاظ متكررة و المعنى واحد.فقال له أبو العباس:بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ،فقولهم :"عبد الله قائم " إخبار عن قيامه،و قولهم :"وأنّ عبد الله قائم".جواب عن سؤال سائل،وقولهم :"إنّ عبد الله لقائم" جواب عن إنكار منكر قيامه.فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني .قال :"فما حار المتفلسف جوابا».[138]

[138] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،تح: رشيد رضا، دط، المكتبة العصرية، بيروت،2000، ص 312.

الخطاطة التالية توضح تقسيمات الخبر عند "أبي العباس" اللغوي.

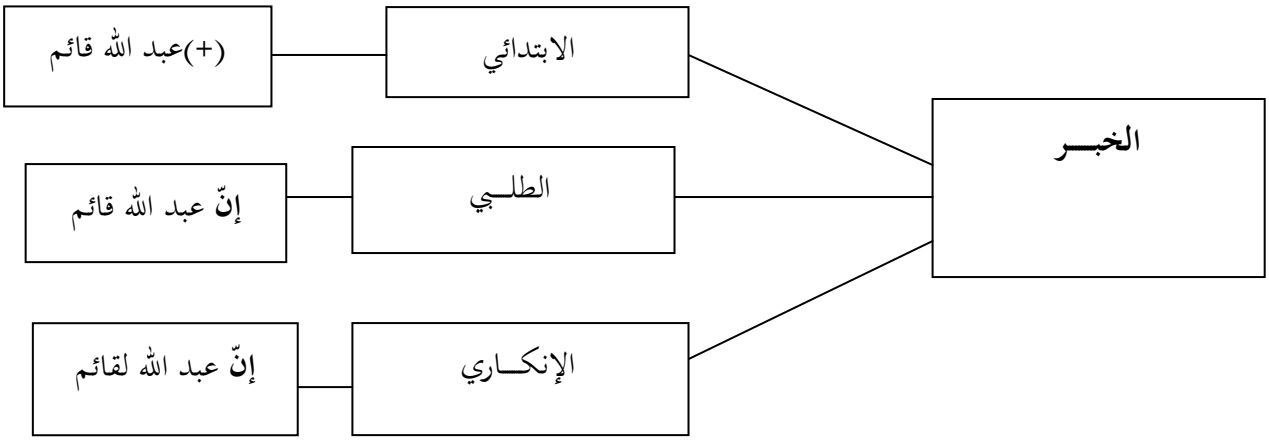

نجد عند "سيرل"إن الفرق بين أنواع الجملة، يكمن بما اصطلح عليه:"درجة الشدة للغرض المتضمن في القول".

و سيرل أقرّ أنه يمكن للجملتين أن تتشابها في "الغرض المتضمن في القول"،غير أنهما تختلفان في "درجة الشدة"ثم عمليا تتفاوتان إنجازيا.[139]

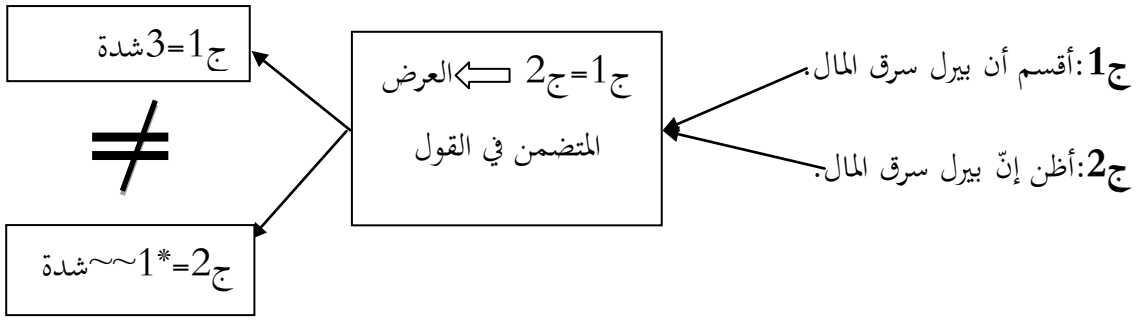

إن درجة الاختلاف و التباين في"درجة الشدة للغرض المتضمن في القول "موجودة في اللـغة العـربية بكـثرة و بوفرة ممثلة في"حروف المعاني" فهي تثري العربية بأساليب كثيرة متنوعة وتمدها بطاقات تعبيرية هائلة و هي في الجدول التالي:

[139] ينظر: مسعود صحراوي ، م س ، ص 96.

الحرف	دلالة الحرف(معناه)	الحرف	دلالة الحرف (معناه)
رُبَ	التقليـــل	**إنَّ،أنَّ**	التوكيد
كـم الخبرية	التكـثير	**نِعْمَ**	المـدح
ليـــت	التمـــــني	**بِئْسَ**	الذّم
لعلّ	الترجي	**الواو/الباء**	القسم
هـــــل	الاستفهام	**ألاّ/ هلاّ**	العرض / التحضيض

140

[140] ينظر: م س ، ص 97.

الخلاصـــــــة:

نخلص إلى أن علماء الأصول قد نافسوا قديما الدرس التداولي رغم الفارق الزمني و عدم انتظام المادة، إلا أنهم كانوا في الجدة و الضبط المعرفي و الوصول إلى الإحكام من صميم الدرس التداولي، فالعبرة عندهم لا بالألفاظ و المبـاني و إنما بالمقاصد و المعاني، فكانت كل هـذه الأفعال الجديدة المنبثقة عن الأفعال الأصلية ترمي إلى صناعة أفعـال و سلوكيات اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات.

الفصل الثالث:

المقاربة اللسانية التداولية لآي

الدعاء في سورة الأنبياء

مدخل: الخطاب القرآني و أثر السياق في توجيه دلالاته.

إنّ الخطاب القرآني يتجاوز في كثير من الأحيان الصيغة التصريحية ليلجأ إلى التلميح، وذلك في سياق الإشارة إلى إمكانية مخالفة ظاهر اللفظ لمراد المتكلم، لتتحول الأفعال الكلامية بوجود جملة من القرائن اللغوية و المقامية يختارها المرسل لتحقيق قصد معين،و لا يمكن بأي حال من الأحوال فهم مقاصد القرآن دون اللجوء إلى كشف القرائن و السياقات النصية التي ارتبطبها المقام لكشف المعنى، فهو يسعى إلى تحقيقه،وهذه القرائن تؤدي وظيفة المرشد للتعامل مع هذا النوع من الخطاب[141]،وإنه ثمة تصور دقيق لطبيعة المعنى يتطلب مقترحا لكيفية فهم مقاصد القرآن،ومن جهة أخرى ينبغي على المتلقي أن يحمل المعنى الظاهر للكلام على أنه يمثل قصد المتكلم ما لم تدل عليه قرينة لفظية أو معنوية،و إن تعارض المعنى الحقيقي للكلام مع القرينة،فإن على المتلقي أن يلجأ إلى تأويلها على المعنى الذي تقتضيه، مع السعي إلى أن لا يكون مناقضا لمقاصد القرآن، إذ أنه يتعامل مع هذه النصوص تعاملا كليا بناء على سياقها النصي،و تكثر هذه الحالة خاصة بالإعتماد على الإستراتيجية التخاطبية[142] بخاصة التلميحيه منها، التي لجأ إليها القرآن الكريم ليلج بها إلى القصد الذي يمكن فهمه من خلال السياق الداخلي للنص، ومن بينها:

إن المرسل يستعمل أسلوب التأدب مراعاة لما تقتضيه بعض الأبعاد، فالبعد الشرعي يملي ضرورة نبذ فاحش القول،البعد الإجتماعي يستدعي ضرورة احترام أذواق الناس و أسماعهم،أمّا البعد الذاتي "فهو صيانة الذات عن التلفظ بما يسيء إليها".

و يؤكد "سيرل" أن مبدأ التأدب يعد من أبرز الدوافع لإستعمال الإستراتيجية غير المباشرة في الطلب،و هناك صيغ معينة تكاد تكون بطبيعتها طرقا عرفية للتأدب في انجاز الطلب غير المباشر".[143]

وقد استعمل هذا النوع في القرآن الكريم في مجال بعثة الرسل إلى أقوامهم، وقد أُمروا باستعمال أسلوب التأدب و الإلتماس حتى ترّق قلوب المدعوين، و يستجيبوا لدعوتهم،كما هو الحال عند إرسال موسى إلى فرعون في قوله تعالى:"**﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾**". النازعات: 14-19

[141] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية،ط1،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت لبنان، 004، ص،386.

[142] ينظر:م نفسه،ص371:

[143] ينظر:منفسه ،ص:372.

تبدأ الآيات باستفهام لعرض القصة والتمهيد بإعداد النفس لتلقيها، فتبدأ إحداها بنداء موسى و مناجاته وهو بالواد المقدس طوى، نداء الله لعبد من عباده أمر هائل عظيم،و سر من أسرار الألوهية،لذلك هيّأه الله لمواجهة هذا الطاغية بأسلوب محبب، يدعوه إلى التنازل عن طغيانه بطريقة الالتماس،إذ لم يقل له تنازل عن طغيانك، بل قال له :" ﴿١٧﴾ ... **هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ﴿١٨﴾** ".

و قد تعرف فرعون على مقصد موسى الذي يدعوه إلى عبادة الله الواحد الأحد،و لكن طغيانه و جبروته منعاه من الاستجابة لخطاب الداعي.[144]

وقد لا يرتبط اللفظ و القصد برابط لغوي، وإنما يرتبط ببيان القصد على إسهام عناصر السياق الموظفة، فالمتلقي لا يدرك معنًا إلا من خلال القرائن و أضرب الإستدلال العقلي،كأنْ يرد المخاطب على السائل ردا لا يصلح حرفيا أن يكون جوابا عما سئل عنه في مقام التعريض،[145]وهو المصطلح عليه "بالاستلزام الحواري"ويشمل الكناية و التلميح و السائل بغير ما يطلب،كما حدث عند سؤال الناس عن الأهلة،كما ورد في القرآن الكريم. و عند الأصوليين سُمي "بدلالة المخالفة"و قد طوّرت هذه الفكرة في مفاهيم المتضمنات و الإفتراضات المسبقة.

و التعريض له علاقة بقواعد التعاون عند "غرايس"،إذ يدل التعريض على احترام المرسل لهذا المبدأ من خلال إنتاج الخطاب وفقا لما تتطلبه قاعدة العلاقة.

و من الأمثلة في القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى:"﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾". القصص: 27.

فقد رأت الفتاة من موسى القوة و الأمانة،فأشارت على أبيها باستئجاره لرعي الغنم "ليكفيها و أختها مؤونة العمل و الاحتكاك و التبذل و هو قوي على العمل،أمين على المال، فالأمين على العرض هكذا أمين على ما سواه"، و هذا لما رأته كان الرّعاء يسقون فاستلمهم و سقى لها و لأختها فعرضت على أبيها اقتراحها،و في بساطة فهم قصدها،فعرض

[144] ينظر: نعمان بوقرة،نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ،قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية ،مجلة اللغة و الأدب ،قسم اللغة العربية و آدابها ،جامعة الجزائر ، ع17،2006،ص:199.

[145] عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز، تح محمد التنجي، ط1،دار الكتاب العربي،بيروت ،الدار البيضاء، 2003،ص64.

إحدى ابنتيه من غير تحديد،ولعلّه كان يشعر"أنها محددة و هب التي وقع التجاوب والثقة بين قلبها و قلب الفتى،عرضها في غير تحرجولا التواء".[146]

هذا الذي أشار إليه عبد القاهر الجرجاني سابقا بقوله :«نطقوا و تكلموا و اخبروا السامعين عن الأغـراض والمقاصد،وراموا أن يعلّموهم ما في نفوسهم و يكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم».

و نخلص إلى أنه لا يمكننا فصل النص عن السياق الخارجي، و المتمثل في الظروف التي ظهر فيها هذا النص،وهو ما يشير في النص القرآني إلى أهمية "أسباب النـــزول" في فهمه،وكذا طريقة العـرب في تفكـــيرهم و عاداتهم و شؤونهم و غير ذلك، قصد تجنب الأخطاء التي قد يقع فيها الفهم جرّاء إهمال السياق،سواء الفهم المؤسس على الآية أو على السورة بكاملها،وسبب النزول هو"ما نزل القرآن بشأن وقت وقوعه كحادثة أو سؤال "، كما يمكن الإشارة إلى دور المتكلم في القرآن الكريم على مستوى النظم الخاص به، حيث يمكن أن تنتقل دلالة التركيب من مستوى إلى مستوى متفرد به.

لقد أسهمت معرفة أسباب النزول في تحديد الإطار الواقعي الذي نزلت فيه الآيات و الذي أمكن من فهمها وكشف غموضها المحيط بها، ولذا قال الشاطبي:«معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن».[147]

فعلم القرآن نعني به المعرفة الكاملة و إدراك ما ترمي إليه الآيات،ولن يتم ذلك إلا بالتعرف على الأسباب،و يقول ابن تيمية :" معرفة أسباب النزول تعين على فهم الآية، فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".[148]

بالعودة إلى أسباب النزول، نعرف الظروف المحيطة بالآية ليزول ذلك الغموض الذي يجعلنا نتساءل:

لماذا وردت الآية على هذه الصيغة؟ ومن هو هذا الشخص الذي يخاطبه الله؟ فتفهم؛من ثمَّ المعاني الدقيقة التي احتوتها هذه الآيات و التي تبدو في حقيقتها موافقة لمقتضيات الأحوال و تلبي مطالب الناس و حاجاتهم و هذا لون من ألوان الخطاب الذي يمثل قمة البلاغة المعجزة في كتاب الله لنصل في النهاية إلى أن هذه الآية جاءت في ظروف مناسبة و ملائمة مما يكشف الغموض و تؤدي إلى التعرف على الدلالات المقصودة .[149]

---

[146] موسى إبراهيم إبراهيم ،تأملات قرآنية ،بحث منهجي في علوم القرآن الكريم ،شركة الشهاب،الجزائر ،ص:26.

[147] الشاطبي أبي إسحاق في مباحث من علوم القرآن الكريم،تح: شايع بن عبده بن شايع الأسمري،ط3، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 2002، ص39 .

[148] ابن تيمية،تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحرّاني ،مقدمة في أصول التفسير ،تح: عدنان زرزور، دط،مؤسسة الرسالة ،بيروت 1972، ص17.

[149] القرطبي عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري ،أحكام القرآن ،تح :عبد الله بن محسن التركي،ط1، مؤسسة الرسالة ، 2006،ج11،ص226.

إنّ أهمية السيّاق تكمن في توجيه دلالات الخطاب سواء كان سياق داخلي أو خارجي بإعانتنا على الفهم الصحيح و الرّصين للآيات الذكر الحكيم،لأنه في كثير من الأحيان نجد أنّ الفهم الصحيح لمقاصد الخطاب القرآني لا يقاس بفهم المعنى الظاهر للآيات و إنّما بالإدراك الصحيح لمقاصد المتكلم منه فالغاية الأساسية التي يسعى القرآن الكريم لتحقيقها تتمثل في تبليغ مقاصده للمتلقي بصورة واضحة و جلّية.

المبحث الأول:التعريف بسورة الأنبياء وبيان موضوعاتها.

1- التعريف بالسورة:

سورة الأنبياء مكية باتفاق و ذكر ذلك القرطبي، نزلت بعد سورة إبراهيم، وهي في المصحف بعد سورة طه وآياتها مائة واثنا عشرة آية.

سميت بسورة الأنبياء بلا خلاف،فلم يعرف لها اسم آخر، ووجه تسميتها بهذا الاسم اشتمالها على مجموعة من قصص الأنبياء عليهم الصلاة و السلام.[150]

و جاء ذكرها في تفسير التحرير و التنوير للطاهر ابن عاشور: "سمّاها السلف سورة الأنبياء ولا يعرف لها اسم غير هذا، ووجه تسميتها سورة الأنبياء أنها ذكر فيها أسماء ستة عشرا نبيا ومريم عليهم و عليها السلام، ولم يأت في سور القرآن مثل هذا العدد من الأسماء الأنبياء في سورة من سور القرآن عدا سورة الأنعام،فقد ذكر فيها ثمانية أنبياء في قوله تعالى:"﴿٨٢﴾ **وَتِلكَ حُجَّتُنا آتَيناها إبراهيمَ عَلى قَومِهِ نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ كُلًّا هَدَينا وَنوحًا هَدَينا مِن قَبلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ داوودَ وَسُلَيمانَ وَأَيّوبَ وَيوسُفَ وَموسى وَهارونَ وَكَذلِكَ نَجزِي المُحسِنينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيّا وَيَحيى وَعيسى وَإِلياسَ كُلٌّ مِنَ الصّالِحينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسماعيلَ وَاليَسَعَ وَيونُسَ وَلوطًا وَكُلًّا فَضَّلنا عَلَى العالَمينَ﴿٨٦﴾**."الأنعام: 83-84.

فإن كانت سورة الأنبياء هذه نزلت قبل سورة الأنعام، فقد سبقت بالتسمية بالإضافة إلى الأنبياء؛و إلّا فاختصاص سورة الأنعام بذكر أحكام الأنعام أوجب تسميتها بذلك الاسم،فكانت سورة الأنبياء أجدر من بقية سور القرآن بهذه التسمية، على أنّ من الحقائق المسلّمة أنّ وجه التسمية لا يوجبها.[151]

وعن ابن كثير في تفسيره قال: "قَالَ الْبُخَارِيّ حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار ثَنَا غُنْدَر ثَنَا شُعْبَة عَنْ أَبِي إِسْحَاق سَمِعْت عَبْد الرَّحْمَن بْن يَزِيد عَنْ عَبْد اللَّه قَالَ " بَنُو إِسْرَائِيل وَالْكَهْف وَمَرْيَم وَطَه وَالْأَنْبِيَاء هُنَّ مِنْ الْعِتَاق الْأُوَل وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي" هَذَا تَنْبِيه مِنْ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَلَى اِقْتِرَاب السَّاعَة وَدُنُوّهَا وَأَنَّ النَّاس فِي غَفْلَة عَنْهَا أَيْ لَا يَعْمَلُونَ لَهَا وَلَا يَسْتَعِدُّونَ مِنْ أَجْلهَا.

[150] السيوطي عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين ،الدر المنثور في تفسير بالمأثور، دط،دار الفكر ، بيروت ،1993،ج5،ص:610.
[151] محمد الطاهر بن عاشور،التحرير و التنوير،ج17،ص05.

قَالَ النَّسَائِيّ حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن نَصْر حَدَّثَنَا هِشَام بْن عَبْد الْمَلِك أَبُو الْوَلِيد الطَّيَالِسِيّ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة حَدَّثَنَا الْأَعْمَش عَنْ أَبِي صَالِح عَنْ أَبِي سَعِيد عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فِي غَفْلَة مُعْرِضُونَ " قَالَ" فِي الدُّنْيَا " وَقَالَ تَعَالَى " ﴿ **أَتى أَمرُ اللَّهِ فَلا تَستَعجِلوهُ** ...﴿١﴾" وَقَالَ "﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** ﴿١﴾ **وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ** ﴿٢﴾" الْآيَة وَقَدْ رَوَى الْحَافِظ اِبْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة الْحَسَن بْن هَانِئ أَبِي نُوَاس الشَّاعِر أَنَّهُ قَالَ : أَشْعَر النَّاس الشَّيْخ الطَّاهِر أَبُو الْعَتَاهِيَة حَيْثُ يَقُول : النَّاس فِي غَفَلَاتهمْ ... وَرَحَا الْمَنِيَّة تَطْحَن؛ فَقِيلَ لَهُ مِنْ أَيْنَ أُخِذَ هَذَا ؟ قَالَ مِنْ قَوْل اللَّه تَعَالَى " اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابهمْ وَهُمْ فِي غَفْلَة مُعْرِضُونَ ".[152]

ورد في زهرة التفاسير للشيخ أبو زهرة في بيان تسميتها: «هي جديرة باسمها لأن فيها قصصا من أخبار النبيين، وهو غير مكرر مع ما ذكر في غيرها من القصص».[153]

وذكر ابن تيمية اسما آخر للسورة، قال: سورة الأنبياء سورة الذكر، سورة الأنبياء نزل عليهم الذكر ...ثمّ دلّل على قوله تعالى بآيات من السورة في قوله تعال﴿٢٤﴾ **وَما أَرسَلنا مِن قَبلِكَ مِن رَسولٍ إِلّا نوحي إِلَيهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا أَنا فَاعبُدونِ** ﴿٢٥﴾. الأنبياء:25.

قوله تعالى: ﴿٩﴾ **لَقَد أَنزَلنا إِلَيكُم كِتابًا فيهِ ذِكرُكُم أَفَلا تَعقِلونَ** ﴿١٠﴾. الأنبياء:10.

قوله عز و جل: ﴿٢٣﴾**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ**﴿٢٤﴾. الأنبياء:24.

قال تعالى: ﴿٢٠﴾ **أَمِ اتَّخَذوا آلِهَةً مِنَ الأَرضِ هُم يُنشِرونَ** ﴿٢١﴾ **لَو كانَ فيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبحانَ اللَّهِ رَبِّ العَرشِ عَمّا يَصِفونَ** ﴿٢٢﴾.الأنبياء:22.

قوله تعالى: ﴿٤٩﴾ **وَهذا ذِكرٌ مُبارَكٌ أَنزَلناهُ أَفَأَنتُم لَهُ مُنكِرونَ** ﴿٥٠﴾ الأنبياء: 50.

قوله تعالى: ﴿١٠٤﴾ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴿١٠٥﴾. الأنبياء:105.

[152] ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القريشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة،دط ، دار طيبة ،1999،ج5، ص 235.

[153] أبو زهرة محمد، زهرة التفاسير، دط ،دار الفكر العربي ، دتط، ج9،ص48.

من كل ما سبق نستنتج أن الاسم التوقيفي للسورة الكريمة هي "الأنبياء" ، و الاسم التوفيقي لها "الذكـــر".

2- بيان فضل سورة الأنبياء:

عن ابن بابويه في ثواب الأعمال : بإسناده عن الحسن ، عن يحيى بن مساور ، عن فضيل الرسّان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « من قرأ سورة (الأنبياء) حبّاً لها كان كمن رافق النبيّين أجمعين في جنّات النعيم ، وكان مهيباً في أعين الناس في الحياة الدُّنيا » .

وعن الطبرسي في مجمع البيان : عن النبي صلى الله عليه وآله قال : « من قرأ سورة (الأنبياء) حاسبه الله حساباً يسيراً ، وصافحه ، وسلّم عليه كلّ نبيّ ذُكر اسمه في القرآن » .[154]

و من كتاب خواصّ القرآن: رُوي عن النبيّ صلى‌اللهعليه‌وآله أنّه قال: « من قرأ هذه السورة حاسبه الله حساباً يسيراً، وصافحه وسلّم عليه كلّ نبيّ ذُكر فيها».[155]

تعد سورة الأنبياء من فضليات السور ،و هي من أوائل السور التي نزلت من القرآن الكريم ،فعن عبد الله ابن مسعود (ض)،قال :"بني إسرائيل و الكهف و طه و الأنبياء ،هنّ من العتاق الأول ،وهنّ من التلادى".

و العِتاق بكسر العين ،جمع عتيق،و هو القديم ،أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة و الإتقان .[156]

و التِلاد لكسر التاء و تخفيف اللام ، المال القديم ،وهو بخلاف الطارف .

أراد ابن مسعود أن يبين أنهن من السور التي نزلت أولا بمكة ،و أنها أول ما تعلم من القرآن و ان لهن فضلا لما فيهن من القصص ،و أخبار الأنبياء ،و الأمم السابقة .[157]

جاء عن البقاعي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات السور،قال :" عن عامر ابن ربيعة انه نزل به رجل من العرب فأكرم مثواه ،و كلّم فيه رسول الله (ص) فجاءه الرجل فقال :"إني استقطعت رسول الله (ص)واديا ما في العرب واد أفضل منه،وقد أردت أن اقطع لك منه قطعة تكون لك و لعقبك من بعدك ،قال عامر :لا حاجة لي في قطعتك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا ،قال تعالى: ﴿**اقتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُم وَهُم في غَفلَةٍ مُعرِضونَ** ﴿**١**﴾الأنبياء.[158]

---

[154] الطبرسي الفضل إبن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط 1، دار العلوم في التوزيع و النشر، بيروت لبنان، ت ط، 2005، ج 5، ص 143.

[155] الغزالي أبي حامد، خواص القرآن، دط، العروبية للدراسات والبحوث، 1990، ص 572.

[156] ينظر: ابن مظفر مشتاق ،عيون الغرر في فضائل الآيات و السور،ص110.

[157] ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث و الأثر،تح: أحمد بن محمد الخراط ،دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،قطر،2004، ج1،ص194.

[158] البقاعي برهان الدين ابن عمر ،نظم الدرر في تناسب الآيات و السور،دط، دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة،2000، ج12،ص202.

3- **المناسبة بين اسم السورة و محورها و بين فاتحتها و خاتمتها**:(البناء الداخلي)

نجد أن المناسبة بين تسميتها و محور السورة واضحة بارزة ،لان مهمة الأنبياء عليهم السلام تقوم على تقويم عقائد الناس و غرسها في نفوسهم ،و تطهيرها من الخرافات و الخزعبلات ،فلا يتم ذلك إلا بإثبات التوحيد لله عز و جل و التأكيد على ذلك لأن المعاد إليه قريب ،و الحساب بين يديه شديد.

كما جاء تناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها فتمثلت في أن السورة بدأت بالحديث عن قرب الساعة، و بيان أن الناس في غفلة عنها و كفر بها، ثم ذكرت أنهم لم ينتفعوا بالتذكير و التنبيه، و أنهم لم يتوانوا في معاداة القرآن، فوصفوه بصفات الذم ،فقالوا بأنه سحر و أضغاث أحلام ،وانّ من جاء به بشر مثلهم ؛ثم ختمت السورة الكريمة لتعليم النبي صل الله عليه وسلم هذا الدعاء الكريم : ﴿**١١١**﴾ **قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴿**١١٢**﴾ الأنبياء:112.

ومضمون هذا الدعاء الإخلاص لله المتمثل في قوله تعالى :{المستعان} و إحقاق الحق الذي جاء به النبي صل الله عليه وسلم من عند ربه و إبطال الباطل لكل من تفوه ضد القرآن و ضد النبي صل الله عليه وسلم ولو بشق كلمة، في هذا الدعاء أيضا إجابة و نصرة للحق،فقد دحض الله المستكبرين المعاندين يوم بدر و الحمد لله رب العالمين.

إذا النبي صل الله عليه وسلم الفاتح الخاتم في هذه السورة المباركة ،و رسالته أعظم الرسالات و أشملها و أمّته أعظم الأمم.

4- **مناسبة السورة لما قبلها و ما بعدها:**

تكمن مناسبة السورة لما قبلها من جهتين من أولهما مناسبة افتتاحية السورة و بين خاتمة ما قبلها، ثانيهما المناسبة بين مضمون السورة و مضمون ما قبلها .

أ- مناسبة بين فاتحة السورة و خاتمة ما قبلها:

إن مناسبة سورة الأنبياء بخاتمة سورة طه التي تسبقها جلية ظاهرة ،حيث أن الالوسي اكتفى بقوله:«ووجه اتصالها بما قبلها غني عن البيان ».[159]

فقد انتهت السورة بالأمر للنبي ص بان يقول للكفار أن يتربصوا و ينتظروا ليعلموا يوم القيامة من الشقي ومن السعيد،و في هذه السورة يعلم الله تعالى الكفار بان حسابهم اقترب ،وهم في غفلة معرضون، يقول السيوطي في مناسبة

[159] ينظر:محمد الطاهر بن عاشور،التحرير و التنوير،ج17،ص113.

السورة لما قبلها : ظهر لي في اتصالها بآخر طه أنه سبحانه لما قال: ﴿**١٣٤**﴾ **قُل كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصوا فَسَتَعلَمونَ مَن أَصحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهتَدى** ﴿**١٣٥**﴾طه:135.

قال عز و جل : ﴿**١٢٨**﴾ **وَلَولا كَلِمَةٌ سَبَقَت مِن رَبِّكَ لَكانَ لِزامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى** ﴿**١٢٩**﴾.طه:129.

و قال في مطلع السورة: : ﴿**اقتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُم** ...﴿**١**﴾. الأنبياء:1 .

إشارة إلى قرب الأجل و دنو الأمل المنتظر، و فيه أيضا مناسبة لقوله هناك: ﴿**١٣٠**﴾ **وَلا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إِلى ما مَتَّعنا بِهِ أَزواجًا** ...﴿**١٣١**﴾. طه: 131.

إن قرب الساعة يقتضي الإعراض عن هذه الحياة الدنيا ؛لدنوها من الزوال و الفناء و لهذا ورد في الحديث :«أنها لما نزلت قبل لبعض الصحابة، هلاّ سألت النبي صل الله عليه وسلم عنها فقال :نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا».[160]

ذكر الشيخ عبد الحميد كشك أنّ سورة طه ختمت بأنّ الناس قد شغلتهم زهرة الدنيا التي جعلها الله لهم فتنة، وأنّ الله نهى رسوله أن يتطلع إليها، وأمره بالصلاة و الصبر عليها،وأن العاقبة للمتقين،وبدأت سورة الأنبياء بمثل ما ختمت به طه، فذكر فيها أن الناس غافلون عن الساعة و الحساب، و أنه ماذا سمعوا القرآن سمعوه وهم لاعبون ،و قلوبهم لاهية عنه.

ب. مناسبة مضمون السورة و مضمون ما قبلها:

كل من سورة الأنبياء و سورة طه مكيتان، ومن العتاق الأول، وقد اشتملت السورتان على مضامين متقاربة على وجه العموم.

فسورة الأنبياء نبهت على الحساب في يوم القيامة و قرب زمانها، ووصف الكفار بالغفلة، وإثبات النبوة، واستيلاء أهل الحق على أهل الضلالة.

وتدعم سورة طه ما جاء فيها عن حكمة إنزال القرآن،وركزت على أنه من عند الله عز و جل، ثم تحدثت عن قصة موسى عليه السلام و قومه وعن جزاء المعرضين،وبعد ذلك تعرضت لحالة الحشر الرهيبة و أوصاف المجرمين يوم القيامة ثم تعرضت لموضوع جزاء الإعراض عن كتاب الله عز وجل،وناقشت المعرضين عن الحق،وإقامة الحجة على المعاندين.

إذا فالسورتان جاءتا لتصحيح العقيدة و ترسيخها،و المتمثلة في ثلاثة أركان هي :التوحيد ،الرسالة، البعث و الحساب .

[160] السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن،دط، مجمع الملك فهد،المدينة المنورة، 2005ج1،ص:321.

ج– مناسبة السورة لما بعدها: سورة الحج.

يقول الإمام السيوطي :« أقول وجه اتصالها بسورة الأنبياء انه ختمها بوصف الساعة» في قوله تعالى: ﴿**٩٦**﴾ **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا** ...﴿**٩٧**﴾ . الأنبياء:.97[161]

و افتتح هذه بذلك فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴿**١**﴾**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴿**٢**﴾.الحج: 2.

فنستنتج أن سورة الأنبياء تعددت موضوعاتها شأنها شأن سور القرآن الكريم، إلا أن هذا التعدد لم يمنع من ارتباطها الوثيق ببعضها البعض و لم يحل دون انسجامها في بنيتها سواء شكلا أم مضمونا، بل بالعكس تحقق الانسجام في بنيتها الكلية لها من خلال مستويين هما:

الانسجام الداخلي :كان بسبب ارتباط الآيات مفهوميا داخل السورة .

الانسجام الخارجي:و يعود إلى انسجام السورة بما قبلها و ما بعدها و وجه اتصالها بهما.

فنخلص في الأخير إلى أن هذا الانسجام بنوعيه الداخلي و الخارجي تحقق بتضافر كل آليات النسيج الخطابي.

[161] جلال الدين السيوطي ،م س، ص:321.

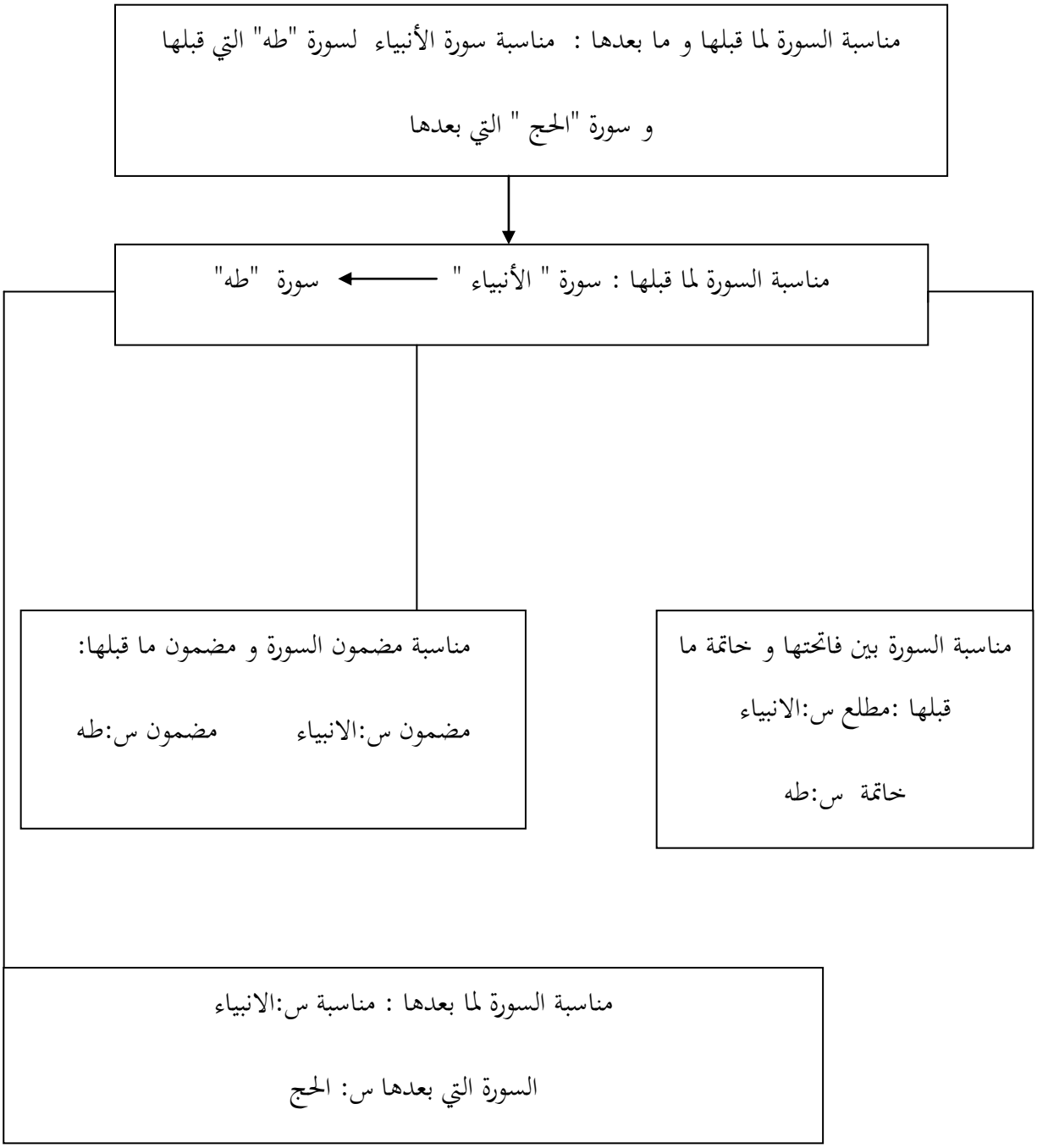

البعد الموضوعاتي بين سورة الأنبياء وسورة طه والحج

مناسبة بين افتتاحية سورة "الأنبياء" وخاتمة ما قبلها سورة" طه"

طه: انتهاء سورة "طه" بالوعيد على الكفار .

أمر للنبي (ص)بأن يتربصوا و ينتظروا ليعلموا يوم القيامة من الشقي ومن السعيد.

قرب الساعة يقتضي:

الإعراض عن الحياة الدنيا

الأنبياء : افتتحت لإخبار الكفار أن حسابهم اقترب .

إشارة إلى قرب الأجل و دنو الأمل المنتظر .

سورة الأنبياء:تنبه على الحساب في يوم القيامة وقرب ساعتها وصف الكفار بالغفلة إثبات النبوة

استيلاء أهل الحق على أهل الضلالة

مناسبة مضمون س:الأنبياء ومضمون س:طه كلتا السورتين نزلت بمكة أي مكيتان ، من العتاق الأول

سورة طه:تتحدث عن حكمة إنزال القرآن وأنه من عند الله عز و جل ،قصة موسى عليه السلام و جزاء المعرضين.وصف حالة الحشر و أوصاف المجرمين يوم القيامة ،إقامة الحجة على المعرضين و جزاء الإعراض

مناسبة السورة لما بعدها : سورة الأنبياء لسورة الحج

تتحدث كلتا السورتين: 1/ أهوال يوم القيامة.

2/ الحث على التقوى .

بِنيَّةُ الخِطاب القرآني في سورة الأنبياء:

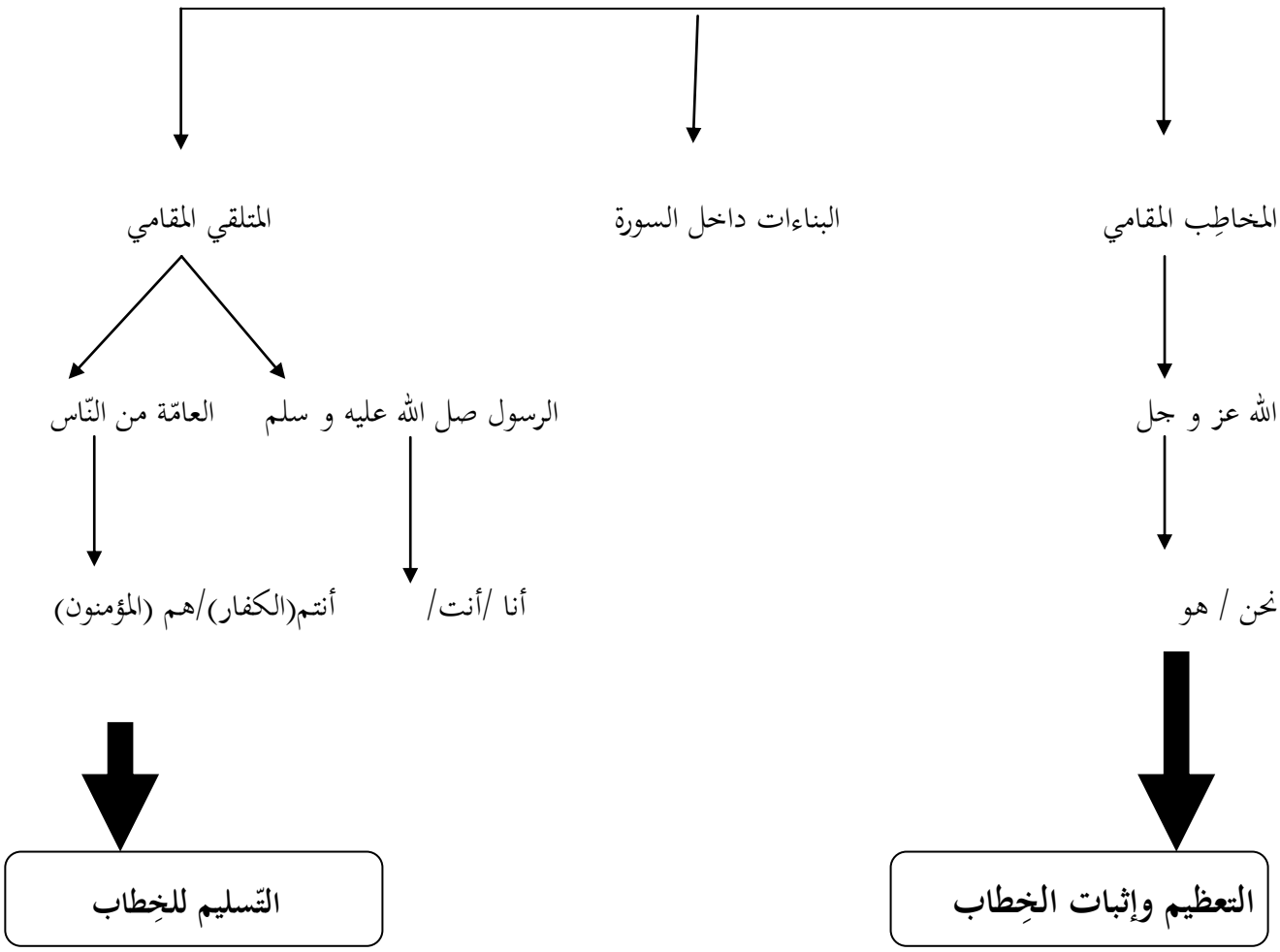

بيان دور المتفاعلين في سورة الأنبياء لبيان مسارات الخطاب:

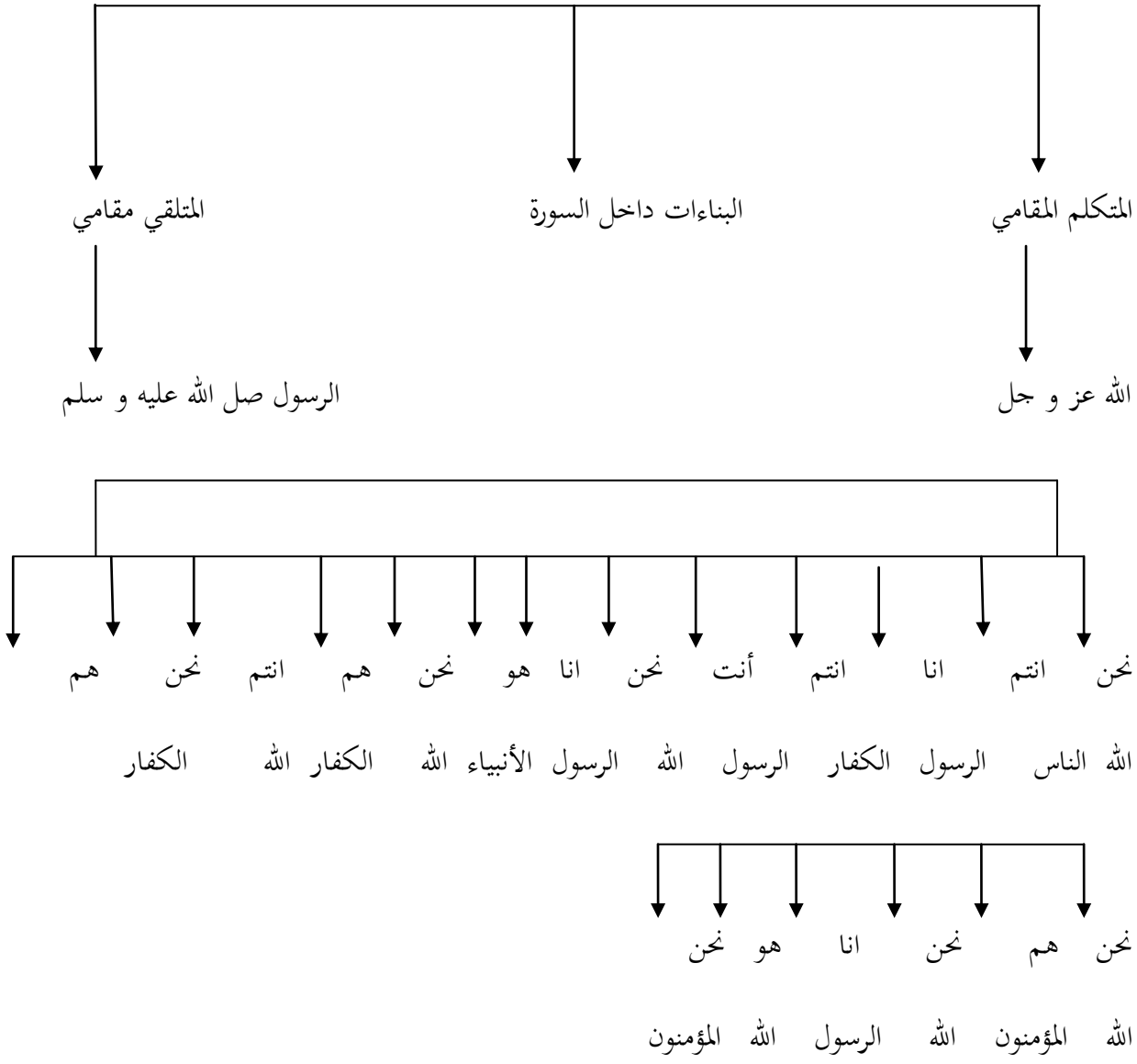

المبحث الثاني: بنية تشكل الفعل الكلي للسورة و الفعل الكلامي الدُّعَائِي.

عرضنا سابقا بيانات سورة الأنبياء وترتيبها و عدد آياتها و تناسبها مع ما قبلها و ما بعدها في مضمونها و بدايتها و خاتمتها و كذا تسميتها.

إنّ تحديد البنية الكبرى للخطاب يرتبط بموقف القارئ اتجاه النص فهو ينتقي منه العناصر المهمة بنظرته ورؤيته لها كما تتباين و تختلف من قارئ لآخر باختلاف معارفهم و اهتماماتهم، لذا يمكن أن تتغير البنية الكبرى من شخص لآخر دون أن يصل ذلك ليمس جوهر البنية الكبرى للقرآن.

تتميز البنية الكبرى للخطاب القرآني بصعوبة التحديد لأنه يصعب أن يختزل كلام الله في جملة واحدة أو أكثر.[162]

ومن خلال هذا العرض نصل إلى بيان الأفعال الكلامية الكبرى في سورة الأنبياء،كما تتضح لنا أهم الموضوعات التي تتصل اتصالا مباشرا بها، فنستخرج من السورة على القضايا الجوهرية المعالجة لها، من هنا نطرح الإشكال التالي:

- ما هو الفعل الكلامي الكلي الذي تتضمنه السورة، وما مجموعة الأفعال الكلامية المنبثقة عنه؟.

تناولت السورة قضايا كثيرة و متنوعة، فمحور السورة يكمن في معالم التوحيد و إثبات البعث في دعوة الأنبياء إلى جانب دورهم في التبشير و الإنذار، لذا كان **الفعل الكلامي الكلي** للسورة: **الإقرار بالبعث و الإنذار من الرسل إلى أقوامهم و إلى الناس كافة**، كما يكون : **الوعد و الوعيد** للمتعصبين والمتعنتين بمعاداة الرسول صل الله عليه وسلم و عدم الإقرار بنبؤته و كفرهم به، و بالله عز و جل.

هنا يمكن أن نعود لنظرية أفعال الكلام كما أسسها "أوستين" و حدد معالمها و ضبطها تلميذه "سيرل" من بعده، فأساسها الفعل الكلامي الذي عرفه "سيرل" بأنّه:«كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري».[163]

وفيما يأتي مخطط يحدد الفعل الكلامي الكلي للسورة وما يرتبط به من أفعال جزئية:

[162] صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، دط،عالم المعرفة،الكويت، 1992، ص256.

[163] Le sens et l'expression : Jean Searl, P 18.

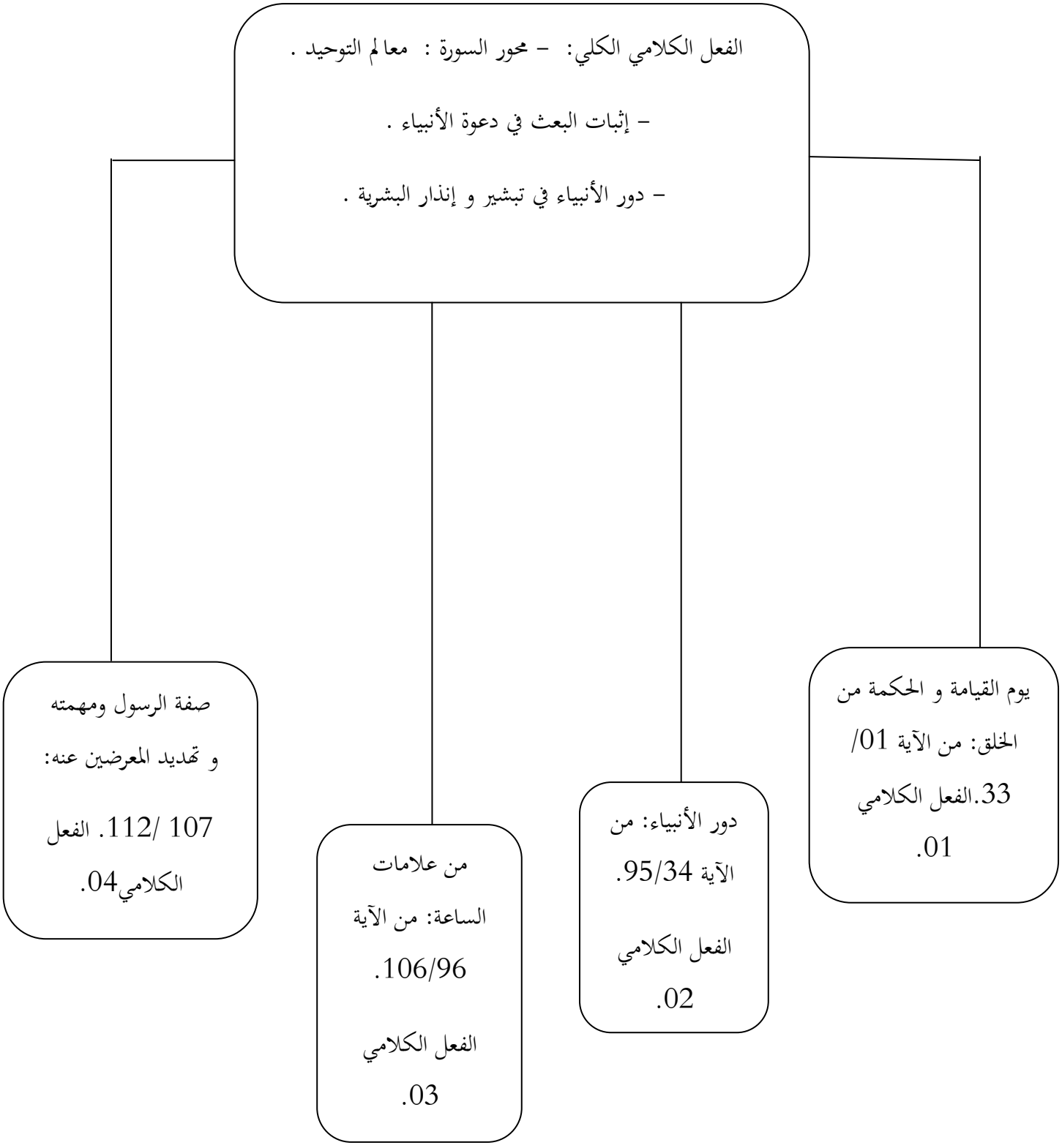
الفعل الكلامي الكلي: - محور السورة : معالم التوحيد .
- إثبات البعث في دعوة الأنبياء .
- دور الأنبياء في تبشير و إنذار البشرية .
يوم القيامة و الحكمة من الخلق: من الآية 01/ 33.الفعل الكلامي 01.
دور الأنبياء: من الآية 95/34. الفعل الكلامي 02.
من علامات الساعة: من الآية 106/96. الفعل الكلامي 03.
صفة الرسول ومهمته و تهديد المعرضين عنه: 107 /112. الفعل الكلامي04.

أهمّ الموضوعات التي وردت في السورة الكريمة وهي التي تمثل الأفعال الكبرى فيها :

1- الحديث عن غفلة الناس عن الآخرة وعن الحساب و يوم القيامة و تكذيبهم لله تعالى و التنبيه لترك مغريات الحياة الدنيا و عدم الإنشغال بها.هذا كله يتلخص في يوم القيامة و الحكمة من الخلق.

2- إثبات البعث في دعوة الأنبياء لبيان التوحيد من خلال عرض قصص دعوتهم مع أقوامهم و ابتلائهم بهم.

بالوقوف على دلائل قدرة الله في خلقه بالتدبر في قدرته في خلق الأنفس والآفاق وهو ربط بين عظمة الكون و عظمة الخالق عز و جل. من خلال الحديث عن المكذبين الذين يشهدون مصارع الأقوام السالفة وهم لا يعتبرون و لا يتعظون .

3- من علامات الساعة في عرض الأدلة و البراهين ،الشاهدة على وحدانية ربِّ العالمين بإثبات أن دعوة الرسل جميعا لبيان وحدة الرسالة و التوحيد .

4- صفة النبوة عند رسول الله صل الله عليه وسلم و دلائل النبوة عامة والوقوف على محنة و صبرهم و الأنبياء من قبله في مجابهة الأقوام المكذبة لهم و بيان عاقبة المكذبين و بشرى المؤمنين لمواساة الرسول صل الله عليه و سلم.

بعد هذا العرض الوجيز للموضوعات الكبرى لسورة الأنبياء، سنقوم بربط الخطاب الكلّي بجميع متفاعليه من متكلم و مخاطب و رسالة و مرجع و سنن و سياق عبر خطاطة جاكسون للتواصل كما يأتي:

المتكلم: المبلِّغ هو الله سبحانه و تعالى

المخاطَب: المبلَّغ له (ثلاثي الأبعاد) الرسول صل الله عليه وسلم ، المشركون في مكة، كافة الناس من بعدهم.

المرجع: سياق الشخص و المكان و الزمان أو نقول بالأحرى مرجعيات التلفظ بما يسمى إشاريات الزمانية و المكانية و الشخصية التي وقع فيها الحدث ودل عليه:

صفات النبوة في شخص الرسول صل الله عليه و سلم، قصة النبي إبراهيم ،قصة النبي داوود و سليمان و قصص الأنبياء مع أقوامهم و أهل الكتاب ،دلائل قدرة الله في الخلق ،.....الخ.

قناة التبليغ: (مزدوج البعد) المصحف القرآن، الرسول صل الله عليه و سلم، الذي اتخذه سبحانه و تعالى أداة أو وسيلة لتبليغ الكفّار ودعوة البشرية للهداية و التوحيد.

الرسالة :البلاغ ، هي مجموع الموضوعات المختلفة التي تناولتها السورة الكريمة "الأنبياء".

السنن: هي مجموعة الآليات التحليلية التي نعتمد عليها في كشف كيفية تشاكل و بناء خطاب السورة وبالإضافة إلى تحليل بنية الأفعال الكلّية مرورا بخصائصها النحوية و الدلالية و التداولية التي صنفت وفقها هذه الأفعال الكلامية المتضمنة في السورة .خطاطة السورة وفق خطاطة جاكسون للتواصل

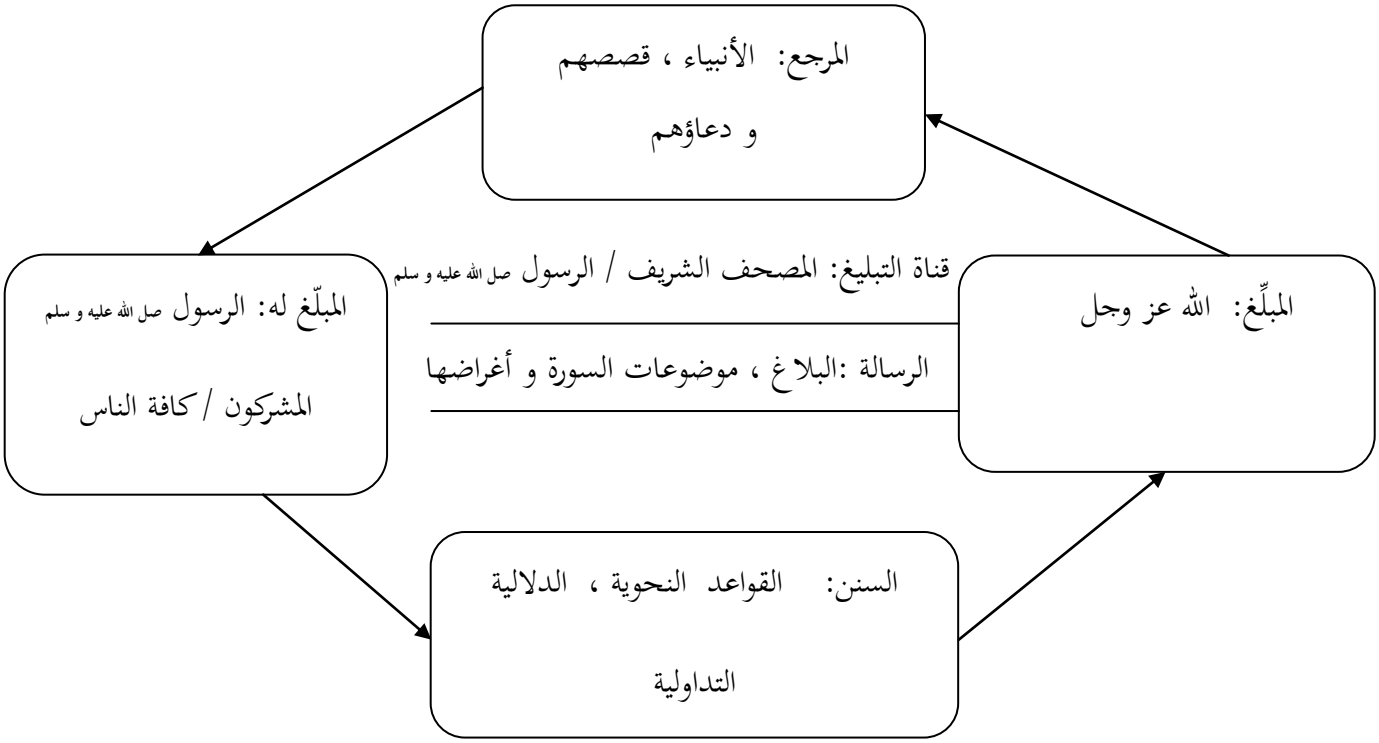

بالمقابل نجد أن **الفعل الكلامي الكلّي: الذي يتشكل من فعل القول و فعل الانجاز و فعل التأثير؛** في سورة الأنبياء تجلى في محورها الرئيس وهو **"دور الأنبياء في تبشير و إنذار البشرية"**كما سلف ذكره. بيانا لما وصفه "دي بوجراند" أنَّ الفقرة من النص تسمى المساحة النموذجية لتكون في الأخير بنية كبرى بتعبير "فان دايك"، التي تعمل على تفاعل و تشاكل البناء الداخلي و الخارجي للخطاب بالأخذ بالسياق .

بالإضافة إلى الأخذ بالمعطيات الحوارية مرورا بمبدأ التعاون كما ساقه "غرايس" ومبدأ الكمّ" و الكيف و الملاءمة ..... إلخ.[164]

[164] Van Dijk, Text And Context, Tuen A., P 207.

وتذكيرا لما ورد في حق سورة الأنبياء أنّها تسمى"سورة الذكر" نظرا لما تحمله من تكرار لفظة الذكر فيها في أكثر من سياق ومقام، نورد هنا ما قاله أحمد نوفل :« الذكر في نسق سورة الأنبياء ذكر من ربهم»،﴿**فاسألوا أهل الذكر** ﴾.

كما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تسمية سورة الأنبياء: سورة الأنبياء لها فضل :"سورة الذكر" ،سورة الأنبياء نزلت على الذين كفروا و كذبوا بنبوة محمد صل الله عليه وسلم ،فنزل عليهم الذكر ؛ افتتحها بقوله تعالى : **﴿١﴾ ما يَأتيهِم مِن ذِكرٍ مِن رَبِّهِم ...﴿٢﴾**،"**﴿٦﴾ ... فَاسأَلوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لا تَعلَمونَ ﴿٧﴾ "، { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ }**،﴿**هُذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِ ﴾**، "﴿٤٩﴾ وَهذا ذِكرٌ مُبارَكٌ ...﴿٥٠﴾ "**،"﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾**".....الخ .[165]

إنَّ دور الأنبياء يظهر جليًّا في **تبليغ الرسالة** من الله عز و جل إلى أقوامهم **بالدعوة إلى توحيد الله عز و جل** و القضاء على الكفر و الظلم و إقامة الحجة و العدل في الأرض ؛لتدل على خطورة الغفلة وأهمية الذكر ودور الأنبياء يكون في تذكير الغافلين بخطورة غفلتهم ودعوتهم للذكر والتذكر.

ومن هذا المقام يتبين لنا ثلاثة أصناف من الناس هم :**صنف المتقّين المؤمنين** و **صنف المشركين الكافرين العصاة المتعنتين لمعصيتهم** و كفرهم، وصنف ثالث هم **صنف الغافلين** بين المؤمنين و الكفار فهم يتأرجحون بين هذا وذاك فهم بالمنهج مؤمنون و بالأعمال والتطبيقات مخالفون.

وقد نزلت السورة خصيصا في حق **الصنف الثالث؛** وهم **الغافلون عن ذكر الله** المشتغلين بزهرة الحياة الدنيا و ملذاتها ناسين ذكر الله و عبادته و يوم الحساب و خطورة الإعراض عن ذكر الله و عن عبادته و عن الإتيان بطاعاته و الامتثال لأمره.

و جاءت سورة الأنبياء للتذكير و التنبيه بخطورة الغفلة و الدعوة إلى الذكر و التذكر، بالإضافة إلى تركيزها على أنّ الحق ظاهر منتصر و الباطل زاهق، و هذا ما يجب أن يدرك و يفهم و يرسَّخ في عقولنا.

إنَّ المغزى الذي تحمله السورة هو الذكر و الدعاء و علاقة الأنبياء عليهم السلام به، فهي علاقة بناء ثلاثية الأبعاد.

[165] ابن تيمية،مرجع سابق،ص17.

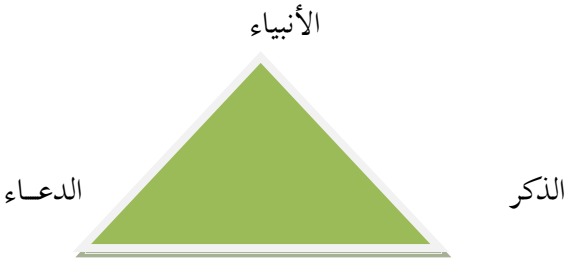

من هنا نطرح السؤال التالي :ما هو الذكر؟ ، وما هو الدعاء؟، وما طبيعة العلاقة بينهما ؟، وما العلاقة التي تجمعهما بالأنبياء عليهم السلام ؟.

رأينا سابقا أن دور الأنبياء عليهم الصلاة و السلام يكمن في تبليغ الرسالات السماوية، وتبليغ الدعوة إلى توحيد الله عز و جل لإقامة العدل و الحجة و البرهان على المتعصبين لكفرهم.

إنّ الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء قبل محمد صل الله عليه وسلم جمعها الله عز و جل في القرآن فحفظه بحفــظه و رعايته عن التحريف و الخطأ؛ قال عز و جل:{**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون**} فوردت عدة تفسيرات للآية نورد منها ما يلي:يقول الإمام الطبري رحمه الله: " من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه ، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه ، والهاء في قوله : (لَهُ) من ذكر الذكر، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل عن قتادة : ﴿ **وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ قال :" حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا ، أو ينقص منه حقا". وقيل : الهاء في قوله ﴿ **وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، بمعنى: وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه "[166] .

وتنتقل آيات السورة للحديث عن نماذج الأنبياء الذين هم قدوة لنا نقتدي بهم و الملاحظ في الآيات أنها تحدثنا عن نماذج الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم وهذا لتعلمنا كيف نقتدي بهم في الدعوة إلى الله والتقرب إليه وعبادته، وكذلك في أساليب الذكر والدعاء والعبادة للتقرب من الله، فعرض في هذا المقام جملة من الأدعية للأنبياء و كيف دعوا الله و أنابوا إليه طالبين منه النجاة و سائلين منه الرحمة والمغفرة.

و نظرا إلى أن الأنبياء عليهم السلام اختارهم الله من بين خلقه لأداء الرسالة و تبليغ الأمانة فإنّ مهمتهم على الأرض هي أداء هذه الرسالة السماوية؛ولّما كانت هذه الرسالة هي سرّ وجودهم الأسمى كان لزاما أن تكون هي كينونتهم فهذه الأخيرة تتجلى بصفتين متكاملتين هما: الوجود بالقوة، و الوجود بالفعل؛ عندما نقابل كلا المفهومين يبرز لنا أن الوجود بالقوة هو "الذكر" في شخص الأنبياء عليهم السلام فلا وجود لنبي بدون ذكر فهو طاقة كمونيه كائنة و

[166] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 17، ص 68.

متجذرة في شخصهم، أما الوجود بالفعل فهو فحوى الرسالة التي يحقق النبي به كينونته ولا يمكن تصور نبي بدون ذكر؛ فالذكر هاهنا هوالغاية التي يرجون بلوغها بالرسالة و لأنّ وجودهم لا يتحقق إلاّ بتحقق وظيفتهم الأساسية وهي غاية تبليغ رسالة التوحيد، فإنّ كينونتهم تنعدم بانعدام غاية وظيفتهم،[167] من هنا نعرض الرسم التوضيحي للعلاقة التي تجمع بين قطبين مهمين هما :الأنبياء و الذكر :

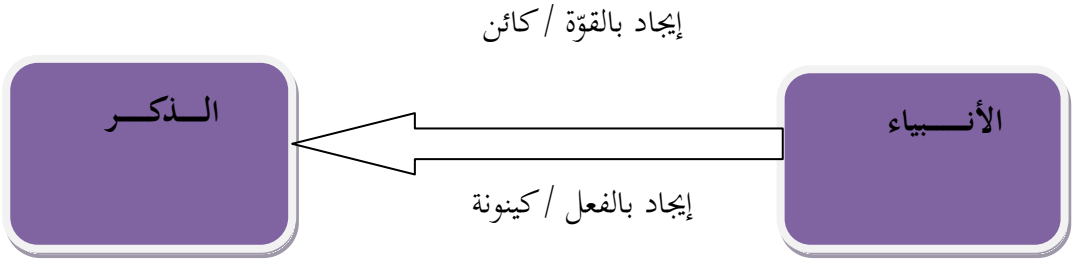

إنّ طبيعة العلاقة التي تجمع كلا من الأنبياء و الذكر هي **علاقة استلزام**، من منطلق أنّ الذكر هو غاية كينونة الأنبياء فلولا وجود الذكر لما كان هناك معنى لغاية وجود الأنبياء.

من هنا نقف على تعريف معنى الكائن و الكينونة عند الفيلسوف الألماني"مارتن هيدجر" يرى :« أنّ كينونة الإنسان تتحقق باللغة»،[168] التي تعتبر عنده كينونة فاعلة تنقل الكائن(الفكر) من العدم إلى الوجود (الواقع)عن طريق اللغة التي تحقق وجودها ووظيفتها بالتعبير و التفاهم و التواصل مع الآخرين .

إذن بالربط بين أطراف القضية نصل إلى المخطط التوضيحي للقوة الإنجازية للفعل الكلامي التالي:

[167] مارتن هيدغر، الكينونة و الزمان، ترجمة فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد للطباعة و النشر، بيروت لبنان، تط 2012، ط 1، ص 75.
[168] م ن، مرجع نفسه، ص 62.

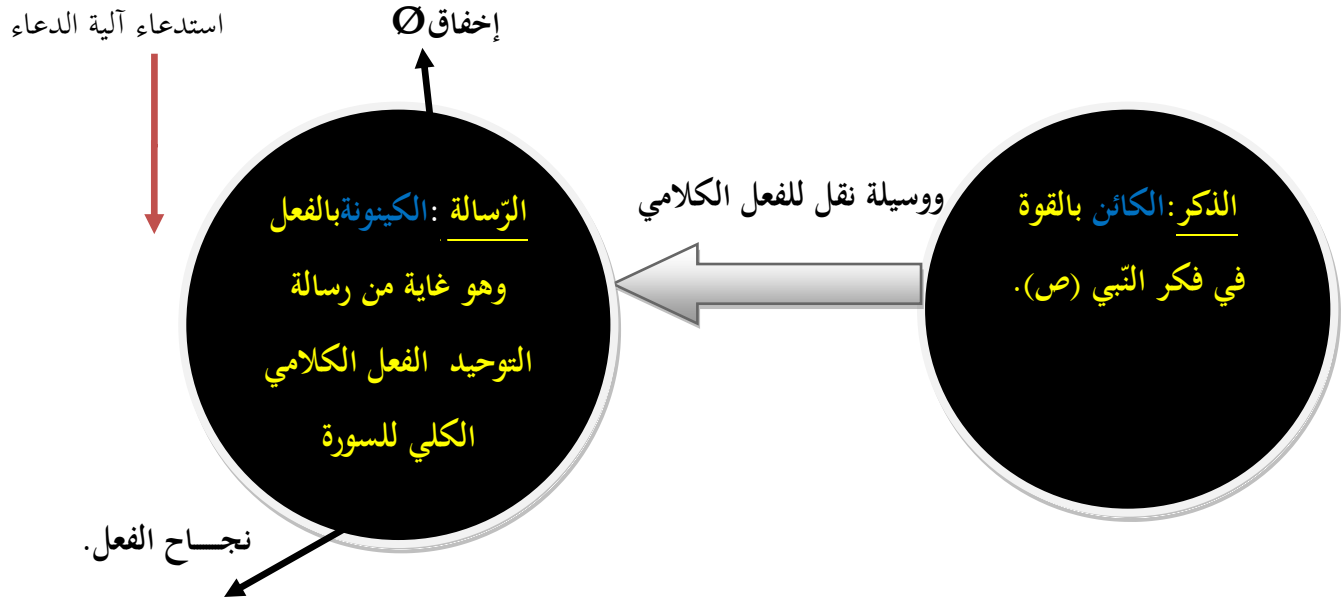

يمكن توضيحها **أكثر وفقا لمبدأ التناظر**:

إنّ اللغة قد ألبست للذكر ثوب الرسالة، فحقق الأنبياء بها وظيفة التبليغ و الإرشاد، لكن لا يمكن للرسالة أن تكتمل دون استدعاء القوة الإنجازية التي بها تحقق فاعليتها و تؤثر وجودا وواقعا حاضرا ضمن الزمن.

إذن الدعاء هو ضرورة لاكتمال سيرورة غاية الرسالة، و بالتالي تحقق كينونة النبي صل الله عليه و سلم.

قال الراغب الأصفهاني: "الذكر: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يُمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ، إلا أن الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه، والذكر يقال اعتبارا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيءِ القلبَ أو

القولَ، ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان. وكل واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان، ذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ".[169]

ويطلق الذكر على أمور كثيرة، ومنها ما نقله القاضي عياض عن الحربي أنه قال: «للذكر ستة عشر وجها: الطاعة، وذكر اللسان، وذكر القلب، والإخبار، والحفظ، والعظمة، والشرف، والخير، والوحي، والقرآن، والتوراة، واللوح المحفوظ، واللسان، والتفكر، والصلوات، وصلاة واحدة"، وزاد القاضي عياض أيضا فقال: "وقد جاء بمعنى التوبة، وبمعنى الغيب، وبمعنى الخطبة».

أما شرعا فله معنيان:

- معنى عام: ويشمل كل أنواع العبادات من صلاة وصيام وحج وقراءة قرآن .

قال شيخ الإسلام: «كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرِّب إلى الله من تعلّم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله».[170]

وقال عبد الرحمن السعدي:«وإذا أطلق ذكر الله شمل كل ما يقرِّب العبدَ إلى الله من عقيدة أو فكر أو عمل قلبي أو عمل بدني أو ثناء على الله أو تعلم علم نافع وتعليمه ونحو ذلك، فكله ذكر لله تعالى».

- معنى خاص: وهو ذكر الله بالألفاظ التي وردت عن الله سبحانه وتعالى في تلاوة كتابه أو إجراء أسمائه أو صفاته العليا على لسان العبد أو قلبه مما ورد في كتاب الله سبحانه، أو الألفاظ التي وردت على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وفيها تمجيد وتنزيه وتقديس وتوحيد لله سبحانه وتعالى.[171]

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :«قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء هذا من حيث النظر لكل منهما مجردًا ... اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن».[172]

---

[169] الأصفهاني الراغب ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق نزار مصطفى الباز، د ط، مركز الدراسات للبحوث، ج 1، د تط، ص 237- 238.

[170] بن تيمية تقي الدين ، مجموع فتاوى، كتاب المنطق، د ط، مجمع الملك فهد، 1995،ج 16، ص 265.

[171] السعدي عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله ، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ط1،مؤسسة الرسالة، 2000، ص 518.

[172] ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: سعد عبد الرؤوف، د ط، مكتبات الكليات الأزهرية، القاهرة مصر، 1998، ص 18.

والمراد من الذكر: حضور القلب، فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ويتدبر ما يذكر، ويتعقَّل معناه.

- الذكر و أقسامه:

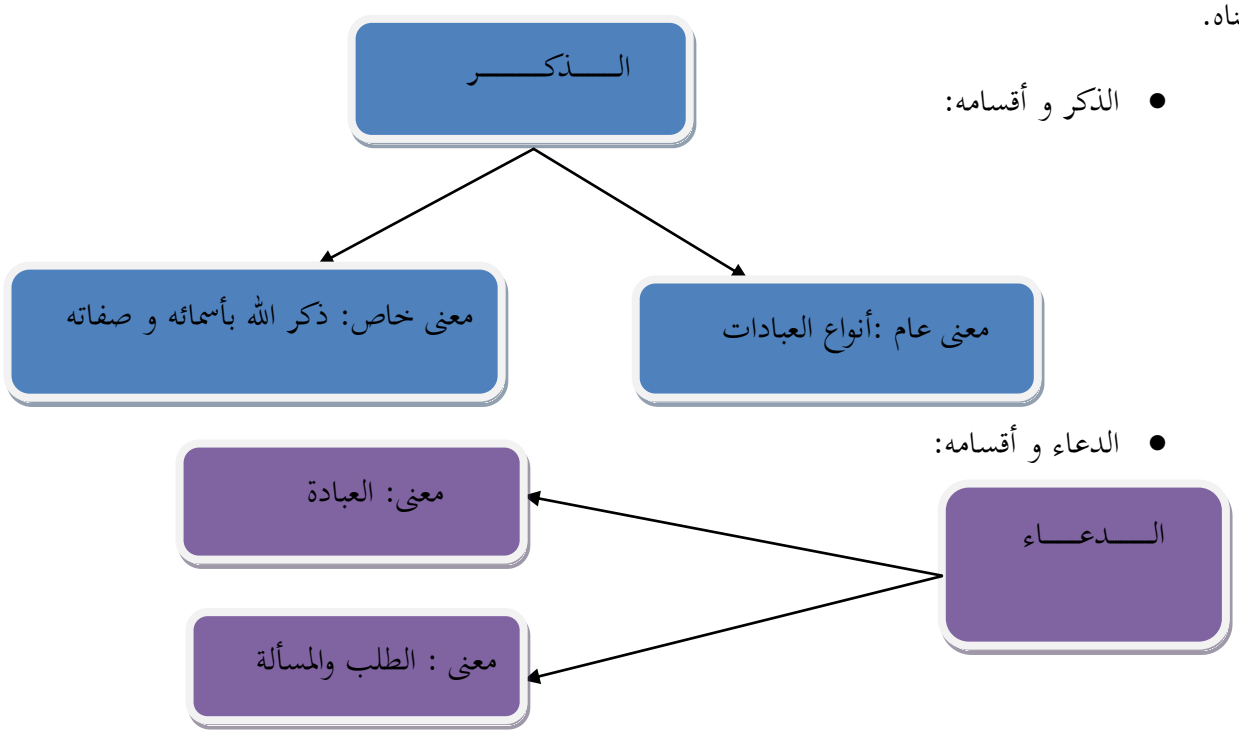

- الدعاء و أقسامه:

العلاقة بين الذكر والدعاء:

سبق في تعريف الذكر بمعناه العام أنه يشمل جميع أنواع العبادات والطاعات؛ من ضمنها الدعاء بنوعيه: دعاء المسألة ودعاء العبادة الذي هو بمعنى الذكر والثناء، فالدعاء نوع من أنواع الذكر ولون من ألوانه.

وقد وردت نصوص كثيرة تدل على إطلاق الدعاء على الذكر الأعم من معنى دعاء المسألة، منها حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صل الله عليه و سلم: ((أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله).[173]

وقد وضح هذا الإشكال عند كثير من العلماء، منهم سفيان بن عُيينة عندما سُئل عن دعاء يوم عرفة فقال: هو ذكر وليس فيه دعاء، ولكن قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل: ((من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضلَ ما أعطي السائلين)).

وقال شيخ الإسلام: «إنَّ كلَّ واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه».

و من هنا نستنتج أن العلاقة بين الذكر والدعاء تكون كما يلي:

أ- إذا أريد بالدعاء دعاء العبادة فحينها يكون مرادفا للذكر.

[173] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دط، دار الريان للتراث، 1986، ، ج 10، ص 6044.

ب- وإذا أريد بالدعاء دعاء المسألة فيكون بذلك جزءا من الذكر، ويكون الذكر أعم منه؛ لأن الدعاء لا ينفك عن كونه ذكرا، وأما الذكر فيكون سؤالا ويكون غير سؤال.

ج- وتكون العلاقة بينهما "علاقةاشتمال"، وذلك أن دعاء المسألة ذكر وثناء وتضرّع وافتقار كما أن في الذكر طلب جلب النفع ودفع الضر ورجاء الثواب وخوف العقاب.[174]

والحاصل أن العلاقة بين الدعاء والذكر إما ترادف واتحاد، وإما عموم وخصوص مطلق، ولا يتصور انفكاك أحدهما عن الآخر، فلهذا كانت أغلب الكتب المصنفة في الأذكار تشمل الأدعية والعكس.

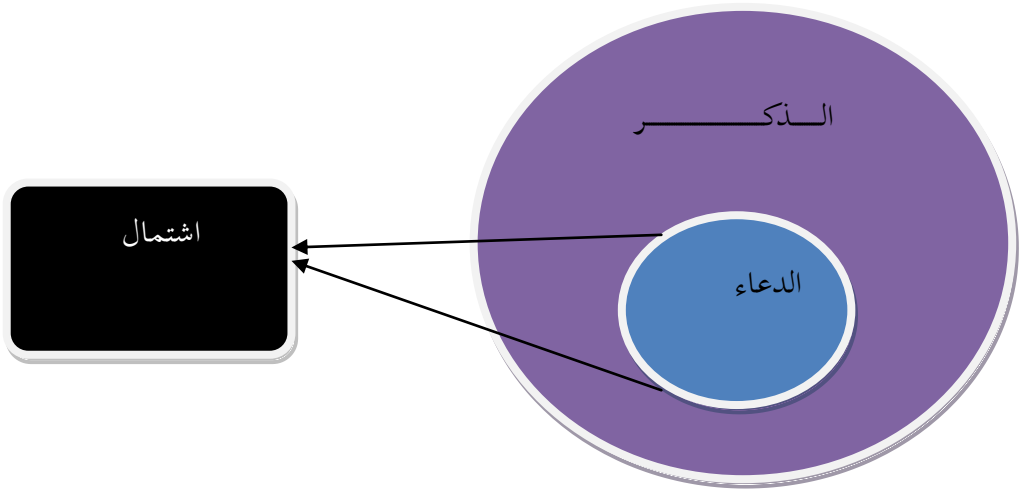

عرضنا سابقا علاقة الذكر بالدعاء وعلاقة سورة الأنبياء بهما كما أبرزنا دور الأنبياء في تبليغ الرسالة و إنذار كفار أقوامهم المعرضين عن ذكر الله و الاعتقاد بوحدانيته و ربوبيته و ألوهيته .

إذن من كل هذا العرض نستنتج أن الدور المحوري للأنبياء في السورة هو إنذار البشرية بخطورة الغفلة و التذكير بيوم القيامة و عقوبة الغافلين عن ذكر الله و المتعصبين لكفرهم، فهو يطابق الفعل الكلي للسورة كما أنّ بؤرة الخطاب في السورة هو الذكر في نمط من أنماط الخطاب الذي يتحقق فعلا كلاميا و يتجلى كظاهرة لسانية في "دعاء الطلب و المسألة "تحديدا لاتجاه مسار الخطاب وفق السياق و المقام الذي يحدّانه.

بعد أن عرفنا طبيعة العلاقة بين الذكر و الدعاء هناك **علاقة اشتمال** أي أن الدعاء ينطوي تحت الذكر فهو جزء منه،على ضوء ذلك نحن أمام علاقة الكلّ بالجزء،و العام بالخاص أو المطلق بالمقيّد.

[174] ابن تيمية، م س، ص 268.

ولذا فإنَّ هذه الظاهرة اللسانية الأسلوبية "الدعاء" في الخطاب القرآني لها وظيفة تؤديها، وهي وسيلة لتحقيق غاية و بلوغ هدف معين من المتكلم مؤديا بها رسالة إبلاغية من شأنها أن تؤثر في المتلقي.

وتحوي الخطابات القرآنية وظائف لسانية أسلوبية كثيرة من شأنها أن تفوق ما توصل إليه البحث اللساني المعاصر. وهذه الوظائف تختلف في غاياتها وخطاباتها من حيث ثباتها وتحركها. فهي ذات نسق واحد يجمعها في تشاكل بنية كبرى لخطابها، وإنّ لها بنية مستترة غير ظاهرة هي التي تبين نوع العلاقات التي تجمع بين أطراف الخطاب لتشكل نسيجا واحدا و هي البنية العميقة لكل بنية خطاب سورة من سور الخطاب القرآني. .

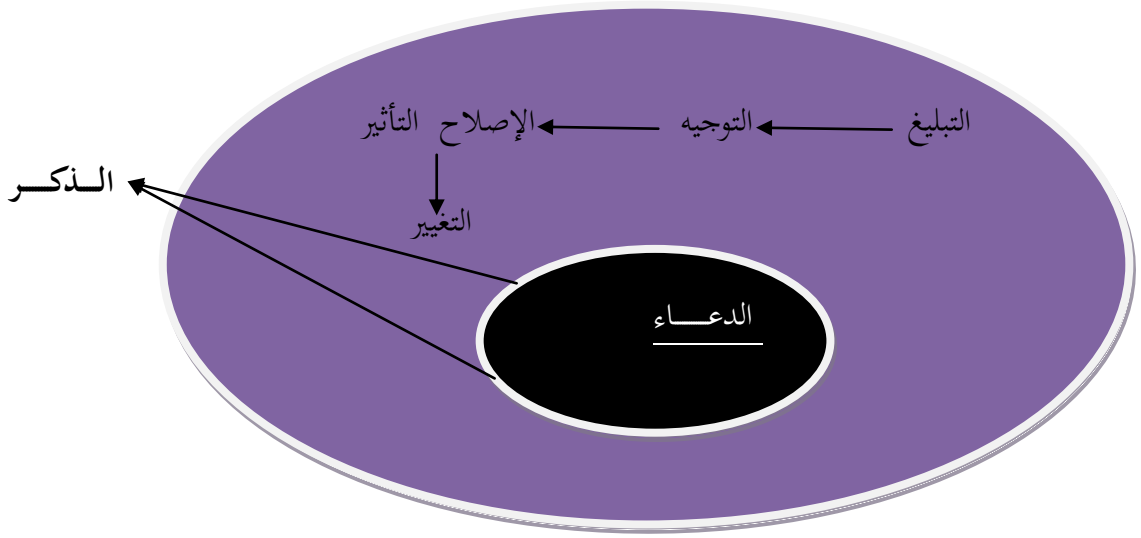

إنّ الدعاء آلية إجرائية تحقق فعلا كلاميا يصل به المتكلم إلى إنجاز و تحقيق واقع معين من شأنه أن يطرح البديل من الإصلاحات أو التغييرات على حسب درجة قوة المحتوى القضوي للفعل، كما يقف على شروط و معايير مهمة تصاحبه في عملية نجاحه و تحققه ،ومن أبرز هذه المعايير نجد مقام و سياق التخاطب بالإضافة إلى النظر في تكوين بنية فكر المتلقي.[175] من هنا نتساءل :متى يحتاج النبيّ إلى الدعاء؟.

عرفنا آنفا أنّ الأنبياء عليهم السلام لجأوا إلى الدعاء كوسيلة لتحقيق غاية رسالتهم، وقد عانوا ثقل الرسالة وعبئها، و اشتد عليهم البلاء في إعراض أقوامهم عن التوحيد و ذكر الله و التصديق بنبوتهم مثلما تعرض له الرسول صل الله عليه و سلم أي دعوة قريش إلى الإسلام و التوحيد و الإقرار بنبوته عليه السلام.

وقد جاء في الآية الكريمة ذكر لأهم خصال و صفات الأنبياء عليهم السلام، فهم صفوة الخلق في قوله تعالى:"﴿٨٩﴾ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴿٩٠﴾.

[175] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 70.

في هذه الآية الكريمة تتضح لنا صفات أحوال الأنبياء وهم يدعون ربّهم في جميع أحوالهم متذللين خاضعين، وقد فصّل الله لنا جملة من تلك الدعوات التي تبرز جانبا من ابتهالاتهم لربّهم سبحانه و تعالى، طمعا في فضله وطلبا لرحمته و فزعا إليه في جميع أحوالهم ذاكرين الله عابدين منيبين له فتولى جلّ جلاله أمر إجابة دعوتهم و تحقيقها و تيسير أمورهم .لأن الأصل في شخص النبي أن دعاء العبادة متجذر بالفطرة كما عرفنا سابقا.

كما أفاض الله عز و جل على أنبيائه بإلهامهم الذكر و الدعاء و الطلب فكانت فطرة في شخصهم، فمنّ الله عليهم بأن علّمهم كيف يلجؤون إليه و كيف يثنون عليه ثناءً يليق بجلاله و عظيم سلطانه.

و من هنا يتبين لنا أن الأنبياء يحتاجون إلى الدعاء متى أعرض أقوامهم عن إتباع رسالة التوحيد،لأنّ الأنبياء بشر و لا يتأتى للبشر المخلوق صفات الخالق المعبود، أي أنّهم قاصرون عاجزون عن هدايتهم.

لذا تولّى الله عز وجل أمر الإبلاغ عنهم و الإنباء به على ألسنتهم نازلا بهم منزلة أن لو كان ذلك النطق ظاهرا منهم لطفا بهم، إتماما للنعمة عليهم، لأنه لو وكلهم في ذلك إلى أنفسهم لم يأتوا بشيء لإصلاح أحوال دينهم و دنياهم.

و إذا كان الدعاء هبه الله عز و جل للأنبياء لدفع البلاء و قضاء حاجاتهم علما أنه واقع في قلبهم مقام الذكر والتوحيد لتبليغ العقيدة فهي وظيفتهم الأساسية؛ من هنا كان الدُّعاء آلية استدعائية بها يبلغ الأنبياء غايتهم وليصلوا لأهدافهم و أغراضهم من الدعوة .فهو آلية تفعيلية من شانها أن تنقل الفعل من حالته الكامنة الوجودية (ذكر) إلى حالة ديناميكية فعالة تؤثر بقوة في الواقع لتحقق إصلاحات متواصلة بوتيرة منتظمة تصل إلى تغيير الأشياء في العالم، فهو "قوة" غير ظاهرة (غيبية) مولّدة للفعل المتضمن في القول به نقيس شدة الفعل التأثيري من قوة الفعل القضوي la force d’acte perlocutoire

و من هنا نعرض ما سلف تحليله في علاقات بين الأنبياء و الذكر و الدعاء:

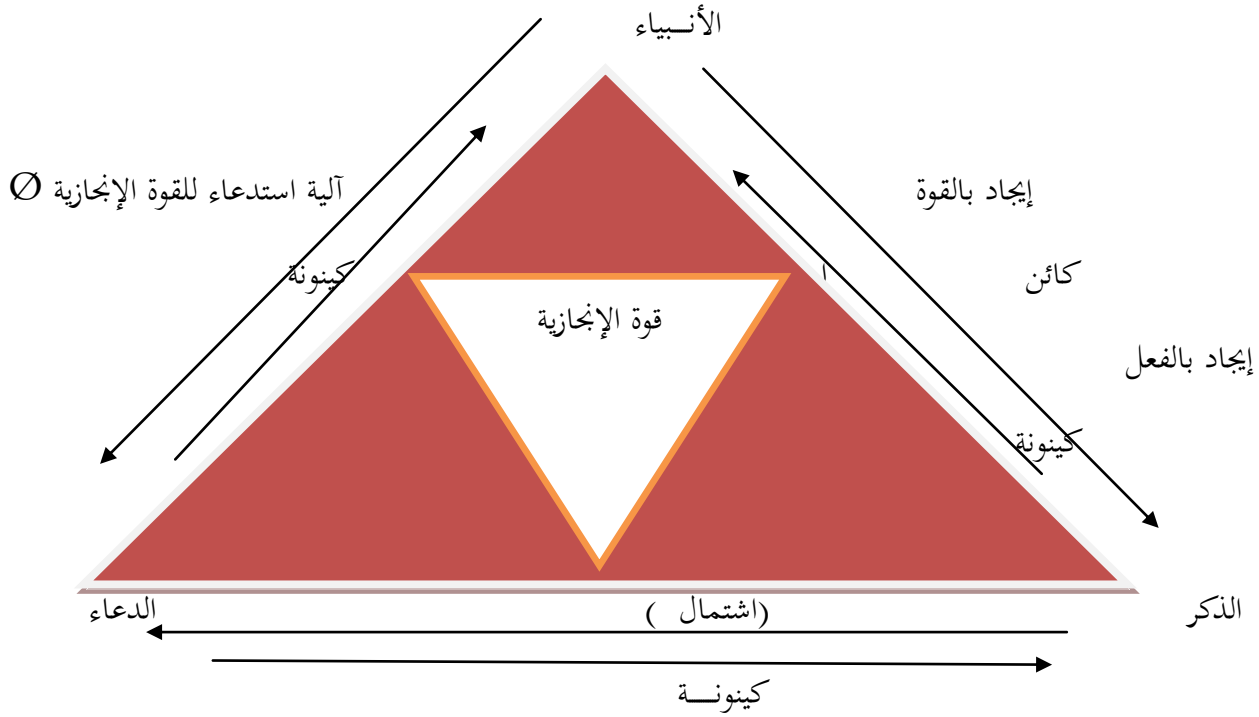

إن الدعاء فعل كلامي بامتياز يتحقق وجوده في بؤرة خطاب السورة،كما أن الأفعال الكلامية في القرآن لها خاصية تنفرد بها عن باقي الأفعال الكلامية الأخرى في الخطابات البشرية الأخرى.

و الأفعال الكلامية القرآنية لاينحصر دورها فيما تنحصر فيه الخطابات البشرية من تبليغ روتيني، بل وظائفها تتعدى أي خطاب أدبي لا يتجاوز نفسه .

الدراسة اللسانية التركيبية لآي الدعاء في سورة الأنبياء:

ويتعلق الأمر هنا بدراسة الآيات من حيث الخصائص التركيبية و البلاغية، إذ نلقي الضوء على آيات الدعاء الواردة في سورة الأنبياء،فهي تتقاطع في أمور وتتابين في أخرى.

و هذا يجعلنا نقف مع كل آية فيما تنفرد به من حيث المستوى الإفرادي و المستوى التركيبي، على أنّنا نتناول الآيات مجملة فيما تتقاطع فيه تجنبا للتكرار:

1-:دعاء سيدنا نوح عليه السلام :77/76.

-قال تعالى:"**﴿٧٥﴾ وَنوحًا إِذ نادى مِن قَبلُ فَاستَجَبنا لَهُ فَنَجَّيناهُ وَأَهلَهُ مِنَ الكَربِ العَظيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرناهُ مِنَ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا إِنَّهُم كانوا قَومَ سَوءٍ فَأَغرَقناهُم أَجمَعينَ ﴿٧٧﴾** الأنبياء:88

بهاتين الآيتين دعا نوح ربّه، وبؤرة الخطاب فيها الكرب العظيم الذي أصيب به نوح من جراء تعسف قومه وعصيانهم، فجاء النصر على القوم المكذبين ولبشاعة الكذب وصف بالسوء ،فكان الجزاء هو الإغراق، الاستجابة لإهلاكهم و إفنائهم.

1- **المستوى المعجمي:**

لو وقفنا مع الآيتين الكريمتين في مستواهما المعجمي لألفينا ألفاظًا مألوفة لا غرابة فيها إلّا ما كان من لفظة:

- **الكرب العظيم**: فالكرب هو شدّة حزن النفس بسبب خوف أو حزن، ويقال أيضًا: الطوفان، وقد وصف الله تعالى هذا بالكرب العظيم ،وذلك لشدّة هول العذاب الذي تعرضوا له.[176]
- **النصر**: والنصر هنا يتضمن معنى النتيجة والعصمة، ويعني: نصرناه منقذين له من القوم الذين كذبوا بآياتنا، ويقول الزمخشري: «انتصر منه معناه انتصف منه ، وأخذ حقّهُ منه».
- **السوء**: كل ما هو قبيح من فكر أو اعتقاد، أو خلق أو عمل أو شيء مادي كربه.

وإضافة لفظ "قوم" إلى لفظ "سوء" يدل على كل حركاتهم الاختيارية، الظاهرة والباطنة، تكاد تنحصر بما هو قبيح، فلا خير فيهم، ولا علاج لهم إلّا الهلاك.[177]

[176] ينظر محمد طاهر بن عاشور، م س، ج 17، ص 113.

[177] الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،ط3، دار الكتاب العربي، بيروت ،1994ج3،ص80.

2- المستوى التركيبي:

ما يلفت في الآيتين بناء "**قبل**" على الضم وهذا يدل على أنّ المضاف إليه مقدر، أي من قبل هؤلاء، أو قبل الأنبياء المذكورين، وفائدة ذكر هذه القبلية التنبيه على أنّ نصر الله أولياءه سنّته المرادة له تعريضا بالتهديد للمشركين المعاندين ليتذكروا أنّه لم تشذ على نصر الله رسُله شاذة.

ثم نجد البدء بالآيات متمثلة في جمل فعلية ماضية، تامة عناصر إسنادية من فاعل ومفعول، ووردت جملا معطوفة على بعضها، واللافت هنا وجود الجملة الاسمية التي تدل على التعليل في قوله: "﴿**إنهم كانوا قوم سوء**﴾" على أن تشير إلى أسرار ذلك في المستوى البلاغي.

أمّا" **أجمعين**" فحال من ضمير النصب في "﴿**أغرقناهم**﴾ " للإفادة أنّه لم ينج من الغرق أحد من القوم ولو كان قريبا من نوح ، فإنّ الله قد أغرق ابن نوح.[178]

2- المستوى البلاغي:

ورد في هذا المستوى عدد من الخصائص نذكر منها:

- **الوصف:** فوصف الكرب العظيم، أنه يهول الناس عند ابتدائه، وعند مده ولا يزال لاحقا بمواقع هروبهم فيبقوا زمنا يذوقون آلام الخوف فالغرق وهم يغرقون ويطفون حتى يموتوا بانحباس التنفس، وفي ذلك كله كرب متكرر، فلذلك وُصفَ بالعظيم.
- **التعدية:** في هاتين الآيتين نلحظ تعدية لفظ "نصرناه" بحرف "**من**" لتضمينه معنى المنع والحماية، وهو أبلغ من تعديته بـ" **على**" لأنّه يدل على نصر قوي تحصل به المنعة والحماية، فلا يناله العدو بشيء، وأمّا نصره عليه فلا يدل على المدافعة.

أمّا الجملة الاسمية الأخرى الناسخة "﴿**إنهم كانوا قوم سوء**﴾" و المكوّنة من إن واسمها وخبرها، جاءت خبرية ضربها طلبي، بها مؤكد واحد ذلك لإزالة أي شك في أنّ الكذب ليس بسوء، وإنصافهم بذلك فعلا.[179]

[178] إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، جمعية التراث، غرداية الجزائر، ط1997، دط، ج4، ص 106.

[179] ينظر: عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، معارج التفكر و دقائق التدبر، دار القلم، دمشق –سوريا،ط2006،ط1،ج4،ص:335.

2-دعاء أيوب عليه السلام:83-84.

-قال تعالى: "﴿٨٢﴾ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾** ".

بعد أن ذكر الله تعالى القصص خمسة من الأنبياء: إبراهيم، لوط، داوود، سليمان، وما تعرضوا له من ابتلاء في سبيل الدعوة ، ذكر هنا قصة أيوب وابتلائه بأنواع المحن في نفسه وأهله، وكلهم صبروا على المحن والبلايا وشكروا الله على ما أنعم عليهم من رفع البلاء والنّصر على أقوامهم.

1-المستوى المعجمي:

نتناول في هذا المستوى ألفاظا نحسبها تستوجب الوقوف والتأمل إذ من شأنها أن تحدث التباسا عند المتلقي، ومنها:

-مسّني :من المس وهو: الإصابة الخفيفة والتعبير به حكاية لما سلكه أيوب في دعائه من الآداب مع الله إذ جعل ما حل به من الضُّر كالمس الخفيف.

-الضُّرُ: بضم الضاد ما يتضرر به المرء في جسده من مرض أو هزل أو في ماله من نقص ونحوه.

-فَكَشَفنَا: من الكشف: مستعمل في الإزالة السريعة، شبهت إزالة الأمراض و الأضرار المتمكنة التي يعتاد أنّها لا تزول إلّا بطول بإزالة الغطاء عن الشيء في السرعة.

-ذكرَى: اسم للتذكير،أي: وتذكيرا منّا للعابدين بالصبر ، بأنّ عاقبتهم أن نزيل عنهم ما أنزلنا بهم من بلاء وأن نزيدهم من فضلنا عطاءات ترضيهم.[180]

[180] جار الله الزمخشري، م س، ص 86.

المستوى التركيبي:

إنّ المتأمل في هاتين الآيتين يلاحظ بأنّهما سليلتا ما قبلها، والاختلاف يظهر من خلال الجملة الإسمية التي تقر بضّر أيُّوب واصفًا ربهُ بالرحمة التي جعلته يركن إليه، وهذا في قوله: "﴿**إني مسّني الضرُ وأنت أرحمُ الراحمين**﴾" بفتح الهمزة من "**أنّي**" على تقدير حذف الجر "**الباء**" وتأدبا مع ربه عزّ وجلّ بعبارة مسني الضر ولم يقل (أصابني ضر) مع أنه فقد أهله وماله وصحته، فالمس يعبر به عن الإحساس الخفيف بشيء لاصق. [181]

واللافت في هذا المستوى أيضا وجود الموصول في قوله تعالى :" **مَا به من ضُر**" المقصود منه الإبهام ثم تفسيره بـ "**من**" البيانية قصد تهويل ذلك الضر لكثرة أنواعه.

المستوى البلاغي:

ورد في هذا المستوى بعضا من الأساليب البلاغية نذكر منها:

–التلطف: بعدم التصريح بالدعاء فكان فيه حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب وهذا في قوله تعالى :"**وَ أَنتَ أرحَمُ الرّاحمين**" والتعرض هنا بطلب كشف الضر عنه بدون سؤال فجعل وصف نفسه بما يقتضي الرحمة له ووصف ربه بالرحمة تعريضا بسؤاله، وكون الله تعالى أرحم الراحمين، لأنّ رحمته أكمل الرحمات ولأنّ كل من رحم غيره فإمّا أنّ يرحمه طلبًا للثناء في الدنيا أو للثواب في الآخرة، دفعًا للرقة العارضة للنفس من مشاهدة من تَحقُ الرحمة له، فلم يخلُ من قصد نفع لنفسه، وإمّا رحمته تعالى عباده فهي استجلاب فائدة لذاته العلية. [182]

–المبالغة:كما في قوله تعالى: "﴿**فاستَجَبنَا لَهُ فَكَشَفنَا مَا به من ضُر**﴾" فالسين والتاء في "**فَاستَجَبنَا**" للمبالغة في الإجابة، أي استجبنا دعوته العرضية بإثر كلامه "**وكشفنا ما به من ضر**"إشارة إلى سرعة كشف الضر عنه، والتعقيب في كل شيء بحسبه، وهو ما تفتضيه العادة في الشفاء وحصول الرزق و ولادة الأولاد.

- ونلحظ الاستعارة في قوله: "**مسَّني الضرُ**" وهي استعارة مكنية. [183]

[181] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج17، ص:113.

[182] عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، ص 347.

[183] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، م س، ج17، ص 127.

- و التعرض للرحمة بطريق التلطف وهذا في قوله: "﴿**وَ أَنتَ أَرحمُ الرَّاحمين**﴾".[184]

- فلم يصرح بالدعاء ولكنه وصف نفسه بالعجز والضعف ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه، فكان فيه من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب.

- و اسم تفضيل في قوله: "**أَرحمُ**". جناس الاشتقاق في قوله: "**أَرحَمُ الرَّاحمين**".[185]

3- دعاء يونس،87-88.

-يقول عزّ وجلّ: "**﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾** "

هاتان الآيتان تُبينان قصة "**يونس**" –عليه السلام- ومدى فضل الله وإنعامه عليه، كما أنعم على الأنبياء المتقدمين الذين ذكر قصصهم، وأجاب دعاءهم بعد الكرب والشدّة وقاساه الأهوال، والصبر والعناء.[186]

المستوى المعجمي:

ورد في هاتين الآيتين بعضا من الألفاظ التي لابد من الوقوف عليها ومنها:

-ذا النون: أي صاحب النون الذي التقمه في البحر، والنون اسم من أسماء الحوت، ولعلّه صنف من أصناف الحيتان العُظمى.

-مغاضبا: أي هاجرا قومه ومتباعدًا عنهم، أو جرى بينه وبين قومه مجادلات أغضبتهم منه.

-الظلمات: جمع: ظلمة، والمراد ظلمة : الليل، وظلمة قعر البحر، وظلمة بطن الحوت.

-الغم:أي غم المكث في بطن الحوت.

[184] محمد الصابوني ،صفوة التفاسير ،ج2،ص272.

[185] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، م س ، ج17، ص 114.

[186] ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج، ط2،دار الفكر المعاصر ، بيروت، 1997، ص116.

–نقدر: من القدر: وهو بمعنى الضّيق، أي ظّن باجتهاد منه، أن لن نضيّق عليه فنجعله ملزما بالأمر أو بالإذن الصريح، بمفارقة قومه، باعتباره نبيًا و رسولا يوحي إليه.[187]

2–المستوى التركيبي:

ما نشير إليه في هذا المستوى هو ما جاء في الجملة الإسمية من توحيد " **يونس**" –عليه السلام– ربّه في قوله:

"﴿**أنْ لا إله إلّا أَنتَ سُبحَانَكَ إنّي كُنتُ من الظّالمين**﴾" التي بها قصر بطريق النفي والاستثناء، يدّل على تفرد الله بالألوهية، إضافة إلى ذلك اعترافه –عليه السلام– بظلم نفسه، فأسند إليه فعل الكون الدال على رسوخ

الوصف، وجعل الخبر أنّه واحدا من فريق الظالمين، وهو أدل على أرسخية الوصف.

وقد وردت "**إنّي**" مفسرة لفعل " **نادى**" وتقييمه الاعتراف بالتوحيد مع التسبيح كنَّى به عن انفراد الله تعالى بالتدبير وقدرته على كلّ شيء ، ونختم بالتنبيه على أنَّ ما جاء فيها يعد قانونا في الحياة "﴿ **وَكَذَلكَ نُنجي المُؤمنينَ**﴾.[188]

2–2– المستوى البلاغي:

نقف في هذا المستوى على بعض من الأساليب البلاغية التي وردت في الآيتين الكريمتين:

–المبالغة:وهذا في قوله تعالى: "﴿**إذ ذهب مغَاضبًا**﴾" فالمبالغة في لفظة "**مُغَاضبًا**" والمغاضبة مفاعلة يراد بها شدة الغضب.

ووردت المبالغة أيضا في لفظة "**فَاستَجَبنَا**" والاستجابة مبالغة في الاجابة وهي إجابةتوبته مما فرط منه.

–التعريض: كما في قوله تعالى "**سُبحَانَكَ**" وفي هذه تنزيه وتعظيم الله عزّ وجلّ عن كل ما لا يليق بربوبيته وإلهيته، وهذا التعريض لافت إلى هذا التنزيه اللائق بالذات العلية.

"**سبحانك**" (الجملة كاملة)، جاءت معترضة بين التوحيد والاعتراف بالذنب، إذ التوحيد يقتضي التوبة والإنابة إلى الله تعالى، والجملة الاعتراضية جاءت للتعظيم والتنزيه.[189]

[187] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير،ج17، ص 127.

[188] ينظر:جار الله الزمخشري، م س، ص 88.

[189] عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، ص 353.

4- دعاء زكريا، 89-90:

-قال الله تعالى:"﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾" بعد بيان النعم الخاصة بكل نبي، أبان الله تعالى ما أنعم به على نبينا " زكريا" -عليه السلام- بمنحه الوَلَد، وفي حال الكبر هو وزوجه، وبعد أن مسّه الضُر بتفرده، فدعا ربّه أن يرزقه الولد، وأحبّ أن يكون معه من يؤنسه ويقوم على أمر دينه ودنياه، ويقوم مقامه بعد موته، وكان دعاؤه دعاء مخلص عارف بأنّ الله تعالى قادر على ذلك، وإن بلغ هو وزوجه سن اليأس من الولد وهذا دليل على إجابة دعاء "زكريا" -عليه السلام.[190]

المستوى المعجمي:

نقف في هذا المستوى على بيان بعض الألفاظ لدى المتأمل في هاتين الآيتين، وعليه نذكر منها:

-تذرني: أي لا تتركني وحيدًا بلا ولد يرثه -عليه السلام.

-**الوارثين:** جمع" الوارث" ومعناه الذي يرجع إليه ملك السموات والأرض بعد فناء خلقه، لأنّ كل مولود سيموت، وكل من يموت يُوَرَث، جل جلاله واحد حيٌ لا يموت ، يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.[191]

-أصلحنا: أي أصلح ما كان فيها من العقم الذي منعها من الولادة.

-الخيرات: جمع خير بفتح الخاء وسُكون الياء أي الطاعات.

-رغباً: مصدر من رغب أي يدعون الله رغبة في رحمته.

-رهَبًا: مصدر من رهب ومعناه يدعونه عزّ وجلّ رهبةً وخوفًا من عذابه.

خاشعين: من الخشوع وهو خوف القلب دون اضطراب الأعضاء الظاهرة.[192]

---

[190] ينظر: وهبة الزحيلي، م س، ص 122.

[191] عبد الحليم محمود، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت ،2001، ،ص212.

[192] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، م س، ج17، ص 137.

2-المستوى التركيبي:

ما نقف عنده في هذا المستوى هو ما كان من أمر " **زكريا**" -عليه السلام- الذي أشار إليه قوله تعالى : "﴿**إذ نادى ربّه**﴾" آية من آيات الله في عنايته بأوليائه المنقطعين لعبادته فخص بالذكر لذلك، والقول في عطف و"زكرياء" كالقول في نظائره من الآيات السابق ذكرها، وجملة"﴿**رَبّ لَا تذرني فَردًا**﴾" مبينة لجملة "﴿**نادى ربّه**﴾"، وأطلق الفرد على من لا ولد له تشبيها له بالمنفرد الذي لا قرين له

كما نجد الجملة الاسمية الحالية "﴿**وأَنتَ خيرُ الوارثين**﴾" وفي هذا ثناء لتمهيد الإجابة أي أنت الوارث الحق تفيض عليَّ من صفتك العلية شيئا.

أمّا الجملة الاسمية"﴿**إنّهم كانوا يسارعون في الخيرات**... ﴾" فهي جملة واقعة موقع التعليل للجمل المتقدمة في الثناء على الأنبياء المذكورين وما أوتوه من النصر، واستجابة الدعوات والإنجاء من كيد الأعداء، فضمائر الجمع عائدة على المذكورين، وحرف التأكيد مفيد معنى التعليل والتسبب.

وأفاد فعل الكون " **كانوا**" أنّ ذلك كان دأبهم في مبادرتهم إلى مسالك الخير و رسوخ و تأصل أقوالهم مطابقة لأفعالهم . وذلك أنّ فعل الكون أيضاً في قوله تعالى: "﴿**وكانوا لنا خاشعين**﴾".

مثل ذكره في قوله تعالى: "﴿**كانوا يسارعون**﴾".[193]

2-2_ المستوى البلاغي:

-**الطباق:** وهذا في قوله تعالى:﴿**ويَدعونَنَا رَغبًا وَرَهبًا**﴾ والطباق بين اللفظتين ﴿**رَغبًا**﴾و ﴿**رَهبًا**﴾.[1194]
أمّا الأخبار بالجملة الفعلية في قوله:﴿ **إنّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ في الخَيرَات**﴾ فدليل على مسابقتهم في فعل الطاعات وعمل الصالحات، إذ فصل بينها وبين اسم الفاعل في قوله :﴿ **وَكَانُوا لَنَا خَاشعينَ**﴾. أي متذللين لله، بشبيه الجملة ﴿**ويَدعونَنَا رَغبًا وَ رَهبًا**﴾.[195]

[193] ينظر: م ن، ص 135، 136.
[194] وهبة الزحيلي، م س، ص 121.
[195] محمد صفوة الصابوني، م س، ج2، ص 237

خلاصة:

يتبين لنا أنّ المقاربة اللسانية لآي الدعاء في سورة الأنبياء قد كشفت لنا من خلال تحليلنا للمستويين اللسانيين الإفرادي و التركيبي جملة من الخصائص اللسانية التي تفردت بها هذه الظاهرة في هذه السورة ،على المستوى الإفرادي توصلنا إلى:

1. المعجم:

اللافت في كل هذا أن لفظي "**نادى**" و" **استجبنا**" صرفت في جميع الآيات، والنداء بمعنى الدعاء الذي يقابله بالضرورة بخاصة عند المنادي، والاستجابة لفظتان شكلتا ثنائية جدلية، إذ الدعاء يرجى منه دائما الاستجابة كما في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ غافر:60. والدعاء لقضاء أمر أو تفريج كرب لا يكون إلّا لله سبحانه.

2. الإيقاع:

إنّ هذا القرآن _في كل سورة منه وآية، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد منه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام_ يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى مملوء نغمًا، حتى إنّه ليكون من الخطأ في هذا المستوى أن نفاضل فيه بين سورة و أخرى، أو نوازن بين مقطع ومقطع، لكنّنا حين نومئ إلى تفرد سورة منه بنسق خاص .[196]

وهنا نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نؤيدها الدليل وندعمها بالشاهد، مؤكدين أنّ القرآن نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه، إلّا أنّه تُنوع موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه، ومن ذا الذي يقرأ سورة كاملة من سور القرآن طويلة أو قصيرة ومكية أو مدنية ثم يوقظ نسقها الرائع قبله، ويهزُّ إيقاعها العجيب مشاعره.

و على هذا الأساس القرآن ينفرد بحفاظه على تناسقه الإيقاعي نتناول الميزات الإيقاعية في بعض من آيات الدعاء من سورة الأنبياء:

-الإيقاع:

و في هذا المستوى نشير إلى تكرار حرف العطف " الواو" الذي أحدث شيئا من الخفة علما بأنّ الواو تأتي لمطلق

[196] ينظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص 334.

العطف إضافة إلى هذا تتناول الحروف التي وردت في أغلب الآيات وهي:

الفاء: هي حرف شفوي مهموس، وقد وردت في قصة "**نوح**" و" **أيوب**" _عليهما السلام_ لاعتباره شأن التفصيل لكثرة ما يفصل فيهما، إلّا أن اللافتة في قصة "يونس" _عليه السلام_ الواو التي وردت في لفظة "و نجيناه" والفاء التي وردت في قصة "أيّوب" _عليه السلام_ في لفظة "فكشفنا" لأنّ ما هنا زيادة إحسان على مطلبه، فلم يترتب بالفاء كترتب الاستجابة والكشف، ولا مانع من كون التنحية من الغم بعض التفصيل للاستجابة قبله، والتفصيل يكون بالواو كما يكون بالفاء، إلّا أنّ الفاء فيها أكثر ، وهذا ما أشرنا له في قصة "**نوح**" و "أيّوب" _ عليهما السلام".[197]

أما الهاء: فهي حرف تنبيه مهموس وردت في الألفاظ الآتية: "**فأنجيناه**" ،"**أهله**" ، "**نصرناه**"، "**زوجه**" فهي عائدة على" **نوح**" و"**زكريا**" _عليهما السلام، فصفة الهمس "للهاء" وذلك لما فيها من خفة للآيات و رأفةً من الله بالأنبياء.[198]

السين والتاء: وردتا لسرعة إجابة الله لدعاء الأنبياء _عليهم السلام_ إضافة إلى المبالغة.

وقد وردت السين في لفظة " **مسّني**"، إذ تعتبر السين من الصوامت، فنجد مادة "**مس**" في القرآن الكريم بصوتها المهموس ونغمها الرقيق.

أسهمت الآيات في تعزيز إيقاع السورة الذي ينتهي بفاصلة " **الياء والنون**" في:

" **أجمعين**" ،"**الراحمين**"، "**العابدين**" ،"**الظالمين**"، "**المؤمنين**"، "**الوارثين**" "**الخاشعين**" إذ إنّ الفاصلة في القرآن الكريم ليست كقافية الشعر تقاس بالتفعيلات والأوزان، وتضبط بالحركات والسكنات، ولا النظم فيه يعتمد فيه على الحشو التطويل أو الزيادة والتكرار، أو الحذف والنقصان، ولا الألفاظ تحشد حشدًا، وتلصق إلصاقا، ويلتمس فيها الإبهام والإغراب، بل الفاصلة طليقة من كل قيد، والنظم ينحوه من كل صيغة والألفاظ بمعزل عن كل تعقيد، إن هو إلا أسلوب يؤدي غرضه كاملا غير منقوص، يلين ويشتد، ويهدأ أو يهيج! ينساب انسيابا كالماء إذ يسقي الغراس، أو يعصف عصفًا كأنّه صرصر عاتية تبهر الأنفاس! وهذا ما نلاحظه في "ين" الضمير العائد على الأنبياء المذكورين أي ما

[197] ينظر: وهبة الزحيلي، م س، ص121.

[198] عبد اللطيف فايز وريان، التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين، دار المعرفة ،بيروت-لبنان، تط1999، ط1، ص 151.

استحقوا ما أتوه إلّا لمبادرتهم إلى مسالك الخير ووجهتهم في تحصيله.

أمّا الأفعال الماضية التي وردت في الآيات مثل: **"نادى"**، **"فاستجبنا"**،**"و نجيناه"**، «**فنصرناه**"، **"فكشفنا"**،**"ووهبنا"**، **"أصلحنا"** فهي تدل على الحكاية والقصص الذي يأتي أساسًا للموعظة والعبرة.

واللافت أيضا في هذه الآيات كثرة اسم الفاعل الدالة على الفاعلية، فهذه الصيغة لها سمتها الموسيقية الواضحة، فهي تثري إيقاع النص من جهة وتكشف عن دلالات وإيحاءات تصاحب الكلام من جهة أخرى مثل : **"العابدين"**، " **الظالمين"** ،**"المؤمنين"**، **"الوارثين"**، والذي يدل على المبالغة في العبودية وهذا في لفظة "**العابدين**" وكذلك في لفظة "**الظالمين**" وهذا مبالغة في الظلم، وعلى الحدث والحركة.[199]

أمّا لفظة **"ننجي"** في قصة "يونس عليه السلام اعتبرها جمهور القرّاء بإثبات النونين في النطق فيكون حذف إحدى النونين في الخط مجرد تنبيه على اعتبار من اعتبارات الأدلة نتيجة لتضعيف حرف الصفير.

وهذه المادة في رقتها صوتيًا، وشهادتها دلاليًا تجمع بين جرس الصوت الهادئ، وبين وقع الألم الشديد، فالمس يطلق عادة ويراد كل ما يناله الإنسان من أذى ومكروه كما في قوله تعالى: ﴿**وأيّوبَ إذ نادى رَبَّهُ أَنّي مسّني الضُّر وأنت أرحمُ الرُاحمين**﴾ وفي هذا دلالة على شدّة البلاء، ووقع المصاب، وفرط الأذى، واللفظ فيها رفيق رقيق ولكن المغزى شديد غليظ.

النون: حرف الجهر والانفتاح، كما نلحظ تكرار النون في الألفاظ التالية: "فكشفنا"، "فاستجبنا"،"وهبنا" ،"أصلحنا" فدلت النون على عظمته سبحانه وتعالى في إجابته لدعاء الأنبياء عليهم السلام.[200]

كما نجد تكرار بعض الحروف البارزة التي صاحبت صيغة الدعاء و مقامه من ذلك:

تكرار لفظ "ربّ " الربوبية للدلالة على تعظيم الله عز و جل و الخضوع و إبراز القوة و القدرة في وصف الله تعالى لملكوته و جبروته. ليسألوا بربوبيته المتضمنة قدرته وإحسانه وتربيته عبده وإصلاح أمره، ويثنى عليه بإلهيته المتضمنة

[199] ينظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص 340 ،341.
[200] ينظر: صبحي الصالح، م س ،ص 341.

إثبات ما يجب له من الصفات العلى والأسماء الحسنى، كما يظهر لنا أن حرف الراء عند صدوره يحدث اهتزازا من شأنه تكرار الحركة الصادرة ليتم النطق به و يعقبه حرف الباء فهو حرف انفجاري شفوي،يخرج الهواء دفعة واحدة من أعلى الحلق، إذن من الحرفين الراء والباء عند التقائهما يشكلان لفظ الربوبية ففي الدعاء يدل اللفظ على تكرار استعمالها و إلحاح الأنبياء على الله في طلب الاستجابة.

بالإضافة إلى ما عرضناه سابقا في تحليل آيات الدعاء عند تكرار لفظ الفعل"فاستجبنا"، "فنجيناه"،فالتقاء حرف الألف و السين و التاء يدل على السرعة في حركة الفعل والإلحاق به .

– ذلك أنّ التكرار ليس غاية في حد ذاته وإنّما هو وسيلة لتوصيل المعنى وتحديده، وبالتالي أدائه لوظيفة بلاغية، ومن أجل ذلك ظلّ سمة أسلوبية لها أثرها اللافت ودلالتها العميقة المؤثرة، وهذا ما لاحظناه من خلال هذه الآيات في تأثيرها على المتلقي من خلال دعاء الأنبياء –عليهم السلام–.

- **في المستوى الصرفي**: حيث نلاحظ تكرار صيغة اسم الفاعل:لو استقرئنا جميع آيات السورة الكريمة لوجدنا تكرار صيغة اسم الفاعل من بدايتها إلى نهايتها نعرض البعض منها: {معرضون،خالدين،مسرفين، ظالمين، خامدين، لاعبين، فاعلين، معرضون، مكرمون،
مشفقون،الظالمين،المعرضون،خالدون،كافرون،صادقين،معرضون،الغالبون،ظالمين،حاسبين،المتقين،مشفقون،منكرون،عالمين، عاكفون، عابدين، اللاعبين، الشاهدين، مدبرين، الظالمين، الظالمون، فاعلين، عالمين، صالحين،عابدين، فاسقين، صالحين، شاهدين،فاعلين، شاكرون،عالمين،حافظين، الراحمين،العابدين، الصابرين، الصالحين، الظالمين، المؤمنين، الوارثين،خاشعين، العالمين، راجعون، ظالمين، واردون، خالدون، مبعدون، خالدون، فاعلين، صالحون،عابدين،العالمين، مسلمون}. فاسم الفاعل يشتق من فعله للدلالة على صفة لازمة من فعله تدل على حال الموصوف فهو ينوب عن الفعل ليدل على ثبوت صفتي الفعل الحدث والحركة لتحققهما؛ و من ثمَّ الشواهد تدلّ على صفات ثابتة لازمة للموصوف في آيات السورة ممن وصفهم الله من الناس بإعراضهم عن التوحيد إلى أن بلغوا من الظلم و الكفر فهم الكافرون أو الصنف الثاني المؤمنون الذين يخشون الله وهم المسلمون لربّهم المؤمنون الموحدون له. [201]
- **في المستوى المعجمي**: وصلنا إلى المفردات التي تركبت منها آيات الدعاء في السورة على اختلاف و تباين مقامات إنتاجها إلا أنها اتفقت في حقلين دلاليين:

[201] مصطفي الغلاييني، جامع الدروس العربية،ط3، المكتبة العصرية،1994،ج2،ص 260-261.

1. الحقل الدلالي وهو: الشدة و الابتلاء.

- {الكرب العظيم،السوء،مسني الضرّ،مغاضبا،في الظلمات،الغمّ،لن نقدر، لا تذرني، نادى...}.

2. الحقل الدلالي وهو:الفرج والرّحمة:{النصر، كشفنا، ذكرى، أصلحنا، الخيرات، رغبا ورهبا،خاشعين، استجبنا أنجيناه، نصرناه،..}.

3. المستوى التركيبي:

نجد على المستويين النحوي و البلاغي (الدلالي) "تضافر و تشاكل "حيث إنّ كليهما يخدم الآخر ليتم المعنى المفيد و القصدية من وراء التركيب اللغوي.

و تباينت و اختلفت أنواع الجمل منها ما جاءت اسمية و أخرى فعلية و منها موصولة و منها الحالية فكلّها كما بينا سابقا تخدم مقام و سياق معناها تحديدا .

الدراسة التداولية للفعل الكلامي الدُّعائي في سورة الأنبياء :

شغل الدعاء مكانا هاما و حيّزا كبيرا من كتاب الله العزيز لهذا نشهد تشاكله مع الخطاب القرآني ليكوّنا ظاهرة لغوية تداولية بامتياز.تميز الخطاب الدُّعائي بانتشاره على مستويات جميع الخطاب القرآني بداية من أول سورة فيه مرورا بالسور الطوال ونهاية مع قصارها، مكيّها ومدنيّها حتى إذا انتهينا عند آخر سور الكتاب المجيد وجدناه دعاء كريما يجسد صورة معبرة لاعتراف الإنسان بضعفه و لجوئه إلى خالقه و تعلّقه بحصنه من كل ما دار بفكر أو جال بخاطر من أمر عظيم

باستقراء ظاهرة الدعاء في القرآن العظيم يبرز تعدد صور تشكله، و اختلاف أساليبه التي صيغ على وجهها و تنوع مقاصده و مراميه و أغراضه كل مرة على حسب مقامه و سياقه متصلا بعناصر الحوار و فاعليه من المتكلم إلى المتلقي آخذين بالاعتبار آليات تشكل هذا النوع من الخطاب فهو فعل كلامي كامل ناجح يجعل من الخطاب يتفرع حسب تقسيمات "سيرل" من حيث فعل القول في ملفوظه عند قراءته خطابا في بنيته المشكلة من المستوى الصوتي و المعجمي و الدلالي، ليمر إلى المستوى الثاني من الفعل، وهو الفعل القضوي حيث يتم فيه تحديد و تدقيق المعنى بوضعه في قضية ذات موضوع و محمول،أما المستوى الثالث فهو الفعل الإنجازي الذي يحمل قوة إنجازيه من شأنها أن تدفع المستويين السابقين إلى التأثير في المخاطب، و فيه يتفرع إلى فعل مباشر أو غير مباشر إضافة إلى المستويات الثلاثة نصل إلى المستوى الرابع فهو ردة فعل المخاطب بحسب تأثير المتكلم وفقا لما يراه "سيرل":« أنه لكل فعل تأثير في المخَاطب يدفعه إلى انجاز فعل ما»[202]، ومنه نحتكم إلى شروط الملاءمة و اتجاه سيرورة الخطاب و القوة الإنجازية وبها نقيس شدة قوة الفعل القضوي ليصنع فعلا لغويا ناجحا.[203]

ولا يوجد فعل دعائي مستقل عن السياق الذي وجد فيه و الظروف التي أنتجته وفي السورة الكريمة "سورة الأنبياء" نجد أنّ فعل الدعاء و سياقه هو القصة القرآنية، التي تنهض بالدعاء كفعل كلي تام تتضح معالمه من القصة القرآنية و بها نحدد أغراض فعل الدعاء وكيفية تشكل دلالته الكلّية ككل، لنتم في الأخير بها بيان أطراف الخطاب ودورة التخاطب، فهي المرآة العاكسة التي تعطي لنا الوجه الصحيح لتناسق و انسجام هذا النوع من الخطاب المتميّز عن باقي الخطابات الأخرى.

سنقف عند كل آية تحمل فعلا دعائيا من السورة الكريمة حسب تسلسل وترتيب الآيات في السورة لتحليلها:

[202] Searle : J. Austin: How to do things with words, 1962. J. Searle: Speech acts, 1969.

[203] ينظر محمد محمود عبود زوين، الدعاء في القرآن الكريم، ص 57.

الفعل الكلامي الدَّعائي لنبينا محمد صل الله عليه و سلم:

قال تعالى: ﴿٣﴾ **قالَ رَبّي يَعلَمُ القَولَ فِي السَّماءِ وَالأَرضِ وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ**﴿٤﴾. الأنبياء:4

نرسم خطاطة التواصل كما هي عند "جاكبسون" لنتوصل إلى السمات و الخصائص التي تميز هذا الفعل الدعائي عن غيره:

المبلَّغ :المتكلم؛الرسول صل الله عليه وسلم .

المبلِّغ:المخاطب؛الله عز و جل.

السنن: فعل القول؛الملفوظ أي مجموعة القواعد النحوية و الدلالية والتداولية.

الرسالة: موضوع فعل الدعاء في الآية :إبراز أنّ الله سميع عليم بأقوالكم في سرّكم أي تناجيكم و جهركم به؛ **الغرض منه**: طلب الاستعانة و العون تفويض الأمر لله.

قناة التبليغ:فعل التلفظ هي القصة القرآنية.

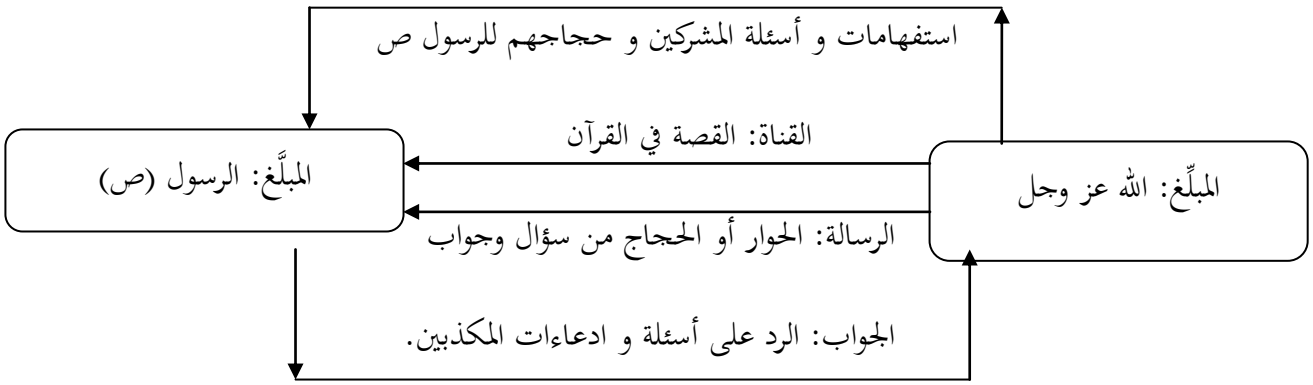

.

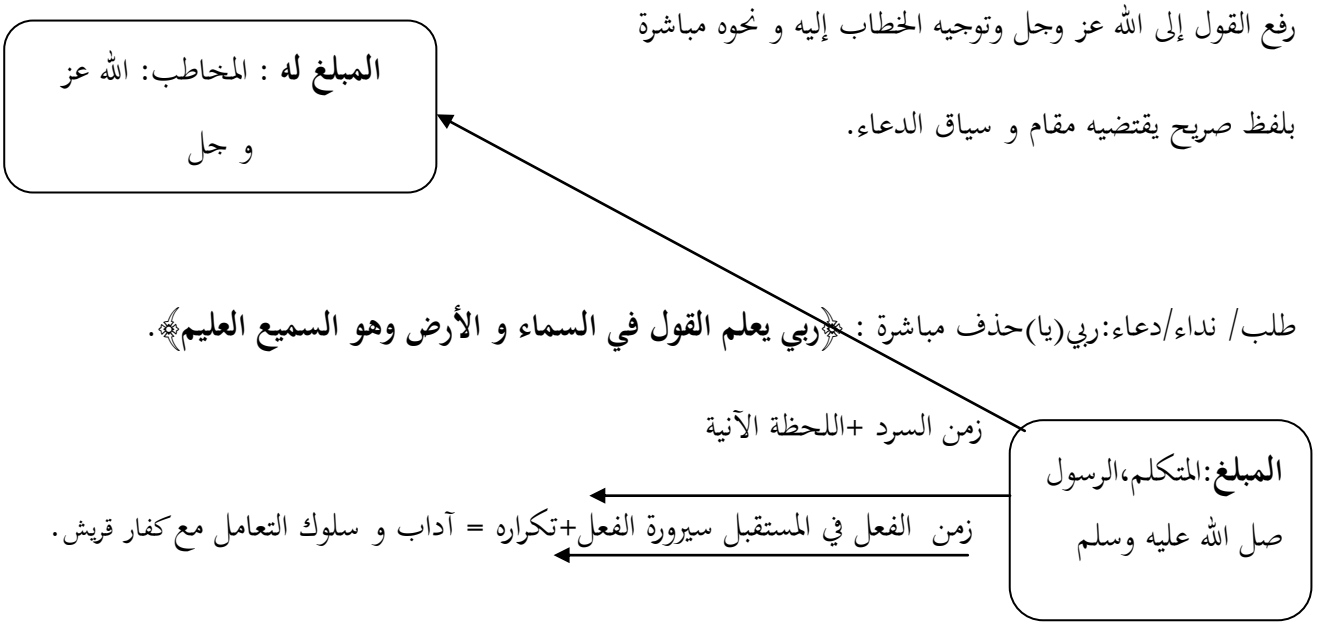

ننتقل لدراسة الفعل الكلامي في الآية و نبدأ بالتقسيم الكلي ثم ننتقل إلى تصنيفات القول حسب ما أورده "سيرل " .

الفعل الكلي: قوله تعالى في الآية كما عرضنا سابقا لابد من الوقوف على سياق الدعاء و الذي تكون فيه؛هو أنه لما جهر الرسول ص بالدعوة إلى توحيد الله و الإيمان به رسولا للأمة و العالمين في أهل مكة أعرضوا عن اتباعه و قابلوا ذلك بالاعتداء على شخصه صلى الله عليه وسلم و نبذه وتحريض أهل مكة عليه علانية و سرّا في مجالسهم فكانوا معارضين له فوصفوه بالساحر، و إنّ الذكر الذي أنزل عليه هو أضغاث أحلام و أنه يفتري و يكذب ....إلخ،[204] وهو ما جاء من وصف حالهم وبيان موقفهم منه صلى الله عليه وسلم بداية في السورة الكريمة في قوله تعالى:"﴿**اقتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُم وَهُم في غَفلَةٍ مُعرِضونَ ﴿١﴾ ما يَأتيهِم مِن ذِكرٍ مِن رَبِّهِم مُحدَثٍ إِلّا استَمَعوهُ وَهُم يَلعَبونَ ﴿٢﴾ لاهِيَةً قُلوبُهُم وَأَسَرُّوا النَّجوَى الَّذينَ ظَلَموا هَل هذا إِلّا بَشَرٌ مِثلُكُم أَفَتَأتونَ السِّحرَ وَأَنتُم تُبصِرونَ ﴿٣﴾**"، جاء الرّد عليهم من الرسول صل الله عليه وسلم عندما سمع أحاديثهم و لحقه ما كانوا يدعونه عليه و يحرّضون أهله عليه؛فرفع دعاءه إلى الله طالبا منه أن يثبته وأن يقوّيه أي عونه و إغاثته منهم، والذي أدمى قلب الرسول صل الله عليه وسلم. وأنّ أهله حاقدين عليه يرتبون له الدسائس غير مكترثين بالقرابة و صلة الرحم التي بينهم فرفع الدعاء قائلا: ﴿٣﴾ **قالَ رَبّي يَعلَمُ القَولَ فِي السَّماءِ وَالأَرضِ وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ ﴿٤﴾** وهي تحمل وجهين هما:الوجه الأول هو أن الخطاب مباشر لو أخذناه

[204] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، م س، ج17، ص 114.

على أنه جواب و ردّ على كفار قريش لأنّ الآية التي قبله هي استفهام؛ أي سؤال كفار قريش في مجلسهم لأهل مكة بعد أن أجمعوا أمرهم بالكيد للرسول صل الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿٢﴾ ... **هذا إِلّا بَشَرٌ مِثلُكُم أَفَتَأتونَ السِّحرَ وَأَنتُم تُبصِرونَ** ﴿٣﴾كذلك أن كفار قريش عند سماع الصحابة يتلون القرآن لا يلقون بالا لهم وقد يتجرؤوا على رشق الصحابة ورفع أصواتهم بالصياح و التقليل من قيمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك كما جاء في وصف حالهم: ﴿١﴾ **ما يَأتيهِم مِن ذِكرٍ مِن رَبِّهِم مُحدَثٍ إِلَّا استَمَعوهُ وَهُم يَلعَبونَ** ﴿٢﴾ كيف هم:لاعبين مستهزئين ثم أعقب بذكر أنهم ﴿**لاهية قلوبهم**﴾. أي مشغولين بمغريات الـــدنيا و مفاتنها و ناسين ذكر الله ويوم الحساب ﴿**اقترب للناس حسابهم**﴾ أي دنا و أصبح على مقربة كبيرة بين الزمن الأول، وهو زمنية نزول الآية، و الزمن الثاني وهو زمن نهاية الكون ز1- ز2 مسافة قريبة؛ هنا إنّها تعرب عن قرب الأجل ودنوه و الإنسان مشغول عن طاعة الله و رسوله، وهو" الموت ".كما أنه تعظيم ليوم الحساب وتهديد و وعيد لكفار قريش و الكفار، في كلّ زمان فهو عقاب لعدم إسلامهم و إيمانهم بالله.

إنّ جوهر الرسالة تصحيح العقيدة الخاطئة الموجودة في النفس الضعيفة الغافلة عن ذكر الله.[205]

أما الوجه الثاني الذي تشكل منه خطاب الآية هو الدعاء، لأن الرسول قد ابتلي في أهله و قومه بمعاداتهم ونبذهم وكرههم له وعدم اتّباعه والصدّ عن الرسالة، فكان جهد بلاء، وضيق صدر، لا يتسع إلا إذا رفع يديه مفوضا أمره إلى الله عز و جل طالبا العون و القوة و النجاة منهم.

فكان أن ورد بملفوظ النبي صلى الله عليه وسلم، "قال" فهنا الفعل يحدد زمن الخطاب و سيرورته في أنه أفاد وقوع الفعل في الزمن الماضي لحظة توافق حيثيات الخطاب من سياق وهو يحدد سردية الخطاب في لحظة تاريخية معينة فيحيل إلى القصة؛ أي إلى معالم سياق خطاب الدُّعاء .[206]

إذن **فعل القول**:وهو الملفوظ الذي ينهض بفعل صوتي و تركيبي و دلالي وهو نص الآية الكريمة : ﴿**قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾.

[205] ينظر: إسماعيل ابن عمر ابن كثير الدمشقي، م س، ص 375.

[206] ينظر : طاهر ابن عاشور، م س، ص 115.

فالجملة الأولى هي جملة:{قال} ثم توقف في القراءة أو الترتيل لننتقل إلى دلالة أخرى فهو الفاصل الرئيس بين الدلالة الأولى و الثانية، من خلال أسلوب القراءة وكيفية الأداء، وفي قراءة أخرى ورد بصيغة {قُلْ}أي أمر بالدعاء من الله عز وجل يعلم فيه نبيه الكريم أسلوب الدعاء و الإنابة إلى الله عز وجل.

إذن المخطط سيكشف تضافر و تداخل المستويات لخلق الفعل الدعائي بنجاح و هو كما يلي:

الفعل الكلامي الدُّعائي للنبي محمد صل الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾آ:04.

ملفوظ01 مباشر

فعل القول:01

في قوله تعالى:{قال.}+سَكْت(وقف) يحيل إلى قال:...ملفوظ متكون من فعل+ جملة اسمية = قال+ ربي يعلم.....الخ

فعل +اسم +.....الخ

زمن(1-) +اسم .....الخ.

إحالة على زمن السرد أي القصة {قال}في الماضي

فعل القضوي: (المحتوى القضوي) جواب عن سؤال و استفهام كفار قريش غير مباشر وهو إخبار و سرد للواقعة و الحادثة عند نقل نقاشاتهم أسئلتهم وأحاديثهم الى رسول الله

ملفوظ02غيرمباشر

فعل القول:02في قوله تعالى:{ربي يعلم القول في السّماء و الأرض وهو السميع العليم}كل الملفوظ ينهض بكل مستوياته ليشكل فعل دعائي: الجملة كاملة :ربي +يعلم+ القول +في السماء+ و+ الأرض + و+ هو السميع العليم.

تقديم لفظ الربوبية على الفعل للدلالة على الخضوع و التذلل .

يعلم :له العلم و الإطلاع على سرّكم و علانيتكم يحيل إلى ما سبق من قوله تعالى في الآية :﴿واسرّوا النجوى الذين ظلموا﴾يحيل على الفضاء الداخلي و الخارجي وهي نوايا القلب والفضاء الخارجي وهو مجلسهم حيث تقام أحاديثهم و نقاشاتهم .

في السماء و الأرض= بمعنى أن أخباركم التي تقولونها و أفعالكم ومكركم الذي تديرونه.

فعل الإنجاز: إخبار عن موقف كفار قريش من صدق نبوته، والدعوة إلى التوحيد، فموضوع إستفهامه و الحوار والنقاش الذي جرى بين أهل مكة

فعل الإنجاز: المحتوى القضوي: إنشائي /طلبي: دعاء وهو رفع الخطاب من مقام سفلي إلى مقام علوي :من الرسول صل الله عليه وسلم إلى الله تعالى؛ وهو مناجاة أي طلب النجاة و طلب العون من الله. فالمحتوى القضوي يبرز مدى جهد البلاء و قهر الرسول صل الله عليه وسلم من كفار قريش وهي الصيغة التي لفظها بسانه ومفادها أن الله كافيني و حاميني من مكركم .وهو العون و الملجأ .

فعل التأثير: يتمثل في الغرض من القول وهو تقرير وقوع الحادثة أو القصة في زمن السرد و إثبات إعراض الكفار و موقف المنافي لطاعة الله و رسوله.

و ما تقومون به في الأرض يصعد إلى السماء إلى الله عز وجل وهو رفع القول و تفويض أمره لله كله.

وهو السميع العليم = إحالة على ما سبق (واو) ثم ربط اللاحق بما سبق و إثباته وهو(هو) للدلالة على (ربي) أي الله عز وجل /السميع العليم: اسمين من أسماء الله الحسنى تثبيتا لسماع قولهم والعلم مسبقا به .

فعل التأثير: يكون في الاستجابة من الله تعالى إلى رسوله الكريم فهو عونه وسنده وقوته و ذلك في قوله تعالى:{ ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء و أهلكنا المسرفين}آ:9.

في قوله:{فأنجيناهم ومن نشاء...} فتفيد توالي و تعاقب الاستجابة بسرعة .

وهنا نشير إلى أنّ ملفوظ الدعاء أحال إلى ضرورة مراجعة مقام و سياق التخاطب والحوار وكيفية التفاعل مع أطراف عملية التواصل فأفضى إلى ضرورة التعرف على آداب الحوار و الحجاج في مثل هذه المواقف وتصحيحها فهو فعل كلامي له سرد في الزمن الماضي و سيرورة في الحاضر لحظة وقوعه ليحيلنا إلى القصة و الحادثة كما وقعت آنيا تزامنيا

و تاريخ تطورها ليصل إلى المستقبل و الخطاب القرآني خطاب مؤهل لجميع الأزمنة و الأمكنة و مختلف أصناف و أنماط المتخاطبين و المخاطبين ...الخ

فهذا العدول الذي صاحب الملفوظ هو ما يصطلح عليه خروج الكلام عن مقتضى الظاهر أي قول شيء ما و الإرادة منه معنى آخر، كما هو عند "اوستين" فعل انجازي و تأثيري بامتياز تخدمه قوانين الحوارية و التواصل بين فاعلي الخطاب، وهنا تحقق في قيام فعل الدعاء من حيث المناسبة و الملاءمة و الكم و الكيف تحققا واضحا لا ريب فيه نلاحظ، حذف أداة النداء(يا) وهو حذف جائز هنا نجده يوافق مقام عرض الدعاء فياء النداء تستعمل لنداء البعيد والله عز و جل قريب من الرسول صل الله عليه وسلم زمانا و مكانا، و هو الإيمان الجازم بوحدانيته إخلاصا وتذللا وخشوعا ومحله القلب.

سياق فعل الدعاء:قصة النبي إبراهيم عليه السلام و حجاجه مع قومه في الدعوة.

قال تعالى: " **﴿٥٠﴾ وَلَقَد آتَينا إِبراهيمَ رُشدَهُ مِن قَبلُ وَكُنّا بِهِ عالِمينَ ﴿٥١﴾ إِذ قالَ لِأَبيهِ وَقَومِهِ ما هذِهِ التَّماثيلُ الَّتي أَنتُم لَها عاكِفونَ ﴿٥٢﴾ قالوا وَجَدنا آباءَنا لَها عابِدينَ ﴿٥٣﴾ قالَ لَقَد كُنتُم أَنتُم وَآباؤُكُم في ضَلالٍ مُبينٍ ﴿٥٤﴾ قالوا أَجِئتَنا بِالحَقِّ أَم أَنتَ مِنَ اللّاعِبينَ ﴿٥٥﴾ قالَ بَل رَبُّكُم رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ الَّذي فَطَرَهُنَّ وَأَنا عَلى ذلِكُم مِنَ الشّاهِدينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكيدَنَّ أَصنامَكُم بَعدَ أَن تُوَلّوا مُدبِرينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُم جُذاذًا إِلّا كَبيرًا لَهُم لَعَلَّهُم إِلَيهِ يَرجِعونَ ﴿٥٨﴾ قالوا مَن فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمينَ ﴿٥٩﴾ قالوا سَمِعنا فَتًى يَذكُرُهُم يُقالُ لَهُ إِبراهيمُ ﴿٦٠﴾ قالوا فَأتوا بِهِ عَلى أَعيُنِ النّاسِ لَعَلَّهُم يَشهَدونَ ﴿٦١﴾ قالوا أَأَنتَ فَعَلتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبراهيمُ ﴿٦٢﴾ قالَ بَل فَعَلَهُ كَبيرُهُم هذا فَاسأَلوهُم إِن كانوا يَنطِقونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعوا إِلى أَنفُسِهِم فَقالوا إِنَّكُم أَنتُمُ الظّالِمونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسوا عَلى رُءوسِهِم لَقَد عَلِمتَ ما هؤُلاءِ يَنطِقونَ ﴿٦٥﴾ قالَ أَفَتَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَنفَعُكُم شَيئًا وَلا يَضُرُّكُم ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَكُم وَلِما تَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ أَفَلا تَعقِلونَ ﴿٦٧﴾ قالوا حَرِّقوهُ وَانصُروا آلِهَتَكُم إِن كُنتُم فاعِلينَ ﴿٦٨﴾ قُلنا يا نارُ كوني بَردًا وَسَلامًا عَلى إِبراهيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرادوا بِهِ كَيدًا فَجَعَلناهُمُ الأَخسَرينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيناهُ وَلوطًا إِلَى الأَرضِ الَّتي بارَكنا فيها لِلعالَمينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ نافِلَةً وَكُلًّا جَعَلنا صالِحينَ ﴿٧٢﴾**"صدق الله العظيم.

إن القرآن خطاب، وكونه خطابا يقتضي أنّه إقناع وتأثير؛[207]لأن الخطاب كما هو عند (بنفنيست) «كل قول يفترض متكلما وسامعا مع توافر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع».[208]

وقد اشتمل الخطاب القرآني على جميع أنواع الخطاب وتوسل بألوان من الحجج والبراهين،بعضها يوافق طبيعة الذهن العربي بوضوح مقدماته ونتائجه، وبعضها جاء على ما عرف بعد عند المتكلمين من اعتماد المحاجة المستندة إلى الأدلة الدقيقة المعقدة، أي اعتماد حركية فكرية يتجاوز فيها الفكر ذاته ليتعامل مع من يعارضه أو يناقضه.

و قبل تحليل الفعل الكلامي الخاص و بيان خصائصه، لا يسعنا القول إلا أن قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وحجاجه مع قومه المعرضين جاء مفيدا لهذا المقام لتأنس وحشة الرسول ص و لتثبت فؤاده، ولتؤكد على صدق بشريته و نبوته و صحة وسلامة موقف الرسول صل الله عليه وسلم منه كما أنه تبشير بالنصر و الفرج. بالإضافة إلى أنّ

[207] محمد تركي، بلاغة الإقناع في الخطاب السياسي، الخطابة السياسية في التراث نموذجا، عن أعمال ندوة الخطاب السياسي، 22 نوفمبر 2013، المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات، قفصة، تونس، ص 81.

[208] ينظر: جان سيرفوني، الملفوظية دراسة، تر : قاسم مقداد، منشورات الإتحاد الكتاب العرب، ت ط 1998، د ط، ص 114.

الخطاب جاء بصيغة مباشرة صريحة؛ وتبنى إستراتيجية التخاطب في هذا المقام على مجموعة من الحجج كملف دفاعي عن شخص الرسول صل الله عليه وسلم في مواجهة كفار قريش.[209]

وذلك في قوله تعالى: ﴿٢٤﴾ **وَما أَرسَلنا مِن قَبلِكَ مِن رَسولٍ إِلّا نوحي إِلَيهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا أَنا فَاعبُدونِ** ﴿٢٥﴾.

قوله عز وجل: ﴿٤٠﴾ **وَلَقَدِ استُهزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبلِكَ فَحاقَ بِالَّذينَ سَخِروا مِنهُم ما كانوا بِهِ يَستَهزِئونَ** ﴿٤١﴾.

قوله تعالى: ﴿٤٤﴾ **قُل إِنَّما أُنذِرُكُم بِالوَحيِ وَلا يَسمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما يُنذَرونَ** ﴿٤٥﴾.

قوله عز وجل: ﴿٤٩﴾ **وَهذا ذِكرٌ مُبارَكٌ أَنزَلناهُ أَفَأَنتُم لَهُ مُنكِرونَ** ﴿٥٠﴾.

نجد في الآيات الكريمة أن الله عز وجل عرض قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام و حجاجه لقومه وإعراضهم عنه بالمقابل اشتد ظلم و عداوة أهل مكة للرسول صل الله عليه وسلم و عدم إيمانهم به إلى جانب انضمام النصارى و اليهود إليهم فكان أن ساق القصة ليفند كذبهم و يزهق باطلهم لإعلاء كلمة الحق .

فقوله تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾فدلالة الآية الكريمة تفيد صدق نبوته وهو بشر مثل الرسل و الأنبياء الذين سبقوا وأن جميعهم بعثوا و أرسلوا من أجل إثبات التوحيد و إقامة الدين و إعلاء الحق و زهق الباطل.[210]

لذا نجد أن قصة إبراهيم عليه السلام و إن طالت فهي تتفق في مضمونها بما جاء في قصة رسولنا الكريم فيما بين محمد صل الله عليه وسلم و بين قومه كذلك في خلافهم على نبوته و صدق رسالته و إعراضهم عن الذكر بأنه شعر أو قول مفترى...إلخ.

وقد قدّم الخطاب القرآني نفسه على أنه تغيير لوضع،وحل لمعضلة ونبذ للعنف واستجابة لسؤال المتلقي، وكل هذه الوجوه ذات علاقة بالحجاج،فهو خطاب إصلاح يرمي إلى تغيير وضع ذهني قائم يترتب عليه ضرورة تغيير وضع مادي؛فالخطاب القرآني هو خطاب إقناعي يهدف إلى التأثير على اعتقادات ومواقف وسلوك المخاطبين،والسير بهم نحوه عدوا،مشيا،أو حتى حبوا.[211]

[209] ينظر: بلال خليل ياسين، منهجيات الإصلاح و التغيير في سورتي الأنبياء و الحج، دراسة موضوعية، رسالة ماجيستير في التفسير و علوم القرآن، ص 48.
[210] ينظر : محمد الطاهر ابن عاشور، م س، ص 117.
[211] ينظر : عبد الحليم بن عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم، ص 40.

مما تقدم من عرض و تحليل للآيات الكريمة لا يسعنا في هذا المقام إلا الوقوف على جملة الإصلاحات والتغييرات التي ترتبت نتائجها من الفعل الكلامي الحجاجي في التأثير والإقناع بما يتوجب إرساء قواعد وقوانين الإصلاح و التغيير على مستوى الذهنية والعقلية و السلوك من قبل رسول الله اتجاه أهل مكة و الأمة كافة وهي كالتالي:

1. **تحديد هدف الحوار**:وهو إقامة الحجة الواضحة على أصحاب الفساد في الاعتقاد بالأقوال و الأفعال، لتحقيق الخير والصلاح و الأمن و السلام للناس جميعا عن طريق الاستدلال النقلي العقلي المنطقي؛على هذا الأساس حاور إبراهيم عليه السلام قومه بعد أن أنكر عليهم الفساد الاعتقادي الذي جعلهم يعبدون أصناما ينحتونها بأيديهم كما في قوله تعالى : ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**﴾ **الأنبياء**:52.

بدأ بالتفكير بآلية فعالة يتمكن من خلالها أن يبين للناس مدى الانحطاط الفكري الذي انغمسوا فيه وهو العمل على التسخيف و الانتقاص من شأن الآلهة.إلى أن اهتدى إلى تحطيم آلهتهم في قوله تعالى: ﴿**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ** ﴾ الأنبياء:57.

فنجح في خطته بعد أن شاهدوا أصنامهم محطمة،غضبوا و تساءلوا من الذي تجرّأ و فعل ذلك،فسرعان ما تذكروا إبراهيم عليه السلام فقالوا: ﴿**سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم**﴾الأنبياء:60.

فكان أن بدأ الحوار الذي حدد مكانه و زمانه إبراهيم عليه السلام مستحضرا الوسائل والآليات الاقناعية ليستخدمها و يوظفها في إبطال آلهتهم. فقالوا: ﴿**قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ** ﴾آ62.

فكان جواب إبراهيم استخفافا بعقولهم؛﴿**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ** ﴾الأنبياء:63.

هنا تحقق المغزى من الحوار و الحجاج، وهو تغيير اتجاه القول إلى إصلاح بنية التفكير العقلي عند قومه في إقامة الحجة عليهم بحيث رجعوا إلى أنفسهم مطئطئين رؤوسهم و تثبيط قدرتهم على الرد وإخراس ألسنتهم.[212]فيقول تعالى: ﴿**٦٣**﴾ **فَرَجَعوا إِلى أَنفُسِهِم فَقالوا إِنَّكُم أَنتُمُ الظّالِمونَ** ﴿**٦٤**﴾ **ثُمَّ نُكِسوا عَلى رُءوسِهِم لَقَد عَلِمتَ ما هؤُلاءِ يَنطِقونَ** ﴿**٦٥**﴾.

2. **السلامة من التناقض**: يعني أنه يجب على المتكلم أو المتحاور أن لا يكون متناقضا في كلامه، وفي عرض أدلته،و هذا ما كان واضحا على لسان إبراهيم عليه السلام في صدق نبوته في قوله تعالى:"﴿**٥٥**﴾ **قالَ بَل رَبُّكُم رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ الَّذي فَطَرَهُنَّ وَأَنا عَلى ذلِكُم مِنَ الشّاهِدينَ** ﴿**٥٦**﴾". بعدها انتقل إلى الوسيلة العقلية التي استخدمها لمساعدته في بناء حجاجه لتحقيق هدف الحوار ثم ختم كلامه بنفس ما بدأ به في قوله تعالى: ﴿**٦٥**﴾ **قالَ**

[212] ينظر: بلال خليل ياسين، م س، ص 49.

أَفَتَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَنفَعُكُم شَيئًا وَلا يَضُرُّكُم ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَكُم وَلِما تَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ أَفَلا تَعقِلونَ ﴿٦٧﴾.

3. **تنوع الأدلة عن الدعوة المقامة:** أن لا يكون الدليل المستخدم للإقناع في الحوار نفسه هو عين الدعوى، مثلا أن يوظف المحاور نفس الفكرة الذي يتبناها في إقناع الطرف الآخر ،وذلك من خلال استخدام ألفاظ أكثر بيانا و فصاحة تبهر سامعها فتظهر كدليل مقنع للعامة من الناس.

فاعتمد قوم إبراهيم عليه في رد دعوته لهم بأن قالوا: ﴿**وجدنا آبائنا لها عابدين**﴾آ:53.

وأرادوا أن يوهموا السائل أنهم أوردوا دليلا مقنعا لسؤاله من خلال إيراد عراقة هذه العبادة الكاذبة، و أن جذورها منذ عهد الآباء القدماء،وفي المقابل حوار الحق الذي جرى على لسان إبراهيم عليه السلام، لأنه جاء بدليل مختلف تماما عن الفكرة التي يدعو إليها،لكنه يثبت بقوة وصحة الدليل و البرهان فاستخدمه ضدهم في الاعتراف بأن آلهتهم عاجزة عن الدفاع عن نفسها، و أنها عاجزة عن الرد عن الكلام.

4. **التجرد و قصد الحق من الحجاج والبرهان:** في البعد عن التصعب للهوى، بعد أن بلغ بإبراهيم التذمر من عدم إعراضهم عن عبادة الأصنام ،فدبّر مكيدة تكسير الأصنام ليستدرجهم لحوار تشهده كل المدينة لإثبات حقارة الآلهة من غضب عليهم مرة ثانية : ﴿**أفّ لكم و ما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون**﴾ آ:67.فقد بلغ شدة الغضب عليهم من خلال إعراضهم و عنادهم و تعنتهم.

فكان أن أرادوا به كيدا لتنمرهم عليه في قوله تعالى: ﴿**فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون**﴾الأنبياء:61.

فلما أثبت لهم صحة دعوته أصروا على الضلال و استكبروا عليه فقالوا: ﴿**حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين**﴾الأنبياء:.68[213]

5. أهلية المتحاور للحوار:لا يستطيع أي أحد أن يتصدى للدفاع عن الحق خاصة إذا كان الخصم قويا في الدفاع عن هواه؛ فلابد أن يكون المتصدي للباطل على درجة عالية من العلم و الفهم و الحكمة و الأدب حتى يستطيع أن يحقق التغيير لإصلاح[214]وقد كان هذا في قوله تعالى: ﴿**و لقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين**﴾الأنبياء:51.

[213] ينظر: بلال خليل ياسين، م س، ص 50.

[214] ينظر : م ن، ص 51.

ومن هذا العرض و التحليل للآيات الكريمة، والقصة التي نعدها فعلا كلاميا حجاجيا بامتياز، رافق الفعل الذي قبله و الذي يليه من خلال تناسق و انسجام تام بين العناصر الحوارية من متكلم و مخاطب ورسالة وآليات بناء الخطاب في تفرد و بيان و بلاغة، تخرس ألسن المعارضين و المستكبرين عن عبادته.

الفعل الكلامي الدُّعائي لدى سيدنا نوح عليه السلام:

ننتقل إلى دراسة الفعل الكلامي الدعائي الثاني في قوله تعالى: ﴿٧٥﴾ **وَنوحًا إِذ نادى مِن قَبلُ فَاستَجَبنا لَهُ فَنَجَّيناهُ وَأَهلَهُ مِنَ الكَربِ العَظيمِ** ﴿٧٦﴾ **وَنَصَرناهُ مِنَ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا إِنَّهُم كانوا قَومَ سَوءٍ فَأَغرَقناهُم أَجمَعينَ** ﴿٧٧﴾.آ77.

في تحليلنا للفعل الكلامي الدعائي نرجع إلى ما قمنا به سابقا في إبراز خطاطة دورة التواصل لكشف اتجاه الخطاب وعناصره المقامية و السياقية :

المتكلم :نوح عليه السلام.

المبلغ له:قومه العاصون المعارضون لدين الله.

السنن"الملفوظ":أي مجموعة القواعد النحوية والدلالية والتداولية.

الرسالة: موضوع الدعاء:طلب النجاة و الفرج من الله تعالى.استجابة الدعاء من المدعو له هو الله عز و جل.

قناة التبليغ:القرآن الكتاب /الوحي في قوله:{ونوحا}

يأخذ مسار الخطاب ثلاثة اتجاهات: اتجاه علوي تنازلي أمر من الله بالدعوة إلى قوم نوح عليه السلام، ثم تبليغ نوح عليه السلام قومه بالتوحيد و الدعوة إلى عبادة الله هنا تكون قصة نوح في حجاجه مع قومه و قد سردت في مقامات أخرى سابقة من القرآن وهي شبيهة بقصة حجاج سيدنا إبراهيم مع قومه، أما الاتجاه الأخير فهو رفع الخطاب من أدنى إلى أعلى طلب من الله العون و الفرج و النجاة بعد أن بلغ من نوح عليه السلام الغضب و القنوط من توحيدهم.[215]

[215] ينظر: محمد طاهر بن عاشور، م س، ص 117.

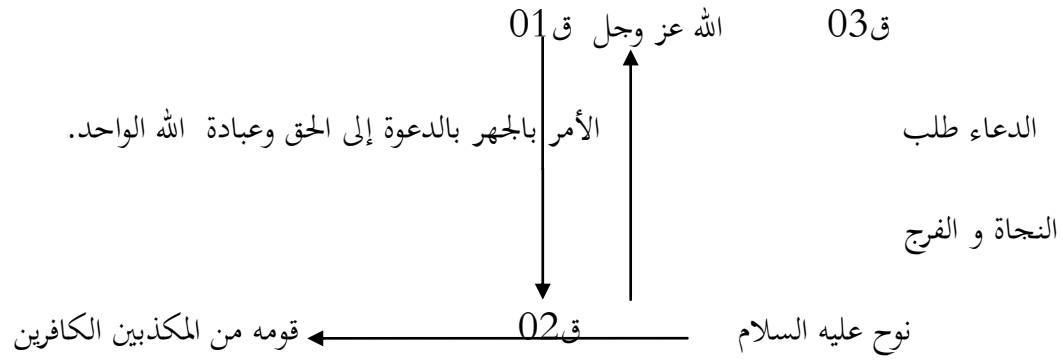

قصة نوح و جداله مع قومه

ننتقل إلى تحليل الفعل الكلامي الدُّعائي حسب تقسيم "سيرل" فيما يلي:

فعل القول:الملفوظ الدعائي هنا نجده محذوفا إلا أن الفعل الإحالي يدل على وجوده في صيغة الملفوظ في زمن السرد في مقام عرضه في قوله تعالى:"﴿٧٥﴾ **وَنوحًا إِذ نادى مِن قَبلُ فَاستَجَبنا لَهُ فَنَجَّيناهُ وَأَهلَهُ مِنَ الكَربِ العَظيمِ** ﴿٧٦﴾".تحديدا في عبارة {من قبل}، فشبه الجملة تدل على ظرف زمان في الماضي باقتران بالفعل{نادى } فعل ماض وقع وتحقق مع مصاحبته "إذ"الظرفية .والتي تدل على زمان و مكان تحقق الفعل الدعائي في زمن السرد، كما تفيد أن فعل الشرط، تحقق وهو النداء، بمعنى الطلب و الدعاء، إلا أن الخطاب الغائي تحقق قبليا وفعل الاستجابة، أي جواب الشرط تحقق بعديا أي في زمن المستقبل.

ابتدأ الآية الكريمة باسم علم تقدم على فعله للدلالة على تخصيص وقوع الفعل و كما يقر بفاعله مقدما ليؤكد على وقوع الفعل و قيام فاعل نبه على وجه التقييد في مقام معين تحديدا.

ولذا لم يكن فعل الدعاء فعلا مباشرا، بل ورد ضمنيا بإحالة سابقة و لاحقة دلت عليه من خلال إستراتيجية تخاطبيه منعت من وروده، نظرا لتفادي تكراره،بالإضافة إلى إبراز وجه بيانه و حضور هيكل البناء العام للسورة و حجاجيه القصة القرآنية خصوصا ،وكان الفعل الدعائي غير مباشر ضمنيا غير صريح.[216]

الفعل الإنجاز: هنا نلاحظ أن الفعل الإنجازي تحقق في قوله تعالى:{ فاستجبنا له}

الفاء أفادت التعقيب و الموالاة بعد رفع الدعاء مباشرة استجبنا وهو فعل جواب شرط اقتضى من قبل فعل شرط و هو الدعاء في قوله تعالى:{إذ نادى من قبل} ⟵ {فاستجبنا له}+{فنجيناه}=هناك فعل إنجازي: هو استجابة

[216] ينظر: م ن، ص 118.

الدعاء بحصول قدرة إلاهية خارقة لنظام الطبيعة وهي قصة هلاك قوم نوح لسخط الله عليهم وعدم توحيدهم الله و كذا تكذيب نبوة نوح عليه السلام.

الفعل التأثيري: في قوله تعالى: ﴿٧٥﴾ **وَنوحًا إِذ نادى مِن قَبلُ فَاستَجَبنا لَهُ فَنَجَّيناهُ وَأَهلَهُ مِنَ الكَربِ العَظيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرناهُ مِنَ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا إِنَّهُم كانوا قَومَ سَوءٍ فَأَغرَقناهُم أَجمَعينَ ﴿٧٧﴾**

نجد تعاقب الاستجابة+النجاة+النصر+الغرق= دعاء نوح عليه السلام على قومه، كل فعل كلامي يحمل قوة فعل قضوي حجاجي، يحيل على دلالات إيحائية في أنه دعا الله وأناب إليه خاشعا متذللا له و قانطا يائسا من قومه لطول دعوتهم و إعراضهم.

إذن تحقق الفعل التأثيري في الوجود ومطابقا النسبة الخارجية تماما مثل ما كان في قصة نوح وقومه، وهي حجاجية الفعل الكلامي و كذا شدة تحقق القوة المتضمنة في فعل الإنجاز.[217]

[217] ينظر: ابن كثير، ج 17، ص 382.

الفعل الكلامي الدعائي:دعاء سيدنا أيوب عليه السلام.

قوله تعالى: "﴿٨٢﴾ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾**".نجد في الفعل الكلامي الدعائي ثلاثة أفعال كما سبق تحليله وهي كالتالي:

فعل القول:هو ملفوظ الدعاء كما ورد نصه في الآيتين في السورة يجتمع تحته ثلاث مستويات هي المستوى الصوتي والمستوى النحوي الاسنادي و المستوى الدلالي و بتظافرها ومع تعاون المقام نكشف المعنى المراد منه في استعماله تداوليا.

وقد ابتدأ الملفوظ الدعائي باسم علم، كما ورد في دعاء نوح عليه السلام ﴿**ونوحا إذ نادى من قبل**﴾ هنا ﴿**و ايّوب إذ نادى ربّه أنّي مسّني الضرّ و أنت أرحم الرّاحمين**﴾

اسم علم+ أداة شرطية+ فعل ماض+ لفظ الربوبية(الهاء + أداة توكيد) +ياء المتكلم+فعل ماضي+ضمير المخاطب+صفة +صفة.

و نجد أن الدعاء ورد بجملة إسمية على جملة فعلية تفيد معنى الثبات و السكون.

والمحمول هو النداء، أي الدعاء، أمّا الموضوع فهو سيدنا أيّوب عليه السلام،أسندت بعضها إلى بعض لتحقيق دلالة محددة، مراعيا في ذلك قواعد اللغة وخصائصها التركيبية في دلالة النداء في قوله تعالى: ﴿ **و ايّوب إذ نادى** ﴾بمعنى دعاء سيدنا أيوب عليه السلام شاكيا ضعفه ومرضه و ضرّه لربّه عز و جل، مخاطبا الله تعالى بالرحمة باسمين من أسمائه الحسنى، و صفة ملازمة لذاته:أرحم الراحمين، بصيغة اسم التفضيل و لاسم الفاعل اجتمعتا لتدلا على قدرة الله و قوته.

فعل الإنجاز:فعل الدعاء بالتحديد هو ﴿**أنّي مسّني الضرّ و أنت أرحم الرّاحمين**﴾ بصيغته اللفظية.

وهنا يتحقق فعل الدعاء بصيغته النصية، كما وقع لحظة التلفظ به، وهو خطاب مباشر ورد مباشرة و ظاهرا، و ليس مضمرا تشير إليه قرائن إحالية، كما ورد سابقا في دعاء سيدنا نوح عليه السلام.[218]

[218] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، م س، ص 119.

إن خطاب الدعاء في الآية الكريمة يدل على أن سيدنا أيوب عليه السلام : ﴿**و ايّوب إذ نادى ربّه انّي مسني الضرّ و ارحم الرّاحمين** ﴾ إذن خطاب رفع من أيوب عليه السلام إلى الله عز و جل تصاعديا.

نوضح من خلال شرح لمسار الخطاب:

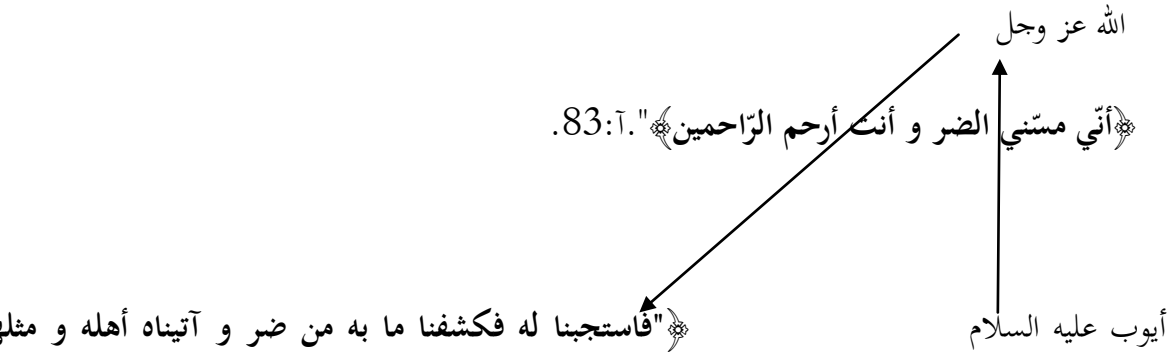

مهَّد بقوله تعالى :{ إذ نادى }، أي أنّ أيوب عليه السلام رفع أكفّه للدعاء منذ زمن مضى وتبين أن قوة توكله على الله و درجة إيمانه بالله و عزيمته كانت أقوى من أن يرفع في كل مرة إلى أن بلغ به العناء به و بأهله،فقرر أن يدعو الله وأن يطلب منه أن يتلطف بحاله، فجاء بملفوظ فيه ما فيه من التأدب و اللطف في الدعاء، مخاطبا الله مظهرا خضوعه و إنابته إليه في مقام يشير إلى حالته النفسية و حالته الجسمية التي لن يستطيع أن يتصورها لا قلب و لا عقل بشر.[219]

فالمقام يستدعي أن يكون الدعاء باللفظ الصريح فعلا مباشرا في قوله:{مسنيّ الضرّ}بمعنى وصل درجة المرض و الداء بأن ظهرت أعراضه داخليا و خارجيا، وحتى على من حوله من أهله. فالضرّ هنا هو المرض و الداء و سوء الحال و الحزن الذي أسر قلب النبيء أيوب عليه السلام و أهله، أي من زوجته و أولاده، و المعروف أن في القصة سردا لفقدان أولاده و ماله وسلامة صحته، إلا زوجته التي تعتني به، فكان أن نبذا من قومه بعيدا إلى الجبل خوفا من داءه أن ينتشر و يلحق الأذى بأهل المدينة، إلا أن في فعل الإنجاز لم يحدث أن ذكر نوع البلاء و لا كيفيته. و إنّما كان خطابا موجها للنبي صل الله عليه وسلم يواسي به وحشته من ظلم أهله و قومه له بأن سرد عليه قصص الأنبياء. فهو أيقونة الصبر النبي أيوب عليه السلام.الذي لم يصل أحد إلى درجته في شدة البلاء الذي ابتلي به، و في الصبر الذي تحمله وهو الذي لم يناد الله تعالى إلا بعد أن بلغ درجة كبيرة من الضرّ ومن حكمته عليه السلام لم يكن في فعل الدعاء تحديد طلبه، و إنما ترك لله الأمر و القضاء في حاله، فكأنما قال بلسان الحال :"يارب إنّ علمك بحالي يغني عن سؤالي".

[219] ينظر: محمد طاهر بن عاشور، م س، ص 120.

الفعل التأثيري:جاء في قوله تعالى: ﴿**٨٣**﴾ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ** ﴿**٨٤**﴾.إذن نجد أنّ الفعل التأثيري تحقق في فعل الدعاء بعد أن حمل فعلا قضويا في خطابه محملا بدلالات،تقاس بقوة و شدّة محتوى القضوي المتضمن في القول.

و به تحقق الفعل التأثيري في خطاب غائي وقع حقيقة له نسبة خارجية تحققت و طابقت ملفوظه الانجازي في أفعال توالت و تعاقبت دفعة واحدة:استجبنا +كشفنا+آتينا=ذكرى للعابدين. أيوب / أهله

فنجد أن القرائن اللغوية في الضمير "نحن" تشير إلى ذات الله عز و جل في قدرته على تغيير و إصلاح حال الأنبياء و إدخال الابتهاج و السرور إلى قلوبهم .

الفعل الكلامي الدُّعائي: دعاء سيدنا يونس عليه السلام.

قال الله تعالى:"﴿٨٦﴾ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾**".

فعل القول:الملفوظ تحقق نصيا و شفويا ، بمتوالية من الكلمات أسندت إلى بعضها البعض، لتتم فائدة فعل كلامي يصب في قالب الخطاب الدعائي الذي أخذ وجهين من الخطاب، الأول إ خبار و سرد من الله عز و جل إلى الرسول صل الله عليه و سلم :الاتجاه الإخباري السردي:" ﴿٨٦﴾ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ** ...﴿٨٧﴾"هذه العبارة في الآية الكريمة تحيلنا إلى التعرف على المتكلم صاحب الحوت فيقوله {ذا النون} أي تفيد "ذا" ورد في عدة تفاسير للقرآن ، أو إسمه عند أهل الكتاب في روايات أخرى مماثلة تحكى قصته في أهل"نينوى"؛ اسم إشارة يحيل على شخص أيوب الذي يكنى " ذا النون" الحوت، كما يحيل هنا على زمن السرد وهو زمن نزول الآية على الرسول صل الله عليه و سلم ، و الذي يبين ذلك قوله" إذ ذهب "في زمن الماضي..."فنادى"أفعال ماضية تفيد تحقق الفعل في لحظة وقوعه في زمن الماضي ، يقرر وقوع الملفوظ زمنيا ومكانيا في زمن سرد ماض ، يحققه دلالة الفعل الاسنادية النحوية فهو فعل شرط {فنادى}؛ أي تحقق فعل الدعاء في لحظة زمنية سردية من قبل متكلم معين ، و في مكان معين ولمخاطب خاص متفرّد.[220]

أما الوجه الثاني فهو فعل الدعاء بملفوظه الصريح بفعله الكلامي المباشر في قوله تعالى: ﴿**فنادى في الظلمات أن لا اله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين**﴾.

مجموعة متوالية الكلمات تصب في قالب خطاب نداء يعدل إلى مسار آخر ليبني مسارا جديدا يكون الدعاء فيه هو قصدية المتكلم من هذا المقام الذي يبرز اتجاه سيرورة الخطاب.

فعل الإنجاز:يتحقق فعل الإنجاز من خلال خطاب السؤال والدعاء خاصة في مقام معين من متكلم خاص إلى مخاطب متفرد بذاته و لذاته.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار، عمن حدثه ، عن عبد الله بن رافع–مولى أم سلمة – سمعت أبا هريرة يقول:« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت، أوحى الله إلى الحوت أن خذه، ولا تخدش لحما ولا

[220] ينظر: ابن كثير، م س، ص 385.

تكسر عظما، فلما انتهى به إلى أسفل البحر، سمع يونس حسا، فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه، وهو في بطن الحوت: إن هذا تسبيح دواب البحر قال: فسبح وهو في بطن الحوت، فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا : يا ربنا، إنا نسمع صوتا ضعيفا ،" بأرض غريبة " قال: ذلك عبدي يونس، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟. قال: نعم " قال: " فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت فقذفه في الساحل، »كما قال الله عز وجل:{ وهو سقيم}الصافات:.145[221]

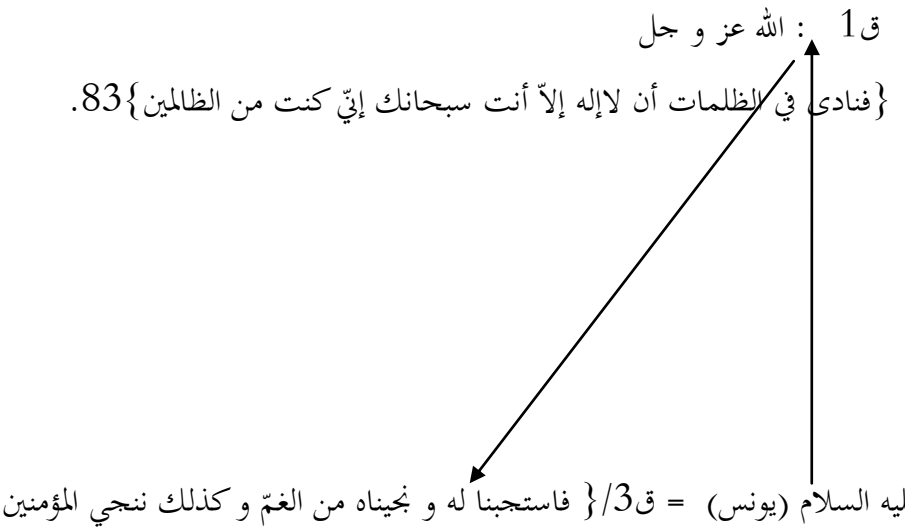

نستنتج مما سبق أن هذا الفعل الإنجازي يحمل محتوى قضويا هو تفويض الأمر كله لله تعالى بالإضافة إلى طلب الغفران و العفو، من خلال قرينة لغوية إشارية في قوله تعالى:{فظنّ أن لن نقدر عليه}بمعنى أن يونس عليه السلام لما فرّ هاربا من شدة كفر قومه ظن أن قضاء الله لن يتبعه بعد فراره من قومه.إلى أن وقع البلاء و الامتحان من الله عز وجل في الوقوع في قاع البحر وسيدنا يونس عليه السلام يردد {لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين} وهو خطاب و دعاء و ذكر من يونس إلى الله تعالى يخاطبه و يدعو الله أن يغفر له و يعفو عنه و أن ينجيه من ظلمات البحر و الحوت و ظلمة الليل و كذا ظلمة القلب و الغم أي الحزن الشديد وهو حزن يأسر صاحبه قد يصل به إلى حدّ القنوط من كثر جهد البلاء و الصبر على الظلم.

فعل الإنجاز: قد تحقق في ملفوظ الدعاء بصيغته الإسنادية الدلالية حاملا في محتواه فعلا قضويا والتسبيح باسم الله الأعظم الذي يكون صاحبه مستجاب الدعوة.

[221] ينظر: م ن، ص 386.

رغم وقوع البلاء إلا أن يونس عليه السلام قد أناب إلى ربّه راجيا منه العفو والغفران في قوله:{إني كنت من الظالمين} هو إقرار من يونس عليه السلام إلى الله تعالى، أنه ظلم نفسه، أي قد يئس وقنط ولم يكن صبورا بما يكفي،وياء النسبة للمتكلم إحالة مقامية إلى شخص يونس عليه السلام بأن أقر بذنبه واعترف بخطئه، ثم التاء في قوله{كنت} قبل زمن ليس ببعيد ظالم لنفسي، والآن أقرّ بذنبي و أسالك يا الله الرحمة والعفو والغفران.لفظ التوحيد هو للدلالة على قدرة الله والتفرد بها لوحده لا شريك في ملكه، لا في البر ولا في البحر ولا في السماء.

الفعل التأثيري: في قوله تعالى:{فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ و كذلك ننجي المؤمنين}84.

تحقق الفعل التأثيري في أداء الغرض من القول، وما يحمله المتكلم في ملفوظه ليضمن مجموعة من القضايا و الحمولات الدلالية لتنهض في حمل المخاطب على التواصل بين قصدية المتكلم، أي الداعي ومقامية الخطاب في ملفوظه و كيفية تشكله وتناسبه لمقام الخطاب وسياق وظروف الإنتاج، كما تراعي عرف واستعمال اللغة خاصة لبيّن فهم المخاطب ببلوغه مقاصد المتكلم والرّد على سؤاله وطلبه. في هذا المقام هو دعاء وذكر وطلب للعفو و الغفران و التوبة.وقد تحقق الفعل التأثيري في الاستجابة من الله في حمل قوة المحتوى القضوي:{فاستجبنا له و نجيناه من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين}، إذن نجد الفعل التأثيري واضح وجلي وفعل مباشر، هنا نشير إلى مسار الخطاب عبر متوالية من الأفعال التأثيرية المتحققة بعد فعل الدعاء وهي: استجبنا+نجيناه+ننجي المؤمنين= الفعل التأثيري المتحقق من خلال دعاء سيدنا يونس عليه السلام.

واستجابة من الله؛ أي تحقق المراد الأول، وهو حصول المغفرة والقبول والتوبة، كما تم انقاذه بقدرة الله من الظلمات أن حماه في بطن الحوت؛ ثم والاه بأن بشرّ المؤمنين بشارة أن من دعا بهذا الدعاء فرج الله به همه وغمه. خطاب آني و خطاب غائي وخطاب سردي قصصي للرسول صلى الله عليه وسلم ثم خطاب تبشيري للمؤمنين، وهي فئة خاصة لأهل الإيمان و التقوى و الصلاح من الأمم التي ستتعاقب و تتوالى على خلافة الأرض.[222]

[222] ينظر: محمد طاهر بن عاشور، م س، ص 124.

الفعل الدُّعائي لدى سيدنا زكريا عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿٨٨﴾**وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾**.

فعل القول: يرتكز هنا على مقومات تحكمه ليبني دلالته عليها ممثلة في متوالية الملفوظ الدعائي بنصه كما ورد كاملا و هنا تجدر الإشارة إلى تحليل الخطاب في مساره السردي الموجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كقصة سيدنا زكريا عليه السلام وابنه يحي عليه السلام و خطاب في مساره الخطي ممثلا في متوالية الكلمات تحكمها علاقات إسنادية تنتج من خلالها مجموعة من الدلالات من شأنها حمل كل من المتكلم والمخاطب على الارتقاء بنص الملفوظ الدعائي للكشف محتواه القضوي.

أولا: خطاب السرد ممثلا فيقوله تعالى:{ و زكريا إذ نادى ربّه} أي لحظة وقوع الدعاء وهنا نكشف زمنية الخطاب بإشارات تحيل على زمن ومكان ومقام فعل التلفظ وكيفية تشكل الملفوظ.ابتدأت الآية باسم علم أي اسم النبي مباشرة لفظ صريح وواضح كما أردفه بأداة ظرفية لما مضى من الزمن مقترنا بفعل ماض يفيد فعل الشرط وهو تحقق الملفوظ في زمن السرد في الماضي.

اسم علم+ أداة شرط ظرف لما مضى من الزمن+فعل ماضي+لفظ الربوبية. تفيد كل الجملة الابتدائية من ملفوظ الدعاء الثبات و السكون في لحظة زمنية سردية مضت لإثبات وتقرير وقوعها شاهدا زمنيا.

فعل الإنجاز:تمثل في ملفوظ الدعاء جاء خطابا مباشرا أي فعلا كلاميا مباشرا و صريحا في مقام يستدعي من المتكلم أي الداعي أن يخاطب المتلقي به لأنه يطابق قصده الواقع الذي يعيشه وله نسبة خارجية من التحقق.في قوله تعالى:{ ربّ لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين}فعل الإنجاز كله هو الدعاء في العبارة أي الآية الكريمة ككل.

فقد تضرّع إلى الله ولجأ إليه بسؤاله وطلبه، وممثلا في ملفوظ الدعاء كفعل تتضافر فيه جميع المفاهيم ليشكل قوة محتوى قضوي، من شأنه أن يحقق فعلا إنجازيا من المتكلم إلى المتلقي، وهو افتتاحه بلفظ الربوبية دليل على الإذعان و الخشوع و التذلل وفيه اعتراف بقوة و قدرة الخالق، والإقرار بها من خلال قوله (رب+لا+تذرني+ فردا+و+أنت+خير+ الوارثين).

لفظ الربوبية+نهي+فعل مضارع+اسم يدل على العدد و التذكير+ ضمير المخاطب+اسم التفضيل+اسم فاعل ينوب عن فعله إيحائيا.

إذن هناك متوالية من الكلمات حققت فعلا إنجازيا يحمل محتوى قضويا في دلالته السطحية والعميقة .

الفعل التأثيري: في قوله تعالى: ﴿٨٩﴾ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴿٩٠﴾، نجد أنّه بعد أنّ تحقق الفعل الإنجازي لفعل الدعاء في هذا المقام لا يسعنا إلا القول إنّ الفعل التأثيري قد تحقق به من قبل لنوضح الآن:استجبنا +وهبنا+ أصلحنا= أضاف شرط وهو أن هؤلاء الناس الذين اصطفاهم الله و حقق لهم أمانيهم و رجاءهم كانوا يقومون بمجموعة من الأعمال و الأفعال ترفع إلى الله. بعد أن رفع زكريا عليه السلام و جاءت الاستجابة. فكان أن جاء في الآية الكريمة بيان الأفعال و الممارسات التي يتقربون بها إلى الله. وقد برزت وجه خاص في الفعل الدعائي الأخير من قصص الأنبياء وهي كالتالي:يسارعون+ يدعوننا+ رغبا+ رهبا+ خاشعين.

تكمن شروط القبول و الاستجابة للدعاء من الله في هذه الأعمال و الأفعال التي يجب أن تكون مرسخة في شخص المتكلم حاضرة معه في أي زمان و أي مكان وفي أي حال يكون عليها وهي اليقين و الإعتقاد بقدرة الله و حسن التوكل عليه في جميع شؤونه.

أشرنا سابقا إلى أن فعل الدعاء له فعل كلامي مباشر و فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى:{رغبا و رهبا } أي في حالتي:السرّ و الجهر؛أي كما يحيل إلى زمنين هنا النهار و الليل و المكان في الجهر والوحدة، طمعا في عفوه و خوفا ممن سخطه و غضبه وهو إقرار بوجود الأنبياء و وجود الرسالة و الدعوة و قدم الفعل الكلامي الدعاء المتجذر في جميع الرسالات السماوية و في بنية الإنسان في نفسه عند خلقه هي الروح:في قوله تعالى:{ قل الرّوح من أمر ربّي و ما أوتيتم من العلم إلّا قليلا}.

الله عز وجل ق1=دعاء سيدنا زكرياء /ق2= الاستجابة /ق3=النجاة و الإصلاح الوهب.[223]

ق1 ﴿٨٨﴾وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾

ز

زكرياء عليه السلام

ق2 ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾

ق3 ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾.

بشرى المؤمنين {الرسول صل الله عليه وسلم}.

[223] ينظر: م ن، ص 129.

الفعل الكلامي الدُّعائي لسيدنا محمد صل الله عليه و سلم في قوله تعالى: ﴿قال ربّ احكم بالحقّ و ربنّا الرّحمان المستعان على ما تصفون﴾.

فعل القول:هو ملفوظ الدعاء كما ورد نصه في الآيتين في السورة يجتمع تحته ثلاثة مستويات هي المستوى الصوتي والمستوى النحوي الإسنادي والمستوى الدلالي وبتضافرها بالإضافة إلى المقام نكشف المعنى المراد منه في استعماله تداوليا، وقد ابتدأت الآية الكريمة بفعل ماض يدل على لحظة زمن وقوعه ب"قال" و يدل على الشخص الذي قام به وهو شخص الرسول صل الله عليه وسلم ثم أسند إليها لفظ الربوبية "ربّ " ليدل على الخضوع والتذلل و أردفه بفعل أمر "أحكم" وبعدها جار و مجرور" بالحق" ثم قرن الجملة بحرف عطف، وهو حرف الواو لتكملة الدلالة التي قبلها ثم أعاد ذكر لفظ الربوبية بصيغة الجمع مع ضمير المتكلم "نحن" في قوله:"ربّنا " "المستعان عما تصفون" بدلالة تعريف التقييد وأعقبها بشبه جملة جار ومجرور تقدير الكلام "على ما تصفون"، فصفة الاستعانة والدعاء لله وحده وهي دلالة التوحيد والإنابة.

فعل الإنجاز:يتمثل في فعل الدعاء الذي سيق بصيغة خطاب مباشر، ويقوم المتكلم بإنتاج هذا الملفوظ ليحمل قوة قضوية ممثلة في الاستعانة و التذلل و الخضوع و الإنابة وتفويض الأمر لله جميعا والبارز فيه قول تعالى :"ربنا المستعان عما تصفون" و قبلها :"رب احكم بالحق"؛ هنا خطاب مباشر غير ضمني صريح و فيه فعل أمر يخرج عن الدلالة الأصلية ليفيد معنى الالتماس بمعنى "اقض قضاءك و أنزل سخطك عليهم" .[224]

الفعل التأثيري:

تحقق الفعل التأثيري في أداء الغرض من القول وما يحمله المتكلم في ملفوظه ليضمن مجموعة من القضايا والحمولات الدلالية، لتنهض بحمل المخاطب على التواصل بين قصدية المتكلم أي الداعي ومقامية الخطاب في ملفوظه و كيفية تشكله و تناسبه لمقام الخطاب وسياق وظروف الإنتاج، كما تراعي عرفية استعمال اللغة وخاصية بينة فهم المخاطب ببلوغه مقاصد المتكلم والرد على سؤاله وطلبه وفي هذا المقام هو ذكر وطلب واستعانة و تهديد بخطاب غير مباشر لكفار قريش من الرسول صل الله عليه وسلم.

فنجد أنّ الفعل الدعائي، تحقق بخروج الفعل عن مقتضى الحال؛ أي فعل كلامي غير مباشر ويحمل قوة محتوى قضوي من شأنه أن يفصل في النتيجة الحتمية لفعل الدعاء.

[224] ينظر : م ن، ص 132.

خلاصـــــة: نصل إلى أن الفعل الكلاميّ الكلّي لسورة الأنبياء هو تحت تصنيف الأفعال الكلامية عند "سيرل" ما يسميه:" التقريرات " مما عرفنا أنّ موضوعها المحوري هو" دور الأنبياء في تذكير و إنذار البشرية في،كما ينسل منها فعل يدعمه :" الوعديات"؛ بالإضافة إلى أن الفعل الكلامي الدّعائي في سورة الأنبياء هو ضمن تصنيف "سيرل": "التعبيريات و التوجيهات".

خاتمة

خـــــاتمـــــة:

بعد هذه الرّحلة البحثية الشاقة و الشيّقة ومشيا مع كلاسيكيات الختام التي تبغي و تحاول جمع شتات البحث و حصر ما جادت به قريحة البحث من نتائج أهمّها:

لقد تبلورت النظرية التداولية شيئا فشيئا إلى أن وصلت لدرجة نضجها المعرفي مع ثلّة من علماء اللّسانيات والفلسفة من بينهم : بيرس، إميل بنفنست ،فيرث،فان دايك، جون أوستين ،سيرل،سبربر ،ولسن....الخ.

و غنّي عن البيان أنَّ التداولية ارتبطت بجهود العالم الألسني " جون أوستين" بعد أن أحدث مفهوما جديدا في حقل التداولية وهو" مفهوم الفعل الكلامي" فغدا هو الوحدة الصغرى في تحليل الخطاب .

نشأت التداولية واستقت مفاهيمها من الدرس الفلسفي واللساني بالمزاوجة بينهما، فطوّر "أوستين" مفاهيم جديدة في حقل" فلسفة اللغة "ردّا عن تلك النظرة القديمة القاصرة التي تحد من نشاط اللغة ، و تقتصر على كونها مجرّد أداة لنقل الأفكار ووصف الأشياء، ليتجاوزه فتصبح اللغة ميدانا ننجز فيه أعمالا لا تنجز إلاّ في اللغة وباللغة.

و بعد تصحيح الرؤيا الجديدة للغة ،أصبح الحقل المثالي الذي تبحث فيه التداولية هو "أفعال الكلام "بؤرة الخطاب:هو الكلام أي في جميع أشكال وظواهر الخطاب، فاللغة العادية اليومية المتداولة التي نستعملها ونوظفها بحرّية فهي شغلها الشاغل و ميدانها الأساس.

وكما أنّ أوستين توصل لضبط "مفهوم الفعل الكلامي "، فحددّ خصائصه ثمّ انتقل بعدها إلى تقسيمات فرعية له وهذا ما أفرز ظهور ثلاثة مستويات للفعل الكلامي و بها حددّ قسمين أساسين هما:أفعال إخبارية وأخرى إنجازية ،ولا تقوم هذه الأخيرة، إلاّ وفق معايير موضوعية سماها الشروط القياسية و التكوينية، وفقا لمعيار القوة الإنجازية أحدث "أوستين" خمسة تصنيفات للفعل الكلامي.(أفعال الأحكام .أفعال القرارات. أفعال التعهد . أفعال السلوك. أفعال الإيضاح.).

وتمثل جهود "أوستين " المرحلة الأولى لنشأة النظرية، إلاّ أنّ مرحلة النضج اكتملت على يد تلميذه "سيرل" من بعده حيث صحح بعض المفاهيم، و قام بتعديل شروط نجاح الفعل الكلامي، بالإضافة إلى إعادة تقسيمه .

خـــــاتمـــــة:

كما أعاد " سيرل" كذلك ترتيب معايير و شروط الفعل الكلامي فأحاط بثلاثة شروط مهمّة لخصها على ضوء ما جاء به أستاذه "أوستين "ممثلة في:تعديل القوة الإنجازية شروط الملائمة، الإستراتيجية التخاطبية (اتجاه سيرورة الخطاب).

وبذلك قسّم "سيرل" الفعل الكلامي إلى أربعة مستويات هي: فعل القول، فعل الغرض المتضمن في القول، فعل الإنجاز، فعل التأثير، فزاد على التقسيم الأوّلي قسما آخر؛ سمّاه "الفعل القضوي"،كما قام بتصنيف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف :الإخباريات و الأمريات والوعديات، التعبيريات والتوجيهيات استنادا إلى الشروط الثلاثة.

وبمقاربتنا للنصوص التراثية اللغوية العربية و باستقراء علماء اللسان العرب المعاصرين للتراث وإعادةقراءته بنظرة معاصرة وصلنا إلىأنّ هذه النظرية متجذرةفي عموم الفكر اللغوي و بخاصة في مصنفات جهود علماء البلاغة و النحو و الأصول.إلاّ أنّ تراثنا تكتنفه الشمولية و المعيارية فلا يكاد يخلو مُؤلَّف من الشمولية نظرا للموسوعية والأفق المنفتح على كل العلوم فهكذا كان علماء أمّتنا ذويفكر متقدّ منفتح على جميع علوم عصرهم.

أمّا عن الرؤيا التراثية فقد تجلّت لنا في نظرية "الأفعال الكلامية في باب "علم المعاني" ضمن البلاغة العربية تحت الظاهرة الأسلوبية المعنونة بـــ"الخبر و الإنشاء".

بتتبعنا لمعالم النظرية من خلال الوقوف على تعريفات " الخبر والإنشاء "عند علماء العرب بالرغم من اختلاف توجهاتهم و مشاربهم سواءً النحوية و البلاغية أو الأصولية، نجد في تعريفاتهم للكلام بأسلوبيه الخبري والإنشائي مراعاةأقطاب العملية التواصلية من متكلم ومخاطب و أحوال كليهما و ظروف إنتاج الخطاب و كيفية تأدية الخطاب والتأثير في المخاطب في مؤَلفات علوم اللغة من بلاغةٍ و نحوٍ وأصولٍ متعلقا ببحثهم في الإعجاز اللّغوي للقرآن الكريم.

ونجد أيضا أنه قدأدرجت نظرية"أفعال الكلام" عند علماء النحو تحت مايسمّى" الإسناد" أي النسبة بين الموضوع والمحمول،كما نجدهافي الأساليب النحوية مثل: التوكيد ، الإغراء والتحذير،الاستغاثة و الندبة...الخ.

نجد أنَّ الدرس الأصولي قد اعتنى كل العناية بظاهرة الخبرو الإنشاء و بناءً على اهتمامهم بالنص الديني والتفسيري. فأولوا العناية باللغة و تشكيلاتها ليصلوا إلى المعنى تحديداارتكازا على عملية الإسناد في التركيب الكلامي باعتمادهم على عنصرين مُهمَّين هما : عرفية الاستعمال و مقاصد المتكلم.

خـــــاتمـــــة:

فنتج عن تفاعل نظرية أفعال الكلام بالأسلوب الخبري في تحليل الأصوليين للنص الديني و التفسيري عدة مفاهيم لأغراض كلامية مثل:الشهادة،الرواية،الدعوى ،الإقرار..الخ فجاءت تأسيسا كلّيا للجهاز المفاهيمي التشريعي العقدي الإسلامي .

وظهر لنا أنّ التقسيمات التي وصل إليها علماء الأصول تكاد تفوق ما وصل إليه "أوسيتين" و "سيرل" بمعيار القوة الإنجازية للمحتوى القضوي للفعل الكلامي فضلا عن مقاربتنا لمجهودات ثلّة من علماء الأصول القرافي و رضّي الدين الإستراباذي .

وغنيٌ عن البيان أنّ علماء اللغة قديما استندوا في تمييزهم بين الخبر و الإنشاء إلى معايير هي :معيار الصدق والكذب،معيار مطابقة النسبة الخارجية،معيار إيجاد النسبة الخارجية.في تصنيفهم للخبر و الإنشاء وصولا إلى نوعين من التقسيم للخبر و الإنشاء منه ماهو تقسيم إجمالي و منها ما هوتقسيم تفصيلي في كل واحد من هذه التقسيمات للخبر و الإنشاء نجد ثلة من العلماء الذين أسسوا معايير لتقسيماتهم منهم :الفارابي،ابن سينا ، أما التقسيم الثاني فرّواده هم: الجاحظ،رضيّ الدين الاستراباذي، أبو العباس اللغوي.

إن هذه الإشارات ليست كافية البتة في عرض البعد التداولي عند الأصوليين والفقهاء في التعامل مع النصوص، ولكنها قد تضع اليد على لب المسألة، وترشد إلى حقيقة الاهتمام الموسع لديهم، كما قد تكون بداية الطريق لمن أراد أن يوسع القضية، بشيء من التحليل والمقارنات بين نصوصهم، وبين نصوص غيرهم من الغربيين.

ووجه التعالق بين السياق وعلم أسباب النزول ظاهرالأثر في توجيه دلالات الخطاب القرآني،كما في تحديدمسارات الخطاب و مقاصدهمن أجل استنباط الأحكام الصحيحة الشرعية بالرجوع إلى كليهما؛ أي السياق وعلم أسباب النزول، فهو العلم الذي نستند إليه في إبراز الأحكام الشرعية للخطاب القرآني .كما يكشف عن المعنى الذي يسعى إلى تحقيقه بالاستعانة بالقرائن اللغوية و المقامية و السياقات النصّية لفهم مقاصد القرآن خاصة و أنَّ الخطاب القرآني يلجأ في أحيان كثيرة إلى الصيغة التلميحية بدل التصريحية لمخالفة مقتضى ظاهر الكلام و هو إعجازٌ بيانيٌ في نظمه.فالغاية الأساسية التي يسعى إليها القرآن الكريم تتمثل في تبليغ مقاصده للمتلقي تبليغا يصل لحدود الكمال في كل جوانبه.

إنَّ الفعل الكلامي الدُّعائي باعتباره بؤرة خطاب يقوم على أساس وفي سياق القصة القرآنية ممثلة لفضائه النصّي الكلّي له محيطة بكل جوانبه جاعلةً منه فعلا كلاميا كلّيًا تصبغه بصبغة خاصة، فالخطاب القرآني لا يلتفت إلى

خـــــاتمـــــة:

الجانب التأثيري فهو محقق مسبقا بعناية إلهية للأنبياء، إلاّ أنّ الدّعاء يكشف لنا عن مواطن هذه العناية وكيفية تشكلّها سياقًا ومقامًا، لأنّ المطلوب في رسالة القرآن من النبي صل الله عليه وسلم والأنبياء جميعا عليهم السلام، هو التبليغ المنتهي عند الفعل الإنجازي في قوله تعالى:"و ما على الرّسول إلاّ البلاغ....." وقوله عز و جلّ :" و ما أنت عليهم بمصيطر.." و هذا ما أشار إليه "سيرل". فالدُّعاء يتحدّ مع شخص النبي في كينونته والذكر باعتباره رسالة هادفة، تحمل قوى إنجازية تدفع إلى الإصلاح والتغيير في الواقع قوة وإنجازًا كمونًا وديناميكيةً طوال سيرورة الرّسالة بمحصلات المتغيرات والثوابت الزمنية و المكانية. إلاّ أنّ للدّعاء خصائص تشكلت من الثلاثية البُعدية البِنَوِيَة لسورة الأنبياء لتكشف لنا عن مسارات دلالات الخطاب و تشاكلها فيما بينها وفقا لمقامات التخاطب بين الأنبياء عليهم السلام والله عزّ وجلّ (الدّعاء، الذكر، الأنبياء) فكان أن تشكل من هذه الثلاثية البعدية علاقات جمعت بين اطرافها، فالعلاقة التي تجمع الأنبياء بالذكر علاقة كائن وكينونة فهي إتحاد ذات النبي بالرسالة فلا وجود لنبي بدون رسالة، ولا رسالة بدون نبي، فنتج عنهما " علاقة استلزام" إضافة إلى علاقة الذكر بالدعاء ، فالذكر يحوي الدّعاء ضمنه و الدّعاء جزء منه ويتقاطعان في نقاط مشتركة احدهما يستدعي الآخر فالعلاقة التي تجمعهما"علاقة اشتمال" إلاّ أنّ العلاقة الأخيرة التي تجمع كل من الأنبياء بالدّعاء هي علاقة كمون وديناميكية فالدّعاء يحقق؛ إذن فالدّعاء آلية استدعائية للقوة الإنجازية لدى شخص النبي عليه السلام في مقام الصدّ و الإعراض من طرف أقوامهم، وهذا يطابق القسم الثاني من الدّعاء وهو "دعاء الطلب و المسألة "متضمنا حقلين دلاليين تمثلا ،في حقل الشدّة والابتلاء وآخر للفرج والرّحمة جاء في قالب بِنَوِيٍ له بما حملته مضامين آي الدّعاء في سورة الأنبياء . كلّها نتيجة توفيق إلهي يكمن في قدرة الله عز وجل على تغيير الواقع أو إصلاحه تبعًا و استلحاقًا، فله الأمر من قبل ومن بعد، إمّا استجابةً أو حفظًا بالغيب أو دفعَ بلاءٍ في المستقبل ،هو وسيلة راقية لبلوغ العناية والغاية الإلهية .

فالسورة الكريمة تهدف إلى تقرير قصص الأنبياء بأسلوب متفرد جاء في شكل أفعال إحالية ،من شأنها أن تنقل الدارس إلى تتبعها في سياقات ومقامات أخرى على مستوى البنية العامة والفضاء النصي للخطاب القرآني، من خلال تحليل مستوى الفعل القولي للفعل الدّعائي .إضافة إلى ذلك فالسورة جاءت لتوجهنا ولتعلّمنا كيفية الدّعاء ومتى وأين يتم توظيفه ،كما أبرزت لنا كيف خاطب الأنبياء عليهم السلام والرّسول صل الله عليه وسلم الله عزّ و جلّ لإرشادنا إلى آداب و سلوكيات التعامل مع الله عز وجل أوّلا ومع أشباه المعارضين للدعوة والتوحيد ثانيا في زماننا حاليًا.فالسورة حملت مع الدّعاء منهجيات التغيير و الإصلاح لذاتنا ومع الغير في مجتمعاتنا و هذا هو لبُّ الرّسالة.

خـــــاتمـــــة:

و في الأخير لا يسعني في هذا المقام إلا أن أقول حسبي أنّي اجتهدت ولكلّ مجتهد نصيب.

وكما يقول العماد الأصفهاني في كتابه "خريدة القصر وجريدة العصر:«إنّي رأيتُ أنّه ما كَتَب أحَدُهُم في يَومِهِ كِتاباً إلا قال في غَدِهِ، لو غُيّرَ هذا لَكانَ أَحسن و لَو زُيِّدَ ذاكَ لَكانَ يُستَحسن، ولَو قُدِّمَ هذا لكانَ أفضل، ولو تُرِكَ ذاكَ لَكانَ أجمل، وهذا مِن أعظَمِ العِبر، وهو دَليل على استيلاءِ النّقْصِ على جُملَةِ البَشر».

والله العليم الحكيم نسأل أن نكون قد أُلهمنا الصواب فيما تناولنا، وهدينا إلى السداد والرّشاد فيما فسّرنا وعلّلنا، وألاّ نكون قد زللنا فيما اجتهدنا، أو ضللنا فيما تدبرنا، من قبل ومن بعد، نحن فقراء إلى عفو الله وغفرانه، إنّه ولّي ذلك و القادر عليه.

ملـحق

سورة الأنبياء

﴿ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

اقتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُم وَهُم في غَفلَةٍ مُعرِضونَ ﴿١﴾ ما يَأتيهِم مِن ذِكرٍ مِن رَبِّهِم مُحدَثٍ إِلّا استَمَعوهُ وَهُم يَلعَبونَ ﴿٢﴾ لاهِيَةً قُلوبُهُم وَأَسَرُّوا النَّجوَى الَّذينَ ظَلَموا هَل هذا إِلّا بَشَرٌ مِثلُكُم أَفَتَأتونَ السِّحرَ وَأَنتُم تُبصِرونَ ﴿٣﴾قالَ رَبّي يَعلَمُ القَولَ فِي السَّماءِ وَالأَرضِ وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ ﴿٤﴾ بَل قالوا أَضغاثُ أَحلامٍ بَلِ افتَراهُ بَل هُوَ شاعِرٌ فَليَأتِنا بِآيَةٍ كَما أُرسِلَ الأَوَّلونَ ﴿٥﴾ ما آمَنَت قَبلَهُم مِن قَريَةٍ أَهلَكناها أَفَهُم يُؤمِنونَ ﴿٦﴾ وَما أَرسَلنا قَبلَكَ إِلّا رِجالًا نوحي إِلَيهِم فَاسأَلوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لا تَعلَمونَ ﴿٧﴾ وَما جَعَلناهُم جَسَدًا لا يَأكُلونَ الطَّعامَ وَما كانوا خالِدينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقناهُمُ الوَعدَ فَأَنجَيناهُم وَمَن نَشاءُ وَأَهلَكنَا المُسرِفينَ ﴿٩﴾ لَقَد أَنزَلنا إِلَيكُم كِتابًا فيهِ ذِكرُكُم أَفَلا تَعقِلونَ ﴿١٠﴾ وَكَم قَصَمنا مِن قَريَةٍ كانَت ظالِمَةً وَأَنشَأنا بَعدَها قَومًا آخَرينَ ﴿١١﴾ فَلَمّا أَحَسّوا بَأسَنا إِذا هُم مِنها يَركُضونَ ﴿١٢﴾ لا تَركُضوا وَارجِعوا إِلى ما أُترِفتُم فيهِ وَمَساكِنِكُم لَعَلَّكُم تُسأَلونَ ﴿١٣﴾ قالوا يا وَيلَنا إِنّا كُنّا ظالِمينَ ﴿١٤﴾ فَما زالَت تِلكَ دَعواهُم حَتّى جَعَلناهُم حَصيدًا خامِدينَ ﴿١٥﴾ وَما خَلَقنَا السَّماءَ وَالأَرضَ وَما بَينَهُما لاعِبينَ ﴿١٦﴾ لَو أَرَدنا أَن نَتَّخِذَ لَهوًا لَاتَّخَذناهُ مِن لَدُنّا إِن كُنّا فاعِلينَ ﴿١٧﴾ بَل نَقذِفُ بِالحَقِّ عَلَى الباطِلِ فَيَدمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ وَلَكُمُ الوَيلُ مِمّا تَصِفونَ ﴿١٨﴾وَلَهُ مَن فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ وَمَن عِندَهُ لا يَستَكبِرونَ عَن عِبادَتِهِ وَلا يَستَحسِرونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحونَ اللَّيلَ وَالنَّهارَ لا يَفتُرونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذوا آلِهَةً مِنَ الأَرضِ هُم يُنشِرونَ ﴿٢١﴾ لَو كانَ فيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبحانَ اللَّهِ رَبِّ العَرشِ عَمّا يَصِفونَ ﴿٢٢﴾ لا يُسأَلُ عَمّا يَفعَلُ وَهُم يُسأَلونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذوا مِن دونِهِ آلِهَةً قُل هاتوا بُرهانَكُم هذا ذِكرُ مَن مَعِيَ وَذِكرُ مَن قَبلي بَل أَكثَرُهُم لا يَعلَمونَ الحَقَّ فَهُم مُعرِضونَ ﴿٢٤﴾ وَما أَرسَلنا مِن قَبلِكَ مِن رَسولٍ إِلّا نوحي إِلَيهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا أَنا فَاعبُدونِ ﴿٢٥﴾وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحمنُ وَلَدًا سُبحانَهُ بَل عِبادٌ مُكرَمونَ ﴿٢٦﴾ لا يَسبِقونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلونَ ﴿٢٧﴾ يَعلَمُ ما بَينَ أَيديهِم وَما خَلفَهُم وَلا يَشفَعونَ إِلّا لِمَنِ ارتَضى وَهُم مِن خَشيَتِهِ مُشفِقونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُل مِنهُم إِنّي إِلٰهٌ مِن دونِهِ فَذلِكَ نَجزيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجزِي الظّالِمينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَم يَرَ الَّذينَ كَفَروا أَنَّ السَّماواتِ وَالأَرضَ كانَتا رَتقًا فَفَتَقناهُما وَجَعَلنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤمِنونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلنا فِي الأَرضِ رَواسِيَ أَن تَميدَ بِهِم وَجَعَلنا فيها فِجاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُم يَهتَدونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلنَا السَّماءَ سَقفًا مَحفوظًا وَهُم عَن آياتِها مُعرِضونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ اللَّيلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسبَحونَ ﴿٣٣﴾ وَما جَعَلنا لِبَشَرٍ مِن قَبلِكَ الخُلدَ أَفَإِن مِتَّ فَهُمُ الخالِدونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفسٍ ذائِقَةُ المَوتِ وَنَبلوكُم بِالشَّرِّ وَالخَيرِ فِتنَةً وَإِلَينا تُرجَعونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذا رَآكَ الَّذينَ كَفَروا إِن يَتَّخِذونَكَ إِلّا هُزُوًا أَهذَا الَّذي يَذكُرُ آلِهَتَكُم وَهُم بِذِكرِ الرَّحمنِ هُم كافِرونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الإِنسانُ مِن عَجَلٍ سَأُريكُم آياتي فَلا تَستَعجِلونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقولونَ مَتى هذَا الوَعدُ إِن كُنتُم

صادِقينَ ﴿٣٨﴾ لَو يَعلَمُ الَّذينَ كَفَروا حينَ لا يَكُفّونَ عَن وُجوهِهِمُ النّارَ وَلا عَن ظُهورِهِم وَلا هُم يُنصَرونَ ﴿٣٩﴾ بَل تَأتيهِم بَغتَةً فَتَبهَتُهُم فَلا يَستَطيعونَ رَدَّها وَلا هُم يُنظَرونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ استُهزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبلِكَ فَحاقَ بِالَّذينَ سَخِروا مِنهُم ما كانوا بِهِ يَستَهزِئونَ ﴿٤١﴾ قُل مَن يَكلَؤُكُم بِاللَّيلِ وَالنَّهارِ مِنَ الرَّحمنِ بَل هُم عَن ذِكرِ رَبِّهِم مُعرِضونَ ﴿٤٢﴾ أَم لَهُم آلِهَةٌ تَمنَعُهُم مِن دونِنا لا يَستَطيعونَ نَصرَ أَنفُسِهِم وَلا هُم مِنّا يُصحَبونَ ﴿٤٣﴾بَل مَتَّعنا هؤُلاءِ وَآباءَهُم حَتّى طالَ عَلَيهِمُ العُمُرُ أَفَلا يَرَونَ أَنّا نَأتِي الأَرضَ نَنقُصُها مِن أَطرافِها أَفَهُمُ الغالِبونَ ﴿٤٤﴾ قُل إِنَّما أُنذِرُكُم بِالوَحيِ وَلا يَسمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما يُنذَرونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَسَّتهُم نَفحَةٌ مِن عَذابِ رَبِّكَ لَيَقولُنَّ يا وَيلَنا إِنّا كُنّا ظالِمينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ المَوازينَ القِسطَ لِيَومِ القِيامَةِ فَلا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا وَإِن كانَ مِثقالَ حَبَّةٍ مِن خَردَلٍ أَتَينا بِها وَكَفى بِنا حاسِبينَ﴿٤٧﴾ وَلَقَد آتَينا موسى وَهارونَ الفُرقانَ وَضِياءً وَذِكرًا لِلمُتَّقينَ ﴿٤٨﴾الَّذينَ يَخشَونَ رَبَّهُم بِالغَيبِ وَهُم مِنَ السّاعَةِ مُشفِقونَ ﴿٤٩﴾ وَهذا ذِكرٌ مُبارَكٌ أَنزَلناهُ أَفَأَنتُم لَهُ مُنكِرونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَد آتَينا إِبراهيمَ رُشدَهُ مِن قَبلُ وَكُنّا بِهِ عالِمينَ ﴿٥١﴾ إِذ قالَ لِأَبيهِ وَقَومِهِ ما هذِهِ التَّماثيلُ الَّتي أَنتُم لَها عاكِفونَ﴿٥٢﴾ قالوا وَجَدنا آباءَنا لَها عابِدينَ ﴿٥٣﴾ قالَ لَقَد كُنتُم أَنتُم وَآباؤُكُم في ضَلالٍ مُبينٍ ﴿٥٤﴾ قالوا أَجِئتَنا بِالحَقِّ أَم أَنتَ مِنَ اللّاعِبينَ ﴿٥٥﴾قالَ بَل رَبُّكُم رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ الَّذي فَطَرَهُنَّ وَأَنا عَلى ذلِكُم مِنَ الشّاهِدينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكيدَنَّ أَصنامَكُم بَعدَ أَن تُوَلّوا مُدبِرينَ ﴿٥٧﴾فَجَعَلَهُم جُذاذًا إِلّا كَبيرًا لَهُم لَعَلَّهُم إِلَيهِ يَرجِعونَ ﴿٥٨﴾ قالوا مَن فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمينَ ﴿٥٩﴾ قالوا سَمِعنا فَتًى يَذكُرُهُم يُقالُ لَهُ إِبراهيمُ ﴿٦٠﴾ قالوا فَأتوا بِهِ عَلى أَعيُنِ النّاسِ لَعَلَّهُم يَشهَدونَ ﴿٦١﴾ قالوا أَأَنتَ فَعَلتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبراهيمُ ﴿٦٢﴾ قالَ بَل فَعَلَهُ كَبيرُهُم هذا فَاسأَلوهُم إِن كانوا يَنطِقونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعوا إِلى أَنفُسِهِم فَقالوا إِنَّكُم أَنتُمُ الظّالِمونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسوا عَلى رُءوسِهِم لَقَد عَلِمتَ ما هؤُلاءِ يَنطِقونَ ﴿٦٥﴾ قالَ أَفَتَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَنفَعُكُم شَيئًا وَلا يَضُرُّكُم ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَكُم وَلِما تَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ أَفَلا تَعقِلونَ ﴿٦٧﴾ قالوا حَرِّقوهُ وَانصُروا آلِهَتَكُم إِن كُنتُم فاعِلينَ ﴿٦٨﴾ قُلنا يا نارُ كوني بَردًا وَسَلامًا عَلى إِبراهيمَ ﴿٦٩﴾وَأَرادوا بِهِ كَيدًا فَجَعَلناهُمُ الأَخسَرينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيناهُ وَلوطًا إِلَى الأَرضِ الَّتي بارَكنا فيها لِلعالَمينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ نافِلَةً وَكُلًّا جَعَلنا صالِحينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلناهُم أَئِمَّةً يَهدونَ بِأَمرِنا وَأَوحَينا إِلَيهِم فِعلَ الخَيراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإيتاءَ الزَّكاةِ وَكانوا لَنا عابِدينَ ﴿٧٣﴾ وَلوطًا آتَيناهُ حُكمًا وَعِلمًا وَنَجَّيناهُ مِنَ القَريَةِ الَّتي كانَت تَعمَلُ الخَبائِثَ إِنَّهُم كانوا قَومَ سَوءٍ فاسِقينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدخَلناهُ في رَحمَتِنا إِنَّهُ مِنَ الصّالِحينَ ﴿٧٥﴾ وَنوحًا إِذ نادى مِن قَبلُ فَاستَجَبنا لَهُ فَنَجَّيناهُ وَأَهلَهُ مِنَ الكَربِ العَظيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرناهُ مِنَ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا إِنَّهُم كانوا قَومَ سَوءٍ فَأَغرَقناهُم أَجمَعينَ ﴿٧٧﴾ وَداوودَ وَسُلَيمانَ إِذ يَحكُمانِ فِي الحَرثِ إِذ نَفَشَت فيهِ غَنَمُ القَومِ وَكُنّا لِحُكمِهِم شاهِدينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمناها سُلَيمانَ وَكُلًّا آتَينا حُكمًا وَعِلمًا وَسَخَّرنا مَعَ داوودَ

الجِبالَ يُسَبِّحنَ وَالطَّيرَ وَكُنّا فاعِلينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمناهُ صَنعَةَ لَبوسٍ لَكُم لِتُحصِنَكُم مِن بَأسِكُم فَهَل أَنتُم شاكِرونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيمانَ الرّيحَ عاصِفَةً تَجري بِأَمرِهِ إِلَى الأَرضِ الَّتي بارَكنا فيها وَكُنّا بِكُلِّ شَيءٍ عالِمينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّياطينِ مَن يَغوصُونَ لَهُ وَيَعمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنّا لَهُم حافِظينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذ نادى رَبَّهُ أَنّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرحَمُ الرّاحِمينَ﴿٨٣﴾ فَاستَجَبنا لَهُ فَكَشَفنا ما بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيناهُ أَهلَهُ وَمِثلَهُم مَعَهُم رَحمَةً مِّن عِندِنا وَذِكرى لِلعابِدينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسمـٰعيلَ وَإِدريسَ وَذَا الكِفلِ كُلٌّ مِّنَ الصّابِرينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدخَلناهُم فى رَحمَتِنا إِنَّهُم مِّنَ الصّـٰلِحينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقدِرَ عَلَيهِ فَنادى فِي الظُّلُمـٰتِ أَن لّا إِلـٰهَ إِلّا أَنتَ سُبحـٰنَكَ إِنّي كُنتُ مِنَ الظّـٰلِمينَ ﴿٨٧﴾ فَاستَجَبنا لَهُ وَنَجَّيناهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي المُؤمِنينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيّا إِذ نادى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرني فَردًا وَأَنتَ خَيرُ الوَرِثينَ ﴿٨٩﴾ فَاستَجَبنا لَهُ وَوَهَبنا لَهُ يَحيَى وَأَصلَحنا لَهُ زَوجَهُ إِنَّهُم كانوا يُسـٰرِعونَ فِي الخَيرَاتِ وَيَدعُونَنا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكانوا لَنا خـٰشِعينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتي أَحصَنَت فَرجَهـٰا فَنَفَخنا فيهـٰا مِن رُّوحِنا وَجَعَلنـٰهـٰا وَابنَهـٰا آيَةً لِّلعـٰلَمينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هـٰذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وـٰحِدَةً وَأَنا رَبُّكُم فَاعبُدُونِ ﴿٩٢﴾وَتَقَطَّعوا أَمرَهُم بَينَهُم كُلٌّ إِلَينا رـٰجِعونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعمَل مِنَ الصّـٰلِحـٰتِ وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلا كُفرانَ لِسَعيِهِ وَإِنّا لَهُ كـٰتِبونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرامٌ عَلى قَريَةٍ أَهلَكنـٰهـٰا أَنَّهُم لا يَرجِعونَ ﴿٩٥﴾ حَتّى إِذا فُتِحَت يَأجوجُ وَمَأجوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلونَ ﴿٩٦﴾ وَاقتَرَبَ الوَعدُ الحَقُّ فَإِذا هِيَ شـٰخِصَةٌ أَبصـٰرُ الَّذينَ كَفَروا يـٰوَيلَنا قَد كُنّا فى غَفلَةٍ مِّن هـٰذا بَل كُنّا ظـٰلِمينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُم وَما تَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُم لَها وـٰرِدونَ ﴿٩٨﴾ لَو كانَ هـٰؤُلاءِ آلِهَةً مّا وَرَدوها وَكُلٌّ فيها خـٰلِدونَ ﴿٩٩﴾ لَهُم فيها زَفيرٌ وَهُم فيها لا يَسمَعونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذينَ سَبَقَت لَهُم مِّنَّا الحُسنىٰ أُولـٰئِكَ عَنها مُبعَدونَ﴿١٠١﴾ لا يَسمَعونَ حَسيسَها وَهُم فى ما اشتَهَت أَنفُسُهُم خـٰلِدونَ ﴿١٠٢﴾ لا يَحزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكبَرُ وَتَتَلَقّىٰهُمُ المَلـٰئِكَةُ هـٰذا يَومُكُمُ الَّذي كُنتُم تُوعَدونَ ﴿١٠٣﴾ يَومَ نَطوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلكُتُبِ كَما بَدَأنا أَوَّلَ خَلقٍ نُعيدُهُ وَعدًا عَلَينا إِنّا كُنّا فـٰعِلينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَد كَتَبنا فِي الزَّبورِ مِن بَعدِ الذِّكرِ أَنَّ الأَرضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّـٰلِحونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فى هـٰذا لَبَلـٰغًا لِّقَومٍ عـٰبِدينَ ﴿١٠٦﴾ وَما أَرسَلنـٰكَ إِلّا رَحمَةً لِّلعـٰلَمينَ ﴿١٠٧﴾ قُل إِنَّما يوحىٰ إِلَيَّ أَنَّما إِلـٰهُكُم إِلـٰهٌ وـٰحِدٌ فَهَل أَنتُم مُّسلِمونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوا فَقُل آذَنتُكُم عَلىٰ سَوَاءٍ وَإِن أَدري أَقَريبٌ أَم بَعيدٌ مّا تُوعَدونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعلَمُ الجَهرَ مِنَ القَولِ وَيَعلَمُ ما تَكتُمونَ ﴿١١٠﴾ وَإِن أَدري لَعَلَّهُ فِتنَةٌ لَّكُم وَمَتـٰعٌ إِلىٰ حينٍ ﴿١١١﴾ قالَ رَبِّ احكُم بِالحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحمَـٰنُ المُستَعانُ عَلىٰ ما تَصِفونَ ﴿١١٢﴾

صدق الله العظيم

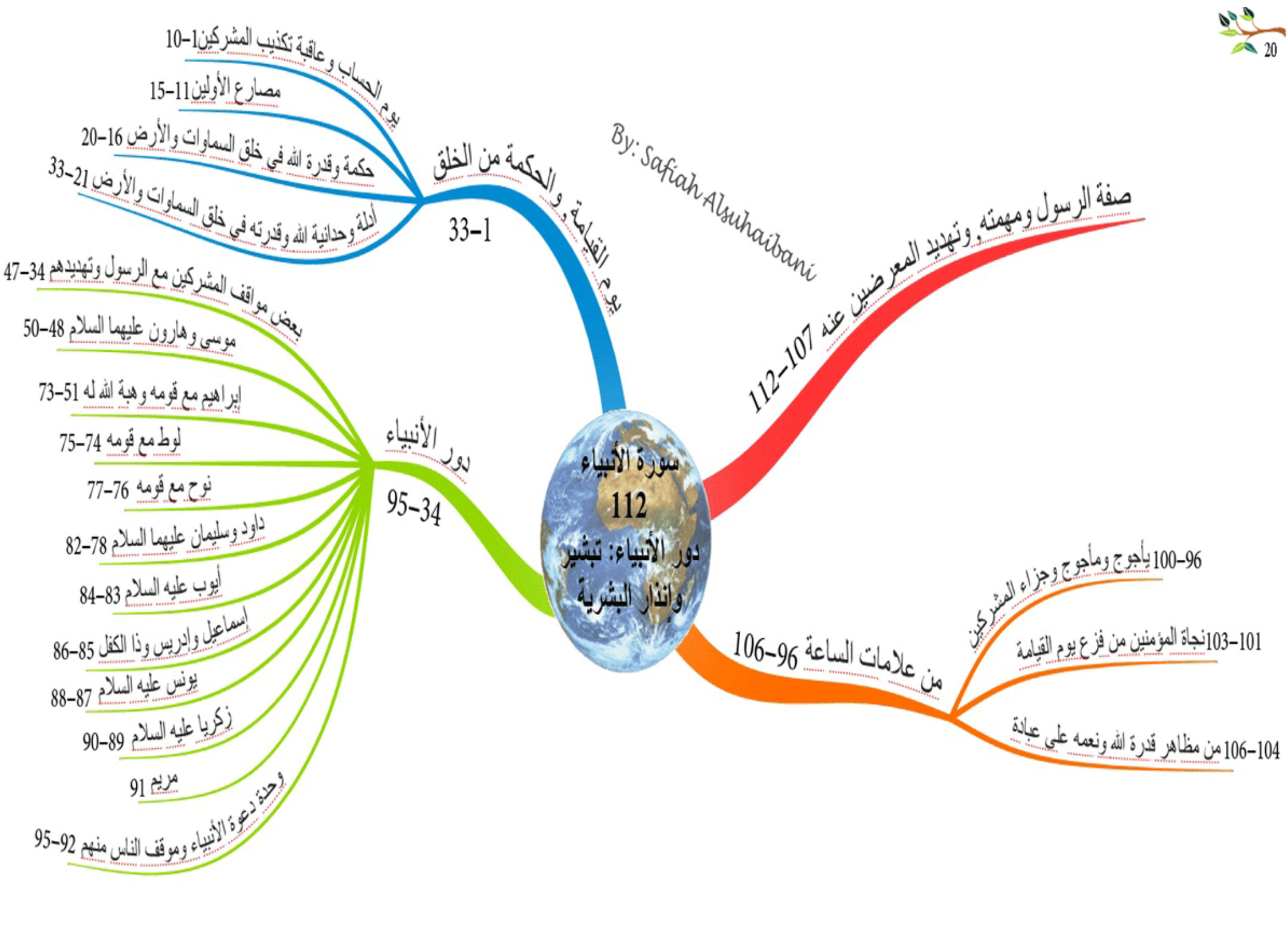
By: Safiah Alsuhaibani
سورة الأنبياء
112
دور الأنبياء: تبشير وإنذار البشرية
يوم القيامة والحكمة من الخلق
33-1
يوم الحساب وعاقبة تكذيب المشركين 1-10
مصارع الأولين 11-15
حكمة وقدرة الله في خلق السماوات والأرض 16-20
أدلة وحدانية الله وقدرته في خلق السماوات والأرض 21-33
دور الأنبياء
95-34
بعض مواقف المشركين مع الرسول وتهديدهم 34-47
موسى وهارون عليهما السلام 48-50
إبراهيم مع قومه وهبة الله له 51-73
لوط مع قومه 74-75
نوح مع قومه 76-77
داود وسليمان عليهما السلام 78-82
أيوب عليه السلام 83-84
إسماعيل وادريس وذا الكفل 85-86
يونس عليه السلام 87-88
زكريا عليه السلام 89-90
مريم 91
وحدة دعوة الأنبياء وموقف الناس منهم 92-95
من علامات الساعة 96-106
يأجوج ومأجوج وجزاء المشركين 96-100
نجاة المؤمنين من فزع يوم القيامة 101-103
من مظاهر قدرة الله ونعمه على عباده 104-106
صفة الرسول ومهمته وتهديد المعرضين عنه 107-112

فهرس

المصادروالمراجع

فهرس المصادر و المراجع:

أ- الكتب :

- **القرآن الكريم برواية حفص .**

- ابن الجوزي عبد الرحمن جمال الدين أبو الفرج ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي،ط3، مؤسسة الرسالة،1987 .
- ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: سعد عبد الرؤوف، مكتبات الكليات الأزهرية القاهرة مصر، 1998 دط.
- ابن تيمية تقي الدين ،مقدمة في أصول التفسير ،تح عدنان زرزور ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1972.
- مجموع فتاوى، كتاب المنطق، مجمع الملك فهد، 1995، د ط.
- ابن سينا الحسين بن عبد الله ، الشفاء، المنطق، العبارة تح : الأب قنواتي وآخرون، القاهرة، مصر، المطبعة الأميرية، 1952، دط.
- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة.
- ابن منظور ، لسان العرب، تح: أحمد عامر حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2003، ط1.
- ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء للكتب العربية، القاهرة، مصر 1998، د ط، باب العين و الدال وما يثلثهما.
- ابن سيدة أبو الحسن علي ابن اسماعيل النحوي ،المخصص، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر 1316،ط 1، ج4.
- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق نزار مصطفى الباز، مركز الدراسات للبحوث، ج 1، د تط، د ط.
- الجويني أبو العالي عبد المالك بن عبد الله ، الكافية في الجدل، تح : فوقية بن عمرو مطيعة عيسى الباني القاهرة، مصر، 1978، دط.
- الطبرسي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم في التوزيع و النشر، بيروت لبنان، ت ط، 2005، ط1.
- سيبويه أبو بشر، عمرو بن قنبر ، الكتاب، تح : عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت ، دتط، دط.
- أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، تح : محسن مهدي، دار المشرق، بيروت لبنان، 1990، ط2.
- أبو يعقوب، السّكاكي، مفتاح العلوم، تع : نعيم زرزور دار الجيل، بيروت لبنان، دت، دط.

- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للثرات، المدينة المنورة 1986، دط.
- الشيخ بومعزة : السعادة مخ العبادة. غرداية.
- أوركيرني، فعل القول من الذاتية في اللغة، تر : محمد نظيف، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007، دط.
- بلال خليل ياسين، منهجيات الإصلاح و التغيير في سورتي الأنبياء و الحج، دراسة موضوعية، رسالة ماجيستير في التفسير و علوم القرآن.
- بيوض بن عمر ، في رحاب القرآن، جمعية التراث، غرداية الجزائر، 1997، دط، ج4.
- الزمخشري جار الله: أساس البلاغة، تح:محمد باسل عيون السّود،دار الكتب العلمية،بيروت ،1998 ط1،ج03.
- حامد خليل، المنطق البراغماتي،عند بيرس،مؤسس الحركة البراغماتية، دار الينابيع مصر، 1996، ط1.
- جاك موشلر، آن ريبول، مرا : خالد ميلاد، القاموس الموسوعي للتداولية، المركز الوطني للترجمة، تونس 2012، ط2.
- جان سيرفوني، الملفوظية، تر. قاسم مقداد منشورات اتحاد كتاب العرب، 1998، دط.
- جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، صيدا بيروت، 1988، دط.
- الإتقان في علوم القرآن، تح عبد الله ابن حسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية جدّة، السعودية، 2000، ط2، ج2.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين بيروت، 1980،دط.
- جون أوستين، تر: عبدالقادر قنيني، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات، افريقيا الشرق 1990، د ط.
- جيفري لينتش وجيني توماس، البراغماتية (المعنى والسياق) ..www.factory.com
- دومينيك مانغنو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب تر : محمد يحياتن، دار العربية للعلوم، ناشرون منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ط1.
- الإستراباذي رضي الدين ، شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، تح : رحاب عكاوي، دار الفكر العربي بيروت، لبنان، 2000، دط.
- الإستراباذي رضي الدّين ، شرح الكافية في النحو، تح : هادي حمودي، عالم الكتب بيروت، 1988، دط
- زواوي بغورة، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت 2005، ط1.

- سليمان أبو محمد أحمد الخطابي ، شأن الدعاء، ت ح، أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، 1992 ط 3.
- القرافي شهاب الدين ، أنوار البروق في أنواء الفروق، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2009، د ط.
- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،المركز الثقافي العربي، دار البيضاء ،2000، ط2.
- فرنسوا أرمينكو : المقاربة التداولية، تر سعيد عرش، مركز الانتماء القومي، الرباط ، 1986.
- الطبرسي الفضل إبن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم في التوزيع و النشر، بيروت 2005 ط 1.
- فيليب بلانتشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار، سورية، اللاذقية، 2007 ط1.
- الدامغاني الفقيه ، قاموس القرآن، تح عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت ، 1970، ط1.
- الجرجاني عيد القاهر ،دلائل الإعجاز، تح محمد التنجي،دار الكتاب العربي،بيروت ،الدار البيضاء 2003،ط1.
- عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة ت ط 2000، ط1.
- ابن ماجة محمد بن يزيد ، سنن المصطفى.
- موسى إبراهيم ،تأملات قرآنية ،بحث منهجي البيضاء، إفريقيا الشرق الأوسط، 2000، ط1.
- عبد الحليم محمود، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان،تط2001،ط1.
- السعدي عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله ، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة 2000، ط1.
- عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، معارج التفكر و دقائق التدبر، دار القلم، دمشق ،2006،ط1.
- عبد الرحمن بن محمد آل رقيب، لولا دعائكم، مكتبة الملك فهد الوطنية 2011، ط3.
- عبد اللطيف فايز وريان، التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين، دار المعرفة ،بيروت1999، ط1.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية ،دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت ، 2004،ط1.
- عزت علي عياد ، معجم المصطلحات اللّغوية والأدبية، دار المريخ للنشر، الرياض –السعودية، 1984.دط.
- مارتن هيدغر، الكينونة و الزمان، ترجمة فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد للطباعة و النشر، بيروت 2012، ط 1.

- ماري آن بافو، رج إلياس فاني، النظريات اللبنانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر:محمد الراضي المنظمة العربية للترجمة، بيروت 2012، ط1.
- الفيروز أبادي مجد الدين ، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، دتط مادة (دَعَوَ).
- محمد أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح : حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، دط، ج3.
- الزبيدي محمد مرتضى ، تاج العروس، دار ليبيا للنشر، بنغازي، د تط، د ط، مادّة دَعَوَ .
- موسى إبراهيم إبراهيم ،تأملات قرآنية ،بحث منهجي في علوم القرآن الكريم ،شركة الشهاب،الجزائر
- محمود عبود زوين، الدعاء في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2005، ط2.
- محسن عطية ، الأساليب النحوية، عرض وتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان ، 2008، ط1.
- محمد علي الخولي، معجم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ط1.
- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسان العربي دار الطليعة، بيروت، 2005،ط1.
- محمد سعد صادق :صراع بين الحق والباطل،دار اللواء للنشر والتوزيع ،الرياض السعودية 1987،دط.
- مصطفي الغلاييني، جامع الدروس العربية،ط3، المكتبة العصرية،1994.
- مقاتل ابن سليمان البلخي،الأشباه و النظائر، تح عبد الله شحاته، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1975 ط1.
- ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ط2.
- هارون ابن موسى، الوجوه و النظائر في القرآن الكريم، تح: حاتم صالح الضامن ، مركز الثقافة والتراث، دبي 2006 دط.
- نواري سعودي أبو زيد : في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.

ب- الدوريات والمجلات:

- أمحمد تركي، بلاغة الإقناع في الخطاب السياسي، الخطابة السياسية في التراث نموذجا، عن أعمال ندوة الخطاب السياسي، 22 نوفمبر 2013، المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات، قفصة، تونس.
- الطاهر لوصيف، التداولية البنائية، مجلة اللغة العربية، جامعة الجزائر، ع17.
- بودريس درهمان، مدخل إلى النظرية التداولية، مجلة علوم التربية.
- صلاح الدين ملاوي، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ع 04، جانفي 2009.
- عبد الرحمن الحاج صالح ، الجملة في كتاب سيبويه ، مجلة المبرز، الجزائر، 1993، ع2.
-عمر بلخير :تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ،ط1،تط2003،ص12
- نعمان بوقرة ،نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ،قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية ،مجلة اللغة و الأدب ،قسم اللغة العربية و آدابها ،جامعة الجزائر ،2006، ع 17.

ج- المصادر الأجنبية:

- George Yule, The study of Language, Cambridge UniversityPress, 1997,4th edition.
- Look :John sirl, what is a speesh act .Orechioni, c.k :op-cite.
- jean Searle ,Sen et expression,. 1982, Trad. et préf. de Joëlle Proust. Coll, Paris, Minuit, par Danielle Forget. Revue québécoise de linguistique, n01, 1983
- Teun A. van Dijk: Text and Context. Explorations in the. Semantics and Pragmatics of. Discourse. Longman Linguistic. Library No. 21, London 1977.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات:

مقدمة:.....ص أ
تمهيد: ماهية الدعاء.....ص8
الفصل الأول: المقاربة اللسانية التداولية.....ص18
المبحث الأول: ماهية اللسانيات التداولية.....ص19
مصطلح التداولية لغة: .....ص 19
عند العرب:.....ص20
عند الغرب:.....ص21
المبحث الثاني: الخلفية التاريخية للسانيات التداولية.....ص23
الأصول المعرفية:.....ص24
الأصول الفلسفية اللسانية:.....ص25
المبحث الثالث: المحاور الكبرى للتداولية.....ص26
الدرجات الثلاثة للتداولية:.....ص27
التداولية من الدرجة الأولى : نظرية الحديث.....ص27
التداولية من الدرجة الثانية : نظرية قوانين الخطاب.....ص27
التداولية من الدرجة الثالثة : نظرية أفعال الكلام ص28
الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي: ص29
نظرية التلفظ ص29
الإفتراض المسبق ص34
الاستلزام الحواري.....ص35
نظرية الملائمة ص37
الفصل الثاني: نظرية الأفعال الكلامية بين الدرس اللساني الغربي و الموروث اللغوي العربي.....ص40

فهرس الموضوعات:

المبحث الأول: أفعال الكلام في الدرس اللّساني الغربي.....ص40
مفهوم الفعل الكلامي:.....ص40
خصائص الفعل الكلامي :.....ص44
نشأة النظرية عند أوستين:.....ص44
جهود سيرل في تطوير النظرية:.....ص47
المبحث الثاني: أفعال الكلام في الموروث اللغوي العربي: (علم المعاني:ظاهرة الخبر و الإنشاء)..ص52
ملامح نظرية أفعال الكلام عند النحويين:.....ص52
ملامح نظرية أفعال الكلام عند البلاغيين:.....ص 57
ملامح نظرية أفعال الكلام عند الأصوليين:.....ص57
المبحث الثالث: معايير التمييز بين الخبر و الإنشاء.....ص71
معيار الصدق و الكذب: ص71
معيار مطابقة النسبة الخارجية: ص73
معيار إيجاد النسبة الخارجية:.....ص73
تقسيمات العرب للخبر و الإنشاء:.....ص74
التقسيم الإجمالي:.....ص74
التقسيم التفصيلي:.....ص78
الفصل الثالث: المقاربة اللسانية التداولية لآي الدعاء في سورة الأنبياء.....ص87
مدخل: الخطاب القرآني و أثر السياق في توجيه دلالاته.....ص87

فهرس الموضوعات:

المبحث الأول:التعريف بالسورة ص91
التعريف بسورة الأنبياء و سبب نزولها:.....ص92
بيان فضل سورة الأنبياء:.....ص93
مناسبة السورة مع السور التي قبلها و بعدها (طه– الحج).....ص94
مخططات تشكل البنية الموضوعية للسورة:.....ص97/98/99/100
المبحث الثاني: بنية تشكل الفعل الكلي للسورة و الفعل الكلامي الدُّعَائِي.....ص101
الفعل الكلامي الكلّي للسورة:.....ص102
بنية تشاكل العلاقات بين الثلاثية البُعدِيَة للسورة: الأنبياء، الذكر، الدعاء.....ص106
علاقة الأنبياء بالذكر:.....ص107
علاقة الذكر بالدعاء: ص108
علاقة الدعاء بالأنبياء:.....ص114
الدراسة اللسانية التركيبية لآي الدعاء في سورة الأنبياء:.....ص115
الدراسة التداولية للفعل الكلامي الدُّعائي في سورة الأنبياء :.....ص128
الفعل الكلامي الدّعائي لنبينا محمد صل الله عليه و سلم ص129
سياق فعل الدعاء:قصة النبي ابراهيم عليه السلام و حجاجه مع قومه في الدعوة.....ص136
الفعل الكلامي الدّعائي لدى سيدنا نوح عليه السلام.....ص141
الفعل الكلامي الدّعائي لدى سيدنا أيّوب عليه السلام.....ص144
الفعل الكلامي الدّعائي لدى سيدنا يونس عليه السلام.....ص147

فهرس الموضوعات:

الفعل الكلامي الدّعائي لدى سيدنا زكرياء عليه السلام ص150
الفعل الكلامي الدّعائي لدى سيدنا محمد صل الله عليه و سلم.....ص153
خاتمة:.....ص154
ملحق:
فهرس المصادر و المراجع:
فهرس الموضوعات: